

uploaded by
• antar ramdani



ذِي الْقَلْبِ الطَّيِّبِ

العنوان: ديوان النظرات

تأليف: مصطفى صادق الرافعي

بغاية: حسن السماحي سويدان

عدد الصفحات: 248

قياس الصفحة: 24×17 سم



جميع الحقوق محفوظة للناشر

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق
الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل
المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق
إلا بإذن خطي من الناشر.

الطبعة الأولى
مطبعة الجريدة بمصر

1908 - 1326

الطبعة الثانية
دار القادري بدمشق
2009 - 1430

الناشر: دار القادري للنشر والتوزيع

سورية - دمشق - ص.ب 10344

هاتف: 00963 11 2453775

فاكس: 00963 11 5233769



دار القادري
للتأليف والنشر والتوزيع

كتاب النظم

نظمه
مصطفى صادق الرافعي

بعناية
مستشاري سويدان

دار الفنون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فهذه الطبعة الثانية من «ديوان النظرات» لأديب العربية الأكبر وعالمها وفيلسوفها الأستاذ مصطفى صادق الرافعي رحمه الله تعالى أقدمه للقراء الكرام بعد مرور ما يزيد على مئة عام على طبعته الأولى .

وقد بدأت التجربة الشعرية عند الرافعي منذ يفاعته ، وقد أخرج دواوينه وهو في ميعة الشباب ، فالرافعي بدأ شاعراً يزاحم كبار شعراء عصره ، وقد استشرف له هؤلاء بمستقبل شعري باهر ، لكن الرافعي وجد في الشعر سعة تناسب أفكاره ، فكانت شاعريته في نثره أبلغ منها في شعره ، بل أصبح النثر الأكبر الذي لا ينازع في ذلك . وقد بلغ بوحى قلمه سماء ما طاولتها سماء ، ولا بلغها الأدباء ولا الشعراء .

وقد قدمت بين يدي هذا الديوان مقدمات نقدية أربعة ، ثلاثة نشرها في دواوينه الثلاثة ، والرابعة في هذا الديوان ، وهذه المقدمات مرتبطة بعضها ببعض من حيث الموضوع ، فكان لا بد من نشرها مجتمعة ، ليقف عليها القارئ جملة ، فتكون الفائدة تامة ، ففيها بسط الرافعي رأيه في تجديد الشعر مع الحفاظ على طبيعته .

وكنتم قد نشرت المقدمة الأولى والثانية في كتاب الرافعي (على السفود) وقد اعتمدت في نشر المقدمة الأولى على طبعة الديوان الأولى ، أما المقدمة الثانية

فاعتمدت نشرة من الديوان لا يعول عليها، وذلك لأنني لم أستطع الوقوف على الطبعة الأصلية التي نشرها الرافعي نفسه، وبعد مضي سنوات وقفت على هذه المقدمات الأربع في نسخها الأصلية فعدت إلى ما نشرته مصححاً، وجمعت مع ما قد بقي، فكانت هذه المقدمة النقدية الجامعة للشعر أقدمها بين يدي هذا الديوان.

أما الديوان نفسه فهو تجربة شعرية فريدة تتميز عن دواوينه الثلاثة التي نشرها قبلاً، ففيه جدّة في الشكل والمضمون وخاصة الأناشيد.

وألحقت بالديوان ثلاث ملاحق:

الأول: مختارات من شعر الرافعي، مما لم ينشر في دواوينه، ليقارن القارئ بين شعره في باكورة شبابه، وشعره في نضجه واكتمال شخصيته الأدبية.

والثاني: فصول ثلاثة في الإنشاء، وهي من كتابه (ملكة الإنشاء) ولم يكتب الرافعي غيرها، وهي محطة في حياته الأدبية بدأها، ثم عزف عنها.

الثالث: قالوا في الرافعي: وهي نصوص الأدباء الذين عاصروا الرافعي ونشرت في الصحف والمجلات في عصره.

وبعض القصائد لم يضع لها الأستاذ الرافعي عنوانات فاقبست من شعره عنوانات لها، وهذه العنوانات هي: «رسالة الزهر»، «شمس الضحى»، «نور بغير لهب»، «دعوى العلياء»، «ما أحلى الزمان قديماً!».

كما صنعت للديوان فهرس فنية تسهّل مراجعة الديوان.

وفي الختام أرجو أن أكون قد يسرت للقارئ كتاباً من كتب الرافعي العزيرة، وساهمت في إعادة نشر تراث الرافعي بصورة لاثقة، ولا يسعني إلا أن أشكر كل من ساعد على أن يخرج هذا الكتاب إلى النور، وأخص بالذكر الأستاذ إبراهيم صالح، والأستاذ بسام الجابي، والأستاذ أيمن ذو الغنى، والأستاذ عبد البديع القادري حفظهم الله جميعاً، وأخيراً أسأل الله تعالى أن ينفعني بما قدمت يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

دمشق غرة رمضان المبارك ١٤٢٩هـ

عبد السماحي سويدان

مصطفى صادق الرافعي

١٢٩٧ - ١٣٥٦ هـ = ١٨٨٠ - ١٩٣٧ م

١ - اسمه ونسبه

هو مصطفى صادق بن عبد الرازق بن سعيد بن عبد القادر بن عبد اللطيف بن عمر بن أبي بكر بن لطفي البيساري الرافعي^(١) ينتهي نسبه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

والأسرة الرافعية من أشهر الأسر العلمية في مصر ، قدم جد الأسرة الشيخ عبد القادر من طرابلس الشام إلى مصر في منتصف القرن الثالث عشر الهجري ، وعليه تخرج كبار علماء مصر كالشيخ البحراوي الكبير ، والشيخ محمد بخيت المطيعي ، وقد نبغ من هذه الأسرة عدد كبير من العلماء والقضاة والأدباء والمؤرخين .

٢ - نشأته

في قرية بهتيم في محافظة القليوبية ولد فيلسوف القرآن وإمام البيان مصطفى صادق الرافعي في المحرم سنة (١٢٩٧) هـ الموافق لكانون الثاني = يناير (١٨٨٠) م .

كان والد الرافعي رئيساً للمحاكم الشرعية في كثير من الأقاليم ، وهو واحد من أحد عشر أخاً اشتغلوا بالقضاء ، وآخر منصب شغله هو رئيس محكمة طنطا

(١) عبد القادر هذا هو أول من لقب بالرافعي من الأسرة المعروفة بهذا اللقب في مصر والشام ، وكانت تعرف بالبيسارية (نسبة إلى بيسارة من قرى أسبوط بمصر) ، انظر الأعلام ٤٠ / ٤ .

الشرعية ، وكان رحمه الله تعالى ورعاً ، صلباً في دينه ، شديداً في الحق ، توفي في طنطا ، ودفن فيها .

وأم الرافعي هي ابنة الشيخ الطوخي ، حلبية الأصل ، كان والدها تاجراً تسيّر قوافله بالتجارة بين مصر والشام . وقد أقام في قرية بهتيم .

كان بيت القاضي عبد الرازق أزهر صغيراً بما يتردد إليه من جلة العلماء ، ولما يحويه من نفائس الكتب ، وقد عُني هذا الوالد بابنه مصطفى الذي أتم حفظ القرآن ولما يبلغ العاشرة من عمره ، إضافة لما تعلمه من ثقافة دينية ولغوية رفيعة .

انتسب الرافعي إلى مدرسة دمنهور الابتدائية ، ثم انتقل إلى مدرسة المنصورة الأميرية ، التي نال منها الشهادة الابتدائية ، وعمره آنذاك سبع عشرة سنة ، وبعد ذلك أصابه مرض لم يبارحه حتى ترك حبة في صوته ، وقرأ في سمعه ، فترك التعليم الرسمي ، وعكف على التحصيل الشخصي في مكتبة أبيه ، ومكاتب طنطا المشهورة ، ينهل من كنوزها ، وما مضى إلا قليل حتى استوعبها ، وأحاط بما فيها ، وبذلك اجتمعت للرافعي العبقرية أسباب المعرفة والاطلاع كلها ، إلا أن ثقل سمعه ازداد حتى إذا بلغ الثلاثين من عمره أصبح أصم لا يسمع شيئاً .

وفي عام (١٨٩٩) عين الرافعي كاتباً في محكمة طلخا ، ثم انتقل إلى محكمة إيتاي البارود بالشرقية ، ثم انتقل إلى محكمة طنطا الشرعية ، ثم إلى محكمة طنطا الأهلية ، وبقي في عمله هذا إلى أن لقي وجه ربه الكريم .

٣ - الرافعي والشعر

كَلَّفَ الرافعي بالشعر من أول نشأته ، وتزود له زاده من الأدب القديم ، ووعى ما وعى من تراث شعراء العربية ، وبدأ الرافعي يقول الشعر ولما يبلغ العشرين ، وفي عام (١٩٠٣) أصدر ديوانه الأول ، وقدم له بمقدمة بديعة قال عنها الشيخ إبراهيم اليازجي : «وقد صدره (أي الديوان) الناظم بمقدمة طويلة في تعريف الشعر ذهب فيها مذهباً عزيزاً في البلاغة ، وتبسط ما شاء في وصف الشعر وتقسيمه وبيان مزيته - في كلام تضمن من فنون المجاز وضروب الخيال ما إن تدبرته وجدته الشعر بعينه» .

وكان لديوان الرافعي الأثر الطيّب في نفوس شعراء مصر وعلمائها وأدائها
فكتبوا إليه يهنتونه بهذا النجاح .

قال الشاعر محمود سامي البارودي :
لمصطفى صادق في الشعر منزلة
حاز الكمال فلم يحتج لمنقبه
[من البسيط]
أمسى يعاديه فيها من يصابه
فلسن تنعته إلا بما فيه

وقال الشاعر عبد المحسن الكاظمي :
شعرك يا مصطفى لصافية
إن تُتَخَب من مواء قافية
[من المنسرح]
بحوره كل وردها عذب
فذي قوافيك كلها نخب

وقال الشاعر حافظ إبراهيم :
إيه يا رافعي أحسنت حتى
لا أرى محسناً بجنبك شيئاً
[من الخفيف]

وقال الشاعر المهجري قبصر معلوف :
ذهب الوري أن الأوائل لم تدغ
حتى نشرت عليهم يا (مصطفى)
ديوان شعرك فيه كل بديعه
لنظير آيتها (ابن بُرد) مانظر^(١)
[من الكامل]
لبنى الزمان من المعاني مُبتكر
آياتك الغرا فكذبت الخبر

وكتب إليه الشيخ الإمام محمد عبده :

ولدنا الأديب الفاضل مصطفى أفندي صادق الرافعي زاده الله أدباً .

الله ما أثمر أدبك ، والله ما ضمن لك قلبك ، لا أقارضك ثناء بثناء ، فليس ذلك
شأن الآباء مع الأبناء ، ولكني أعدك من خلص الأولياء ، وأقدم صفك على صف
الأقرباء ، وأسأل الله أن يجعل للحق من لسانك سيفاً يمحق الباطل ، وأن يُقيمك
في الأواخر مقام حسان في الأوائل . والسلام .

محمد عبده

٥/ شوال / ١٣٢١

(١) فات الشاعر أن بشار بن برد كان أكمه .

وكتب إليه زعيم مصر مصطفى كامل باشا يقول :

«سيأتي يوم إذا ذكر فيه الراجعي قال الناس :

هو الحكمة العالية مَصُونَةٌ في أجمل قالب من البيان» .

وفي عام (١٩٠٤) أصدر الراجعي الجزء الثاني من الديوان ، وفي عام (١٩٠٦) أصدر الجزء الثالث ، أما الجزء الرابع فلا يزال مخطوطاً إلى اليوم .

وفي عام (١٩٠٨) أصدر الجزء الأول من ديوان النظرات ، وهو هذا الكتاب .

هذا وليس كل شعر الراجعي في دواوينه ، فالجيد الذي لم ينشر أكثر مما نشر^(١) .

ولما تحول الراجعي من الشعر إلى النثر لم يهجر الشعر ، بل ظل ينظمه بين الفينة والأخرى ، وينشر بعضه في المجلات السائرة .

٤ - الراجعي في بيته

في عام (١٩٠٤) تزوج الراجعي من فتاة من أسرة البرقوقي ، هي أخت الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي الأديب الكاتب المشهور صاحب مجلة (البيان) ، وكان الراجعي يعيش في بيته عيشة مثالية عالية ، فهو زوج كما يجب أن يكون الزوج ، وأب كما ينبغي أن يكون الأب ، يتصاغر لأولاده ويناغيه ويدلهم ، ويبادلهم حباً بحب ، دون أن ينسى واجب التهذيب والرعاية والإرشاد ، ناصحاً برفق ، مؤدباً بشدة أحياناً .

٥ - الراجعي وتاريخ آداب العرب

نشرت الجامعة المصرية إعلاناً يدعو الأدباء إلى تأليف كتاب في تاريخ الأدب العربي ، جعلت جائزته مئتي جنيه ، وضربت أجلاً لتقديمه سنتين ، وتعهدت بطبع الكتاب .

انقطع الراجعي لتأليف كتاب «تاريخ آداب العرب» من منتصف سنة (١٩٠٩)

(١) تجد بعض ما لم ينشر من شعر الراجعي في الملحق الأول من هذا الكتاب .

إلى آخر سنة (١٩١٠) وفي سنة (١٩١١) طبع الكتاب على نفقته قبل أن يحل الأجل الذي عينته الجامعة .

قال الأستاذ أحمد لطفي السيد عن كتاب الرافعي «تاريخ آداب العرب» :

قد قرأنا هذا الجزء ، فأما نحوه فعليه طابع الباكورة في بابهِ ، يدل على أن مؤلفه قد ملك موضوعه ملكاً تاماً ، وأخذ بعد ذلك يتصرف فيه تصرفاً حسناً ، وليس من السهل أن تجتمع له الأغراض التي بسطها في هذا الجزء إلا بعد درس طويل ، وتعب ممل .

أما أسلوب الرافعي في كتابه فإنه سليم من الشوائب الأعجمية التي تقع لنا في كتاباتنا نحن العرب المتأخرين ، فكأنني وأنا أقرؤه أقرأ من قلم المبرّد في استعماله المساواة ، والبأس المعاني ألفاظاً سابغة مفصلة عليها ، لا طويلة تتعثر فيها ، ولا قصيرة عن مداها تؤدي بعض أجزائها .

وقالت عنه مجلة «المقتطف» : «إنه كتاب السنة» ولم تقل مثل هذه الكلمة من قبل ولا من بعد لغير هذا الكتاب ، كل هذا والرافعي يومئذ في الثلاثين من عمره المبارك .

في عام (١٩١٢) أصدر الجزء الثاني من «تاريخ آداب العرب» وموضوعه إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، وهو الذي طبع فيما بعد تحت هذا العنوان ، وإثر ذلك كتب إليه سعد زغلول يقول :

حضرة المحترم الفاضل الأستاذ مصطفى صادق الرافعي :

تحدى القرآن أهل البيان في عبارات قارعة محرّجة ، ولهجة واخزة مُرغمة ، أن يأتوا بمثله ، أو سورة منه ، فما فعلوا ، ولو قدرُوا ما تأخروا ، لشدة حرصهم على تكذيبه ، ومعارضته بكل ما ملكت أيمانهم ، واتسع له إمكانهم .

هذا المعجزُ الوضعُ بعد ذاك التحدي الصارخ هو أثرُ تلك القدرة الفائقة ، وهذا السكوتُ الدليلُ عندَ ذلك الاستفزاز الشامخ هو أثرُ ذلك الكلام العزيز .

ولكن قوماً أنكروا هذه البداة ، وحاولوا سترها ، فجاء كتابكم «إعجاز القرآن» مصدّقاً لآياتها ، مكذّباً لإنكارهم ، وأيدَ بلاغة القرآن وإعجازه بأدلة مشتقة من أسرارها . في بيان يستمدُّ من روحها ، بيان كأنه تنزيلٌ من التنزيل ، أو قسٌّ من نورِ الذكر الحكيم .

فلکم علی الاجتهاد فی وضعه ، والعناية بطبعه ، شكرُ المؤمنین ، وأجرُ العاملين ، والاحترام الفائق .

سعد زغلول

ومن ذلك اليوم انكشف للناس أن الراجعي أديب ليس له نظير في العربية ، وأنه كاتب من الطراز الأول بين كتابها ، وأنه صاحب القلم الذي يكتب في إعجاز القرآن فيعجز ، ويتحدث عن الإسلام حديث المؤمن للمؤمن .

لقد عرف الراجعي من يومئذ أن عليه رسالة يؤديها ، وأن له غاية أخرى هو عليها أقدر ، وبها أجدر ، فجعل الهدف الذي يسعى إليه أن يكون لهذه العربية حارساً وحامياً ، يدفع عنها أسباب الزيغ والفتنة والضلال ، وأن ينفخ في هذه اللغة روحاً من روحه ، فيردّها إلى مكانتها ، ويردّ عنها كيد أعدائها ، فلا يجترىء عليها مجترىء ، ولا ينال منها نائل ، ولا يتنذر بها ساخر ، إلا انبرى له يبدد أوهامه ويكشف دخیلته^(١) .

في عام (١٩١٢) وبعد رحلة إلى لبنان ألف كتابه (حديث القمر) يصف فيه عواطف الشباب ، وخواطر العشاق في أسلوب رمزي على ضرب من الشعر الشعري .

٦- كتاب المساكين

وقعت الحرب العالمية الأولى ، وأرسلت إلى مصر الفقر والجوع والغلاء ، فلم يك ضحاياها في مصر أقلّ عدداً من ضحاياها في ميادين الحروب ، لقد صودرت أقوات الشعب المصري ، وحملت إلى المتحاربين ، وتترك الناس يتضورون جوعاً ، ويعانون منه أشدّ المعاناة .

كان الراجعي وهو الشاعر المرحف الحس ، الرقيق القلب ، القوي العاطفة ، يرى هذا فتتفعل به نفسه ، وتتحرك خواطره ، ويتفطر قلبه ، فأثرت فيه مناظر البائسين ، وأحوال المساكين ، فكان من كل ذلك «كتاب المساكين» الذي نشره

(١) انظر مقالة «جملة قرآنية» في كتابه «تحت راية القرآن» (٢٤) وقد نشرت مستقلة في دار القادري .

عام (١٩١٧) وقد قال عنه شيخ العروبة أحمد زكي باشا: «ولقد جعلت لنا شكبير كما للإنجليز شكبير ، وهيجو كما للفرنسيين هيجو ، وجوته كما للألمان جوته».

وفي عام (١٩٢٣) أخرج «رسائل الأحزان»^(١) وهي خواطر عن الحب في كتاب فريد في العربية في أسلوبه ومعانيه وبيانه الرائع .

وبعد ذلك أخرج كتاب «السحاب الأحمر» وهو كتاب يتحدث عن فلسفة البغض وطيش الحب .

وبعد ذلك أخرج كتاب «أوراق الورد» وفيه حنين العاشق المهجور ، ومنية المتمني ، وذكريات السالي ، وفن الأديب ، وشعر الشاعر .

٧ - معركة القديم والجديد «تحت راية القرآن»

رأى الرافعي في دعوى التجديد ذريعةً لليل من العربية في أرفع أساليبها ، وسبيلاً إلى الطعن في القرآن الكريم وإعجازه ، وباباً للزراية بالتراث منذ كان للعرب شعر وبيان^(٢) ، ومن ذلك اليوم نشط يجاهد هذه الدعوى ، ووقف قلمه لتفنيدها ، وكشف دخيلتها وغاياتها الحقيقية ، وما كان عمله ذلك إلا جهاداً تحت راية القرآن ، فمن ثم كان الاسم الذي جمع به كل ما كتب عن المعركة بين القديم والجديد ، والكتاب من خير ما أبدعت العربية في النقد ، وأحسن مثال في مكافحة الرأي بالرأي ، مع الاطلاع الواسع والفكر الدقيق ، ويأتي هذا الكتاب بعد كتاب «وحي القلم» من حيث المكانة بين كتب الرافعي .

(١) يقول الرافعي: هو كتاب وضعناه في فلسفة الجمال والحب ، ثم وضعنا له «السحاب الأحمر» تكملةً ، فهما كالكتاب الواحد ، انظر «تحت راية القرآن» (٢٤) .

(٢) انظر مقال الأمير شكيب أرسلان «ما وراء الأكمة» في كتاب الرافعي «تحت راية القرآن» وفيه كشف الأمير الغطاء عن يدعوى التجديد ، فإذا هو تجديد وهرطقة . وانظر في هذه النابة مقال الأستاذ محمود محمد شاكر رحمه الله (من هؤلاء؟) في «جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر» ص (١١٩٠ - ١١٩٥) .

٨ - الرافعي ومجلة الرسالة

كان عملُ الرافعي في الرسالة نقلةً بعيدةً ، لأنَّ فكره وأسلوبه ارتقى إلى الذروة ، وزال عنه ما ادعاه بعض خصومه من الغموض في أسلوبه ، وبدأ ذلك في ربيع سنة (١٣٥٣ - ١٩٣٤) وظل يكتب للرسالة في كل أسبوع مقالة أو قصة ، وقد أجمع علماء العصر وأدباؤه على أنَّ مقالات الرافعي في «الرسالة» هي من أبدع ما كتب في العربية على مدى تاريخها الطويل ، وقد جمع رحمه الله تعالى معظم هذه المقالات في كتابه «وحي القلم» الكتاب الم خالد ، الذي لا يمكن أن نوفيّه حقه بكلمة موجزة^(١).

٩ - وفاته رحمه الله تعالى

في يوم الاثنين (١٠/٥/١٩٣٧) استيقظ الرافعي مع الفجر كعادته كل يوم ، فتوضأ وصلى ، وجلس في مصلاه يستبّح ويدعو ، ويتلو قرآن الفجر ، وأحس بعد لحظة حرقة في معدته ، فتناول دواءً ، وعاد إلى مصلاه ، ومضت ساعة ، ثم نهض ، فلمّا كان في البهو سقط على الأرض ، فهبَّ أهل الدار ، فوجدوه جسدًا فارقه الروح إلى بارئه ، وحُمل جثمانه بعد الظهر ليوارى الثرى في مقبرة العائلة بين أبويه .

أمضى الرافعي في الوظيفة ثمانياً وثلاثين سنةً ، ومات ولم يتجاوز السابعة والخمسين من العمر .

لقد كان الرافعي صاحب دعوة إلى العربية والإسلام ، يدعو إليها ، فحقه على العربية وحق العربية على أدبائها ، وحق الإسلام على أهله ، أن نجدد دعوة الرافعي ونعلي ذكره ، وننشر رسالته ، ونُعنى بآثاره فإذا نحن وفّقنا إلى ذلك ، فقد وفينا له بعض الوفاء^(٢).

(١) انظر كلمة الدكتور عبد الوهاب عزام عن «وحي القلم» في مقدمة كتاب «قصص من التاريخ» للرافعي ، وهي مجموعة القصص التاريخية في «وحي القلم» وقد جمعناها وعلقت عليها ، وهي من منشورات دار ابن كثير ، وكذلك كلمة الأستاذ محمود محمد شاكر رحمه الله عن «وحي القلم» في جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر ص (٧٠٤ - ٧٠٧).

(٢) مختصراً من «حياة الرافعي» للعريان .

وقد رثاه أمير البيان شكيب أرسلان بقصيدة هي من عيون شعره ، قال فيها :

رثائي لجاحظ العصر ونادرة الدهر السيد مصطفى صادق الرافعي أكرم الله

[من الكامل]

قَدْ حَطَّ فِيهِ الْعَبْقَرِيُّ الْأَكْبَرُ
رُدُّ «ابْنُ بَحْرِ» لِلْحَيَاةِ مُكْرَرًا^(١)
بِأَوَائِلِ كَانُوا جَمِيعًا أَبْخَرَا
وَتَدَبَّرُوا فِي كُلِّ فَنٍّ عَبَقْرًا^(٢)
مَنْ كَانَ مِنْ ذَلِكَ التَّجَارِ تَحَدَّرًا^(٣)
مَجْدًا يَتِيهِ عَلَى السَّمَاءِ وَمَفْخَرًا^(٤)
وَعَدَتْ تَجَرُّ مِنْ الْأَثْمَةِ عَسْكَرًا
سُلْطَانٌ مَنْ وَشَى الطُّرُوسَ وَحَبَّرَا
سَامٌ كَفَّاهَا أَنْ تَشُوذَ وَتَظْهَرَا^(٥)
مَا كَانَ يَوْمًا ثُبْمًا فِي حُمِيرَا
فَخَلَا يُبَارِي الْأَوَّلِينَ ، وَلَنْ يَرَى
أَقْصَرَ ، فَكُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَى^(٦)
بِقَرِيحَةٍ تَحْكِي الْغَمَامَ الْمُطِيرَا
أَبْدًا ، وَلَيْسَ يَغْبِضُهَا مَا يُمْتَرَى^(٧)
مَهْمَا تَوَارَى شَخْصُهُ وَتَنَكَّرَا
بَيْنَا نَكُونُ مِنَ الْجَاذِرِ أَنْفَرَا

إِنَّ الَّذِي قَدْ حَطَّ جِسْمَكَ فِي الثَّرَى
«الْجَاظِظُ» الثَّانِي الَّذِي فِي شَخْصِهِ
كَانَ ابْنُ بَحْرٍ وَاحِدًا ، فَفَضَّلْتُهُ
«الرَّافِعِينَ» الْأَلَى فَرَعُوا الْعُلَى
لَا عَزْوُ أَنْ يَرْفَى شَنَاخِيبَ الدُّرَى
هِيَ عِزَّةٌ أَبْقَى أَبُو حَفْصٍ لَهَا
جَمَعَتْ إِلَى أَنْسَابِهَا أَحْسَابُهَا
مَنْ مِثْلُ نَادِرَةِ الزَّمَانِ «الْمُصْطَفَى»
إِلَّا تَكُنْ قَدْ أَنْجَبَتْ إِلَّا «أَبَا»
قَدْ كَانَ فِي جَيْشِ الْبَيَانِ مَكَانُهُ
مَا إِنْ رَأَى الْعَصْرُ الْحَدِيثَ نَظِيرُهُ
قُلْ لِلْمَحَاوِلِ أَنْ يَرَى أُنْدَادَهُ:
مَلَأَ الزَّمَانَ بِدَائِعٍ وَرَوَائِعٍ
تِلْكَ الْقَرِيحَةُ تُمْتَرَى أَخْلَافُهَا
تَدْعُ الْخِيَالَ لَدَى الْعَيُونِ مُجَسِّمًا
وَتَرَى الْمَعَانِيَ كَالشَّيْءِ مُقَادَّةً

(١) ابن بحر : هو الجاحظ .

(٢) فرع فلان القوم : أي علامهم بالشرف ، أو بالجمال .

(٣) الشناخيب : جمع شنخوب ، وهو أعلى الجبل ، كالشنخوبة ، والشنخب : الطويل والنجار : الأصل .

(٤) أبو حفص : كنية عمر بن الخطاب ، وإليه تنتسب أسرة الرافعي . والسَّمَاءُ : نجم .

(٥) أبو سامي : كنية الرافعي .

(٦) الفَرَى : الحمار الوحشي ، والمثل يضرب لمن يفضلُه الناسُ على أقرانه .

(٧) امْتَرَى الشيء : استخرجه . والأخلاف : حلقات الصروع .

شَأْوُ يَشْقُ عَلَى الْجَمِيعِ لَحَاقُهُ
 هِيَهَاتَ يَطْمَعُ طَامِعٌ فِي «الْمُصْطَفَى»
 تَنْتَضَاءُ الْأَقْرَانُ دُونَ بِسْرَازِهِ
 كَثُرَ التَّفْهِيقُ فِي الْجَدِيدِ وَنَهَجِهِ
 حَرَجَتْ صُدُورُهُمْ بِأَنْ يَجِدُوا مِنْ أَلِ
 فَتَقَصَّدُوا أَنْ يُطْفِئُوا ذَاكَ الضِّيَا
 وَتَغْفُلُوا قَوْمًا أَبَتْ أَحْلَامُهُمْ
 فَمَحَا بِنُورِ الْحَقِّ آيَةَ لَيْلِهِمْ
 وَرَمَاهُمْ بِكِتَابٍ مِنْ كُتُبِهِ
 وَأَفَاهُمْ بِلَاغَةَ مُضَرِّيَّةٍ
 فَغَدَتْ سَفَاسِئُهُمْ لَدَى آيَاتِهِ
 مَنْ ذَا يَضَارِعُ فِي الْبَيَانِ عَصَابَةً
 هُمْ ذَلِكَ السَّلَفُ الَّذِينَ لِسَانُهُمْ
 مَنْ ذَا يَطَاوِلُ فِي الْبَلَاغَةِ أَحْمَدًا
 الْمُعْرِضِينَ إِذَا أَجَالُوا خَاطِرًا
 وَالْمَانِعِينَ الْمُشْكِرَاتِ ، وَقَوْلُهُمْ
 تِلْكَ الْعَصَابَةُ مَنْ يَجِدُ عَنْ سُبُلِهَا
 زَعَمَ الْأَلَى نَحْوُوا الْجَدِيدَ بِأَنَّهُ
 حَسِبُوا التَّدْنِيَّ فِي الْبَيَانِ تَقْدُمًا
 عَمَدُوا إِلَى التَّغْيِيرِ حَتَّى يُخْدِتُوا
 وَاسْتَظْهَرُوا بِمَقَالَةٍ تُلْخِصُهَا

مَنْ ذَا يَشْقُ لَهُ لَعْمَرِي عَيْبَرًا؟
 إِنْ صَالَ فِي يَوْمِ الْعِرَاكِ وَهَدَّرَا
 مِثْلَ السَّبَاعِ تَكْعُ عَنْ أَسَدِ الشَّرَى^(١)
 كَمْ مَنْ تَكَلَّمَ بِالْجَدِيدِ وَمَا ذَرَى
 قِرَآنَ مَوْرَدِ أُمِّهِ وَالْمَضْدَرَا
 وَتَعَمَّدُوا أَنْ يَقْصِمُوا نِلْكَ الْعُرَى
 أَنْ تَسْبِيْنَ الرُّشْدَ أَوْ تَتَدَبَّرَا
 وَأَرَاهُمْ عَنْهُ النَّهَارَ الْمُبِيرَا
 فَتَطَايَرُوا كَالْحُمْرِ لَاقَتْ قَسُورَا
 مَا كَانَ مُعْجِزُهَا حَدِيثًا يُفْتَرَى
 نَارَ الْخُبَابِ نَاوَحَتْ نَارَ الْفَرَى^(٢)
 قَدْ أَوْضَحُوا «نَهَجَ الْبَلَاغَةِ» تَبْرَا
 تَنْحَطُّ عَنْهُ جَمِيعُ أَلْسِنَةِ الْوَرَى
 وَصَحَابِهِ ، وَأَبَا تَرَابٍ حَيْدَرَا^(٣)
 عَنْهُ بِأَعَذَبَ مَا يَكُونُ وَأَقْصَرَا
 مَا دَارَ فِي الْأَلْبَابِ إِلَّا أَشْكُرَا
 حَقًّا يُقَالُ لِمِثْلِهِ: أَطْرَقَ كَرَا^(٤)
 عَصْرٌ نَحْتَمُ أَنْ يَخَالَفَ أَغْصَرَا
 رَأُوا الرِّكَكَاةَ بِالثَّقَافَةِ أَجْدَرَا
 حَدَثًا يَبْلُغُهُمْ مُرَادًا مُضْمَرَا
 أَنْ الْقَدِيمَ مَضَى ، وَوَلَّى مُذْبِرَا

(١) تكع: نجبن وتضعف.

(٢) الخباب: ذباب يطير بالليل ، له شعاع كالسراج ، أو ما اقتتح من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة.

(٣) أبو تراب: كنية الإمام علي ، وحيد لقب من القابه.

(٤) من أمثال العرب: أطرق كرا ، إن النعامة في القرى. والكرا: مرخم الكروان ، وهو طائر لا ينام بالليل ، والمثل يضرب للذي ليس عنده غناء ويتكلم. فيقال له: اسكت وتوق انتشار ما يلفظ به ، كرامة ما يتعقبه.

قَدْ فَاتَهُمْ أَنَّ الْحَلَاوَةَ سَرْمَدٌ
كَمْ مِنْ قَدِيمٍ لَا يَزَالُ زَوَاوَهُ
مَهْمًا تَقَادِمَ جَوْهَرٍ فِي عَتَقِهِ
مَنْ حَادَ عَنْ حُبِّ الْجَمَالِ تَعَثُّاً
لِغَةِ قَلَوَا أَسْلُوبَهَا ، وَتَخَيَّرُوا
يَرْتَدُّ وَارِدُهُ وَمَا ذَاقَ الرُّوَى
أَخْنَى «أَبُو الشَّامِي» عَلَى غُلَوَاتِهِمْ
وَذَرَا دَعَاوِيَهُمْ كَمَا نَثَرَ الْهَبَا
رَحَفَتْ بِلَاعَتِهِ تَجَرُّ جُبُوشَهَا
قَدْ يَخْرِقُونَ عَلَيْهِ مِنْ حَسَدٍ ، وَمَنْ
مَا زَالَ فِي الْأَدَبِ النَّزِيهِ مُبَرِّزاً
أَعَزَزَ «أَبَا الشَّامِي» عَلَيَّ بِأَنْ أَرَى
مِنْ أَسْرَةِ الْقَصَبِ الضَّعِيفِ ، وَفَعَلَهُ
لَكَ فِي الْبَيَانِ رِئَاسَةً أَزْلِيَةً
مَا إِنْ دَعَوْتُكَ جَاحِظاً إِلَّا وَقَدْ
مَا قُلْتُ فِيكَ سِوَى الَّذِي أَيْقَنْتُهُ
أَحْيَيْتَ آدَابَ اللِّسَانِ ، وَلَمْ يَزَلْ
وَرَفَعْتَ لِلْقُرْآنِ أَرْفَعَ «رَايَةَ»
أَنْشَأْتَ أَمْثَالَ النَّسِيمِ رَقَائِقاً
وَلَيْسَتْ طُولَ الْحَيَاةِ لِأَلْسِنَا
أَلْبَسْتَنِي بِشَاكَ فَضْلاً ضَافِياً
فَأَنَا عَلَيْكَ إِلَى نَزُولِي فِي الشَّرَى

وَمَذَاقُ طَعْمِ الشَّهْدِ لَنْ يَتَغَيَّرَا
مَتَالِقاً يَحْكِي الصَّبَاحَ الْمُسْفِرَا
فَهُوَ الثَّمِينُ ، وَلَيْسَ يَسْرَحُ جَوْهَرَا
يَتَبَدَّلُ الْأَدْنَى ، وَيُبْغِي الْأَحْقَرَا
عَنْهَا كَلَاماً مِثْلَ أَحْلَامِ الْكَرَى
وَيَعُودُ قَارِنُهُ اللَّيْبُ وَمَا قَرَا
وَأَذَاقَهُمْ مُرَّ الْكِفَاحِ الْمُمَقِرَا^(١)
وَأَعَادَ خُضْرَتُهُمْ هَشِيمَا أَغْبَرَا^(٢)
فَانْقَادَ طَوْعاً مَنْ أَبَى وَاسْتَكْبَرَا
بُغْضِي ، وَلَكِنْ يَخْرِقُونَ الْعَبْرَا
حَتَّى إِذَا شَهِدَ السَّفَاهَةَ قَصَّراً
ذَلِكَ الْيَرَاعَ الْجَاحِظِي مُكْتَسِراً
فِي الْخُطْبِ يَهْزَأُ بِالْحَدِيدِ مُعْضَفِراً
أَبْدِيَةً ، لَيْسَتْ تَبَاعُ وَتُشْتَرَى
رُزْتُ الرِّجَالَ مَقْدِماً وَمُؤَخَّرَا^(٣)
مَا كُنْتُ مِنْ كَالِ الرِّجَالِ فَأَخْسِراً
فِيهَا مُؤَلَّفُكَ الشَّرَاحَ الْأَزْهَرَا^(٤)
فَلِذَا غَدَوْتُ «الرَّافِعِي» الْأَشْهَرَا^(٥)
كَانَتْ عَلَى الْحُثَّادِ رِيحاً صَرَصَرَا
وَالْيَوْمَ نَبِّكِيكَ الْعَمِيقَ الْأَحْمَرَا
فِيهِ لَيْسَتْ الطَّبْلِسَانُ مُجَرَّرَا
أَذْكِي الْأَنَامَ أَسَى ، وَأَبْكِي مَحْجَرَا

(١) الممقر: الحامض المر.

(٢) الخفرة: اسم من المنعة والأمن.

(٣) زوت: جربت واختبرت.

(٤) إشارة إلى كتابه «تاريخ آداب العرب».

(٥) يشير إلى كتاب الرافعي «تحت راية القرآن».

ذِكْرًا كَمَا أَجَّجْتَ مِسْكَاً أَذْفَرًا^(١)
لَجْوَارِ رَبِّكَ ضَاحِكاً مُسْتَبْشِرًا
مِنْ أَجْلِهِ نَبِيَّكَ عَلَيْهِ تَحُشِرًا
سَبَّغْتَ ، وَمِنْ غُفْرَانِهِ لَكَ مَغْفِرًا
حَاشَا كَرِيمٌ ذِمَامِهِ أَنْ يُخْفَرَا
لَا تَظْمَأَنَّ وَقَدْ وَرَدَتْ الْكَوْثَرَا

سِرْ نَحْوَ رَبِّكَ تَارِكاً فِي خَلْقِهِ
وَاسْتَوْدِعِ الدَّارَ الَّتِي فَارَقْتَهَا
فَلَأَنْتَ أَجْدَرُ أَنْ تُهْنَأَ بِالَّذِي
فَتَمَلُّ مِنْ رِضْوَانِ رَبِّكَ جَنَّةً
أَنْتَ الدَّخِيلُ عَلَيْهِ فِي مَلَكُوتِهِ
لَا تَبْعُدَنَّ وَأَنْتَ وَافِدٌ خُلْدِهِ

شكيب أرسلان

جنيف ١٤ ربيع الأول ١٣٥٦ هـ

(١) المسك الأذفر: الجيد إلى الغاية.

الرافعي الشاعر

قال الأستاذ محمد سعيد العريان في كتابه (حياة الرافعي):

بدأ الرافعي يقول الشعرَ ولمَّا يبلغ العشرين من عمره ، ينشره في الصحف وفي مجلات السوريين ، التي تصدر في مصر ، وكانت المجلات الأدبية كلها إلى ذلك الوقت في أيديهم ، فمجلة (الضياء) و(البيان) ، و(الثريا)^(١) ، و(الزهراء)^(٢) ، و(المقتطف) ، و(سركيس) ، و(الهلال)^(٣) ، وغيرها - كان يقوم عليها كلها جماعة من أدباء سورية: كالبيستاني ، واليازجي ، وصروف ، وجورجي زيدان ، وسليم سركيس ، وغيرهم ؛ وكانت إليهم الزعامة الأدبية في اللغة والأدب الوصفي والتاريخ ، أما أدب الإنشاء فكان قسمة بينهم وبين أدباء مصر.

والآن أدع لصديقي الأديب المرحوم جورج إبراهيم حنا ، أن يتحدث عن الرافعي في أول عهده بالشعر: قال:

«وبدأت صِلتي بالمرحوم الرافعي قريباً من سنة ١٩٠٠ م كنت يومئذ أقول الشعر ، وكان اسمي معروفاً لقراء مجلة (الثريا) ، ولم أكن أعرف الرافعي أو أسمع به ؛ وكان لأخيه الوجيه سعيد الرافعي متجرٌ في شارع الخان بطنطا ، يستوردُ إليه الثقل والفواكه الجافة من الشام ، وكنت زبونه ، فذهبت يوماً أشتري شيئاً من فاكهة الشام - إذ كان له بها شهرة - فلما صرْتُ إليه ، لقيتُ هناك فتى نحيلاً في العشرين من عمره ، يلبس جلباباً ، جالساً إلى مكتب في المتجر قريب من الباب ، فما رأيي الفتى حتّى ناداني ، فدعاني إلى الجلوس ، ثم قال لي: أتعرفُ أني شاعرٌ؟ قلتُ: لا ، لستُ أعرفُ. قال: أنا مصطفى صادق

(١) لصاحبيها اللبنانيين إدوارد جدي ونقولا إلياس.

(٢) للأستاذ محب الدين الخطيب رحمه الله.

(٣) «الضياء» للبيستاني و«البيان» ليازجي ، و«المقتطف» لصروف و«سركيس» لسليم سركيس و«الهلال» لزيدان.

الرافعي ، وهذه الكراسات كلها من شعري . وعرض عليّ بضعة دفاتر كانت على المكتب ، ثم استأنف قائلاً ، ولكته شعرُ الحداثة ، فهو لا يُعجِبُنِي ؛ سأختارُ أجوده ، وأمرُقُ الباقي ، وسأطبعُ ديواني بعد قليل فتعرفني . . .^(١) .

قال : «عرفتُ الرافعيَّ من يومئذ ، وقويتُ بيننا الصلةُ حتى صرتُ أدنى أصدقائه إليه : يقرأ عليّ شعره ، ويستمعُ إلى رأيي فيه ، ويستشيرني في أمره .

وقد كان أولُه كآخره ، فما لبثتُ حتى أعجبتُ به ، وأحللتهُ من نفسي أرفع محلٍّ من الحبِّ والتقدير» .

ظلَّ الرافعيُّ يقولُ الشعرَ لنفسه ، أو ينشرُ منه في المجلات الأدبية ، أو يقرؤه على أصدقائه . وأصدقائه يومئذٍ صفوةٌ من شباب السوريين في طنطا : منهم الأديب جورج إبراهيم ، والصيدليان : نسيم يارد ، وإلياس عجان ، والطبيب تودري ؛ وكانوا يتخذون مجلسهم عادة في وقت الفراغ من صيدلية «كوكب الشرق» بطنطا .

فلما كانت سنة ١٩٠٣ م - وعمر الرافعي يومئذٍ ثلاثٌ وعشرون سنة - نشر حافظُ إبراهيم ديوانه ، وقدم له بمقدمة بليغة كانت حديثَ الأدباء في حينها ، وطال حولُها الجدلُ ، حتى نسبها بعضهم إلى المويلحي .

واستقبل الأدباء (ديوان حافظ) ومقدمة ديوانه استقبالا رائعاً ، وعقدوا له أكاليلَ الثناء . والرافعيُّ غيورٌ شمسٍ ، فما هو إلا أن رأى ما رأى حتى عقدَ العزمَ على إصدارِ ديوانه ، وما دام حافظٌ قد صدرَ ديوانه بهذه المقدمة ، التي أحدثت كُلَّ هذا الدويِّ ، فإنَّ على الرافعيَّ أن يحاولَ جهدهُ ليلبِّغَ بديوانه ما بلغَ حافظٌ ، وإنَّ عليه أن يحمِلَ الأدباء على أن ينسوا بمقدمته مقدمة ديوان حافظ !

وصدر الجزء الأول من (ديوان الرافعي) في الموعد الذي أراد^(١) ، بُعيدَ

(١) طبع في المطبعة العمومية بمصر عام ١٣٢١ = ١٩٠٣ م ، وكتب عليه : نظمه مصطفى صادق الرافعي ، وشرحه محمد كامل الرافعي ، وهذا الشرح المنسوب إلى أخيه محمد كامل هو من إنشاء الرافعي نفسه ، فقد نظم الرافعي ديوانه هذا ما بين عامي (١٣١٩ - ١٣٢٠ هـ) كلمة وكلمة ط الجابي ص (١٨٣) .

(ديوان حافظ) بقليل ، وقدم له بمقدمة بارعة ، فصل فيها معنى الشعر وفنونه ومذاهبه وأولياته ؛ وهي ، وإن كانت أول ما نعرف مما كتب الراجعي ، تدل بمعناها ومبناها على أن ذلك الشاب النحيل الضاوي الجسد ، كان يعرف أين موضعه بين أدباء العربية في غد .

وإذا كانت مقدمة (ديوان حافظ) قد ثار حولها من الجدل ما حمل بعض الأدباء على نسبتها إلى المويلحي ، فقد حملت هذه المقدمة الأديب الناقد الكبير الشيخ إبراهيم اليازجي على الشك في أن يكون كاتبها من ذلك العصر ، مما يخادع نفسه في قدرة الراجعي على كتابتها .

قال الأستاذ جورج إبراهيم :

«لما هم الراجعي أن يكتب مقدمة ديوانه ، جاء إلي في جلبابه والحر شديد ، فحدثني من حديثه ، ثم سألني أن أهية له مكاناً رطباً يجلس فيه ليكتب المقدمة ، فجلس في غرفة من الدار ، ثم تخففت من لباسه . . . واقتعد البلاط بلا فرش ، وبسط أوراقه على الأرض ، وتهيأ للكتابة ؛ فحدثته أن تنال منه رطوبة البلاط في مجلسه الطويل . فقال : لا عليك يا جورج ؛ إني لأحب أن أحسن الرطوبة من تحتي . . . فينشط رأسي . . .

ثم استمر في مجلسه يكتب ، وليس معه ولا حواليه من وسائل العلم إلا قلمه وأوراقه ، حتى فرغ من المقدمة في ساعات . . .

قال : «فلما تم طبع الديوان أهدى نسخة منه فيما أهدى إلى العلامة الشيخ إبراهيم اليازجي ، والشيخ اليازجي يومئذ أديب العصر ، وأبلغ منشيء في العالم العربي ، وكان الراجعي حريصاً على أن يسمع رأي اليازجي في شعره وأدبه . ومضى زمان ، ولم يكتب اليازجي ، على حين تناولت كل الصحف والمجلات (ديوان الراجعي) ومقدمته بالنقد أو التقرير ، واحتفل به (المؤيد) احتفالاً كبيراً فنشر مقدمته في صدره ، و(المؤيد) يومئذ جريدة العالم العربي كله .

قال : «واستعجب أن يهمل أستاذنا اليازجي هذا الديوان فلا يكتب عنه ، واغتم الراجعي لذلك غماً شديداً ؛ إذ كان كل ما يكتب الأدباء في النقد لا يُغني عن كلمة يقولها اليازجي ؛ فذهبت أسأله ، فقال لي : أنت على ثقة أن هذه المقدمة من إنشاء الراجعي ؟

قلت: هو كتبها بعيني ، فما أشك في ذلك .

قال اليازجي: وأنا ما أبطأت في الكتابة عن الديوان إلا من الشك في قدرة هذا الشيخ على إنشاء مثل هذه المقدمة؛ فأنا منذ أسبوعين أبحث عنها في مظانها من كتب العربية . . .

قلت: يا سيدي ، إنه ليس بشيخ ، إنه فتى لم يبلغ الثالثة والعشرين . . .

وكتب اليازجي بعد ذلك في عدد يونيو سنة ١٩٠٣ م من مجلة (الضياء) في تقريب الجزء الأول من (ديوان الرافعي) ما يأتي:

«وقد صدره الناظم بمقدمة في تعريف الشعر ، ذهب فيها مذهباً عزيزاً في البلاغة ، وتبسط ما شاء في وصف الشعر وتقسيمه وبيان مزيتة ، في كلام تضمن من فنون المجاز ، وضروب الخيال ما إذا تدبرته وجدته هو الشعر بعينه . . .»

ثم انتقد اليازجي بعض ألفاظ في الديوان ، وعقب عليها بقوله: «على أن هذا لا ينزل من قدر الديوان، وإن كان يستحب أن يخلو منه، لأن المرأة النقية لا تستر أدنى غبار، ومن كملت محاسنه ظهر في جنبها أقل العيوب؛ وما انتقدنا هذه المواضع إلا ضناً بمثل هذا النظم أن تتعلق به هذه الشوائب ، ورجاء أن يتنبه إلى مثلها في المنتظر، فإن الناظم أن تتعلق به هذه الثالثة والعشرين من سبته، ولا ريب أن من أدرك هذه المنزلة في مثل هذه السن، سيكون من الأفراد المجليين في هذا العصر، ومن سيحلون جيد البلاغة بقلائد النظم والنثر» .

بلغ الرافعي بالجزء الأول من ديوانه مبلغه الذي أراد ، واستطاع بغير عناء كبير أن يلفت إليه أنظار أدباء عصره . ثم استمر على دأبه ، فأصدر في سنة ١٩٠٤ م الجزء الثاني من الديوان^(١) ، وفي سنة ١٩٠٦ م أخرج الجزء الثالث^(٢) ، وفي سنة ١٩٠٨ م الجزء الأول من (ديوان النظرات)^(٣)؛ ومضى على سنته ، مغنياً

(١) طبع بمطبعة الجامعة بالإسكندرية ١٣٢٢ هـ .

(٢) طبع بمطبعة الأخبار في الفجالة ١٣٢٤ هـ .

(٣) وهو هذا الكتاب ، وقد طبع لأول مرة في مطبعة الجريدة بمصر عام ١٣٢٧ هـ = ١٩٠٨ م .

بالشعر ، متصرفاً في فنونه ، ذاهباً في مذاهبه ، لا يرى هدفاً إلا أن يبلغ منزلة من الشعر تخلد اسمه بين شعراء العربية .

ومضى الرافعي يسعى إلى غايته في الشعر ، وقد تزوّد زادة من الأدب القديم ، ووعى ما وعى من تراث شعراء العربية ، وكان أمامه مثلاً من شعراء عصره ، يمتد إليهما طرفه ، ويتعلق بهما أمله : هما (البارودي) و(حافظ) .

أما أولهما : فكانت له زعامة الشعر ، على مفرقه تاجه ، وفي يده صولجانه ، قد قوي واستحصّد ، واستوى على عرشه بعد جهاد السنين ، ومكابدة الأيام .

وأما الثاني : فكان في الشباب والحدائق ، وكان جديداً في السوق ، قد فتته الشهرة ، وفكنت به من حوله ؛ فأخذ الرافعي ينظر إليه وإلى نفسه ، ويوازن بين حال وحال ، ويقايس بين شعر وشعر ؛ فقرّر في نفسه أنه هو وهو . . وأنهما في منزلة سواء ، وأنه مستطيع أن يبلغ مبلغه ، ويصير إلى مكانه إذا أراد ؛ فسار على سُنّته ، وجرى في ميدانه ، لا يكاد حافظ يقول : أنا . . حتى يقول الرافعي : أنا وأنت . . وما فاتته أن حافظاً يغالبه بالشهرة السابقة ، ويطاوله بالجاه والأنصار ، ويفاخره بمكانته من الأستاذ الإمام [محمد عبده] وبمنزلته عند البارودي زعيم الشعراء ، وبحظوته عند الشعب .

فراح الرافعي يستكمل أسباب الكفاح ، ويستتمّ النقص ؛ فأكد صلته بالبارودي ، وعقد أصرة بينه وبين الأستاذ الإمام ، ومضى يتحدث في المجالس ، وينشر في الصحف ، ويزيع اسمه بين الناس ، وانتهر نهزة^(١) فذهب يستطيل بأنه (شاعر الحُسْن) وبأن حافظاً لا يقول في الغزل والنسيب . . !

كانت المنافسة بينه وبين حافظ منافسة مؤذبة كريمة ، لم تعكز ما بينهما من صفو المودات ، ولم تجن على صداقتهما القوية ، فظل الرافعي وحافظ صديقين حميمين ، منذ تعارفا سنة ١٩٠٠ م إلى أن قضى حافظ رحمه الله في سنة ١٩٣٢ م .

في إثبات هذه المعركة الصامتة بين الرافعي وحافظ ، قديم إلى مصر شاعر كبير لم يكن الرافعي يعرفه ، أو يسمع به ، أو قرأ شيئاً من شعره ، ذلك هو شاعر

(١) النهزة : الفرصة .

العراق الكبير المرحوم عبد المحسن الكاظمي^(١)، ونشرت له الصحف غداة مقدّميه قصيدة عينية من بحر الطويل، قرأها الرافعي فاستجادها، ورأى فيها فناً ليس من فن الشعراء المعاصرين الذين قرأ لهم، فملكث نفسه، وبلغت منه مبلغاً، وقَرَّرَ لساعته أن يسعى إلى التعرّف به، ليصل به حبله، ويقتبس من أدبه، وكان الرافعي يومئذ كاتباً بمحكمة طرخا، ففارق عمله بغير إجازة، وسعى إلى لقاء الكاظمي في القاهرة، وهو يُمني نفسه بأن يكون بينهما من الود ما يرفع من شأن الرافعي، ويُجدي على أدبه. وكان في الكاظمي - رحمه الله - أنفة وكبرياء، فأبى على الرافعي أن يلقاه، وردّه ردّاً غير جميل، إذ كان الرافعي يومئذ نكرة في الأدباء، وكان الكاظمي ما كان في علمه وأدبه وشهرته وكبريائه، مع خلّته وفقره؛ واصطدمت كبرياء بكبرياء، وثار دم الرافعي، وغلى غليانه، فذهب من فوره، فأنشأ مقالة (أو قصيدة، لا أذكر) نال فيها من الكاظمي ما استطاع أن ينال بذمه والزراية عليه، الغص من مكانته؛ وما كان الرافعي مؤمناً بما كتب، ولكنّه قصد أن يلفت الشاعر إليه بالإنذار والتخويف، بعدما عجز أن يبلغ إليه بالزلفى والكرامة.

وفعلت هذه الكلمة فعلها في التقرب بين الأدبيين، فأتصل الرافعي بالكاظمي وصفاً ما بينهما، وأخلصا في الوداد والحب، حتى لم يكن بينهما حجاب، وحتى صار الرافعي أصفى أصفياء الكاظمي، وصار الكاظمي أشعر الشعراء المعاصرين عند الرافعي، ثم ارتفعت الصلة بينهما عمّا يكون بين التلميذ والأستاذ، وتصادقا صداقة النظراء، حتى إنّه لما همّ الكاظمي أن يسافر إلى الأندلس في سنة ١٩٠٥ م كتب كتاباً إلى الرافعي يقول فيه: «... ثق أنني أسافر مطمئناً وأنت بقيت في مصر».



وتألق نجم الرافعي الشاعر، وبرز اسمه بين عشرات الأسماء من شعراء عصره برّاقاً تلتئم أضواؤه، وترمي أشعتها إلى بعيد، ولقي من حفاوة الأدباء ما لم

(١) عبد المحسن الكاظمي (١٢٨٢ - ١٣٥٤ هـ = ١٨٦٥ - ١٩٣٥ م) أبو المكارم. شاعر فحل، كان يلقب بشاعر العرب، نشأ في الكاظمية فنسب إليها، وكان آية في الارتجال، نشر ديوانه منجماً، ثم جمع في آخره، وطبع في مجلد كبير.

يلقه إلا الأقلون من أدباء هذه الأمة ، فكتب إليه الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده يقول :

« . . أسأل الله أن يجعل للحق من لسانك سيفاً يمحى به الباطل ، وأن يقيمك في الأواخر مقام حسان في الأوائل » .

وكتب المرحوم الزعيم مصطفى كامل باشا يقول :

« . . . وسباني يوم إذا ذكر فيه الراجعي قال الناس : هو الحكمة العالية مصوغة في أجمل قالب من البيان » .

وكتب حافظ ، وقال البارودي ، ونظم الكاظمي ، وتحدث الأدباء والشعراء ما تحدثوا عن الراجعي الشاعر .

ليس كل شعر الراجعي في دواوينه ، وليس كل ما في دواوينه يدل على فنه وشاعريته ؛ فالجيد الذي لم ينشر من شعر الراجعي أكثر مما نشر ؛ وقد كان في نية الراجعي لو أمهلت المنية أن يتبرع لشعراء اليوم بأكثر ما في دواوينه ، ثم يخرج منها ومما لم ينشر ديواناً واحداً مهذباً مصقولاً ، ليقدّمه هدية منتقاة إلى الأدباء والمتأدبين ؛ ولكن الموت غاله ، فبطل أمره ، وبقي عمله تراثاً باقياً لمن يشاء أن يسدي يداً إلى العربية يتم بها صنع الراجعي^(١) .



(١) حياة الراجعي ٤٦ - ٥١ بتصرف يسير .

مقدمات في فلسفة الشعر وحقيقته

المقدمة الأولى : في معنى الشعر وفنونه ومذاهبه وأوليته .

المقدمة الثانية : في سرقة الشعر ، وتوارد الخواطر .

المقدمة الثالثة : نوع من نقد الشعر .

المقدمة الرابعة : مقدمة في حقيقة الشعر .

المقدمة الأولى

**في معنى الشعر وفنونه
ومذاهبه وأوليته**

أَوَّلُ الشَّعْرِ اجْتِمَاعُ أَسْبَابِهِ ، وَإِنَّمَا يُزَجَّعُ فِي ذَلِكَ إِلَى طَبْعِ صَقَلَتُهُ الْحِكْمَةُ ، وَفَكْرٍ جَلَا صَفَحَتُهُ الْبَيَانُ ، فَمَا الشُّعْرُ إِلَّا لِسَانُ الْقَلْبِ إِذَا خَاطَبَ الْقَلْبَ ، وَسَفِيرُ النَّفْسِ إِذَا نَاجَتْ النَّفْسَ ، وَلَا خَيْرَ فِي لِسَانٍ غَيْرِ مُبِينٍ ، وَلَا فِي سَفِيرٍ غَيْرِ حَكِيمٍ .
وَلَوْ كَانَ طَيْرًا يَنْغَرِّدُ لَكَانَ الطَّبْعُ لِسَانَهُ ، وَالرَّأْسُ عَشَاهُ ، وَالْقَلْبُ رَوْضَتُهُ ، وَلَكَانَ غَنَاؤُهُ مَا تَسْمَعُهُ مِنْ أَفْوَاهِ الْمُجِيدِينَ مِنَ الشُّعْرَاءِ ، وَحَسْبُكَ بِكَلَامٍ تَنْصَرِفُ إِلَيْهِ كُلُّ جَارِحَةٍ ، وَتُضَمُّ عَلَيْهِ كُلُّ جَانِحَةٍ ، وَيَجْنِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى لَتَحَسِبَ الشُّعْرَاءُ مِنَ النَّحْلِ ، تَأْكُلُ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَ ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل : ٦٩] .

كَأَنَّمَا هُوَ بَقِيَّةٌ مِنْ مَنْطِقِ الْإِنْسَانِ ، اخْتَبَأَتْ فِي زَاوِيَةٍ مِنَ النَّفْسِ ، فَمَا زَالَتْ بِهَا الْحَوَاسُّ حَتَّى وَزَنْتَهَا عَلَى ضَرْبَاتِ الْقَلْبِ ، وَأَخْرَجَتْهَا بَعْدَ ذَلِكَ أَلْحَانًا بِغَيْرِ إِيقَاعٍ ، أَلَا تَرَاهَا سَاعَةَ النَّظْمِ كَيْفَ تَنْفَرِّغُ كُلُّهَا ، ثُمَّ تَتَعَاوَنُ ، كَأَنَّمَا تَبْحَثُ بِنُورِ الْعَقْلِ عَنْ شَيْءٍ غَابَ عَنْهَا فِي سَوِيْدَاءِ الْفَوَادِ وَظُلُمَاتِهِ ، لِذَلِكَ كَانَ أَحْسَنُ الشُّعْرِ مَا تَتَغَنَّى بِهِ قَبْلَ عَمَلِهِ ، وَهِيَ طَرِيقَةٌ تَفْتَنُ فِيهَا الشُّعْرَاءُ ، حَتَّى كَانَ الْحَطِيبَةُ^(١) يَغْوِي فِي أَثَرِ الْقَوَافِي غَوَاءَ الْفَصِيلِ^(٢) فِي أَثَرِ أُمِّهِ .

وَتَرَى الْمُجِيدَ مِنْ أَهْلِ الْغِنَاءِ إِذَا رَفَعَ عَقِيرَتَهُ^(٣) يَتَغَنَّى ، ذَهَبَ فِي التَّحَرُّكِ مَذَاهِبٌ ، حَتَّى كَأَنَّمَا يَنْتَرِعُ كُلُّ نَغْمَةٍ مِنْ مَوْضِعٍ فِي نَفْسِهِ ، فَيَتَأَلَّفُ مِنْ ذَلِكَ صَوْتٌ إِذَا أَجَالَ حَلَقَهُ فِيهِ ، وَقَعَتْ كُلُّ قِطْعَةٍ مِنْهُ فِي مِثْلِ مَوْضِعِهَا مِنْ كُلِّ مَنْ يَسْمَعُ ، فَلَا يَلْبِثُ أَنْ يَسْتَفْزَهُ طَرِبُهُ ، كَأَنَّمَا انْجَذَبَ قَلْبُهُ ، وَنَضَبُو نَفْسُهُ ، كَأَنَّمَا أَخَذَ حِسَّهُ ،

(١) هُوَ جُرُولُ بِنِ أَوْسَ بْنِ مَالِكِ الْعَبْسِيِّ ، أَبُو مُلَيْكَةَ ، شَاعِرٌ هَجَاءَ أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ (ت ٤٥ هـ) .

(٢) الْفَصِيلُ : وَلَدُ النَّاقَةِ إِذَا فَصَلَ عَنْ أُمِّهِ وَالْجَمْعُ فُصْلَانٌ وَفِصَالٌ .

(٣) قَوْلُهُ (عَقِيرَتُهُ) أَيُّ صَوْتِهِ ، وَالْعَقِيرَةُ فِي اللُّغَةِ هِيَ الرَّجُلُ ، وَأَصْلُ الْكَلِمَةِ : أَنَّ رَجُلًا قَطَعَتْ رِجْلَهُ ، فَرَفَعَهَا ، وَصَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ ، فَقَالُوا : رَفَعَ عَقِيرَتَهُ ، وَشَاعَ هَذَا الْإِسْتِعْمَالُ حَتَّى أُطْلِقَتْ الْعَقِيرَةُ عَلَى الصَّوْتِ . (ر) .

لا فرق في ذلك بين أعجمي وعربي ، ومن أجل هذا ترى أحسن الأصوات يغلب على كل طبع ، وإنما الشاعر والمغني في جذب القلوب سواء ، وفي سحر النفوس أكفاء ، إلا أن هذا يوحى إلى القلب ، وذلك ينطق عنه ، أحدهما يفيض عليه ، والثاني يأخذ منه . والويل لكليهما : إذا لم يطرب هذا ، ولم يعجب ذلك .



والشعر موجود في كل نفس من ذكر وأنثى ، فإنك لتسمع الفتاة في خدرها ، والمرأة في كسر بيتها ، والرجل وقد جلس في قومه ، والصبي بين إخوته ، يقضون عليك أضغاث أحلام ، فتجد في أثناء كلامهم من عبق الشعر ما لو نسمة لفعمك^(١) ، وحسبك أن تكسر وسادك ، تتحدث إليهم ، فتراه طائراً بين أمثالهم ، وفي فلتات السنين ، وهو كأنما قد ضل أعشاشه .

ولقد نبغ فيه من نساء هذه الأمة شمس سطعن في سماء البيان ، وطلعن في أفق البلاغة ، ولا يزال الناس إلى اليوم ، يروون للخنساء^(٢) وجنوب^(٣) وعلية^(٤) وعنان^(٥) ونزهون^(٦) وولادة^(٧) وغيرهن ، وبحسبك قول النواصي^(٨) : ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة ، منهن الخنساء وليلى^(٩) .

ولو كان الشعر هذه الألفاظ الموزونة المقفأة لعددناه ضرباً من قواعد الإعراب ، لا يعرفها إلا من تعلمها ، ولكنه يتنزل من النفس منزلة الكلام لكل إنسان ينطق به ، ولا يقيمه كل إنسان .

- (١) فغمه الطيب : سدّ خياشيمه . (ر) .
- (٢) تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد السلمية ، أشهر شواعر العرب (ت ٢٤ هـ) .
- (٣) جنوب بنت عجلان الهذلية .
- (٤) عليّة بنت المهدي ، من بني العباس ، أخت هارون الرشيد ، أديّة شاعرة تحسن صناعة الغناء (ت ٢١٠ هـ) .
- (٥) عنان الناطقية ، شاعرة مستهترة بغدادية ، من أذكي النساء وأشعرهن (ت ٢٢٦ هـ) .
- (٦) نزهون بنت القلاعي الغرناطية ، شاعرة أديّة أندلسية (ت ٥٥٠ هـ) .
- (٧) ولادة بنت المستكفي بالله الأموية شاعرة أندلسية من بيت الخلافة (ت ٤٨٤ هـ) .
- (٨) أبو نواس الحسن بن هانئ ، الحكمي ، شاعر العراق في عصره (ت ١٩٨ هـ) .
- (٩) ليلى بنت عبد الله بن الرحال الأخيالية ، من بني عامر بن صعصعة ، شاعرة ، فصيحة ، ذكية ، جميلة (ت ٨٠ هـ) .

وأما ما يعرض له بعد ذلك من الوزن والتقفية فكما يعرض للكلام من استقامة التركيب والإعراب ، وإنك إنما تمدح الكلام بإعراجه ، ولا تمدح الإعراب بالكلام .

ولم أقرأ أجمع فيه من قول حكيم العصر ، وإمام الإفتاء في مصر^(١) : «لو سألوا الحقيقة أن تختار مكاناً تُشرف منه على الكون لما اختارت غير بيت من الشعراء» ، ولا فيما قالوه في الشعراء أجمع من قول كعب الأحبار^(٢) : «الشعراء أناجيلهم في صدورهم ، تنطق بالحكمة» .

ولم يكن لأوائل العرب من الشعراء إلا الأبيات يقولها الرجل في الحاجة تعرض له ، كقول دويد بن زيد^(٣) حين حضره الموت ، وهو من قديم الشعر العربي :

اليوم يئس لدؤي يئس
لو كان للدفن يئس أهلي
أو كان قرني واحداً كفئس

وإنما قصدت القصائد على عهد عبد المطلب^(٤) أو هاشم بن عبد مناف^(٥) .
وهناك رفع امرؤ القيس^(٦) ذلك اللواء ، وأضاء تلك السماء التي ما طاولتها سماء ، وهو لم يتقدم غيره إلا بما سبق إليه ، مما اتبعه فيه من جاء بعده .

(١) محمد عبده بن حسن خير الله ، من آل التركمانى ، مفتي الديار المصرية (ت ١٣٢٣ هـ = ١٩٠٥ م) .

(٢) كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري ، أبو إسحاق ، تابعي ، كان في الجاهلية من كبار علماء يهود في اليمن (ت ٣٢ هـ) .

(٣) هو دويد بن زيد بن نهدي بن زيد بن حوثكة بن أسلم بن إلحاف بن قضاة ، والأبيات في المؤلف والمختلف ص ١٦٤ .

(٤) هو شيبة بن هاشم بن عبد مناف ، أبو الحارث جد النبي ﷺ ، زعيم قريش في الجاهلية ، وأحد سادات العرب ومقدميهم ، وعبد المطلب لقب غلب عليه (ت ٤٥ ق هـ) .

(٥) هاشم بن عبد مناف من قريش ، اسمه عمرو ، سيد من سادات العرب في الجاهلية ، وهو أحد أجداد النبي ﷺ .

(٦) امرؤ القيس حنظل بن حنظل بن الحارث الكندي ، أشهر شعراء العرب على الإطلاق ، ولزافعي مقال فيه ينظر في (وحي القلم) ٤١٥ / ٣ .

فهو أول من استوقف على الطلول ، ووصف النساء بالظباء والمهي
والبيض ، وشبه الخيل بالعقبان والعصي ، وفرق بين النسيب وما سواه من
القصيدة ، وقرب مأخذ الكلام ، وقيد أوابده ، وأجاد الاستعارة والتشبيه ، ولقد
بلغ منه أنه كان يتعنت على كل شاعر بشعره .

ثم تتابع القارضون من بعده ، فمنهم من أسهب فأجاد ، ومنهم من كبا كما
يكبو الجواد ، وبعضهم كان كلامه وحي الملاحظ ، وفريق كان مثل سهيل في
النجوم ، يعارضها ولا يجري معها .

ولقد جدوا في ذلك حتى إن منهم من كان يظن أن لسانه لو وضع على الشعر
لحلقه ، أو الصخر لفلقه .

ذلك أيام كان للقول غرر في أوجه ومواسم ، بل أيام كان من قدير الشعراء أن
تغلب عليهم ألقابهم بشعرهم ، حتى لا يعرفون إلا بها : كالمُرْقَش^(١) ،
والمُهْلَهْل^(٢) ، والشريد^(٣) ، والمُمَرِّق^(٤) ، والمُتَلَمِّس^(٥) ، والنابعة^(٦) ،
وغيرهم .

ومن قدير الشعر أن كانت القبيلة إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها بذلك ،

(١) عرف بهذا اللقب النان المرقش الأكبر ، وهو عمرو بن سعد بن مالك من بني بكر بن وائل ،
شاعر جاهلي من المتيسين الشجعان ، وهو عم المرقش الأصغر (ت ٧٥ ق هـ) أما المرقش
الأصغر فهو ربيعة بن سفيان بن سعد ، كان : أجمل الناس وجهاً ، وأحسنهم شعراً ،
(ت ٥٠ هـ) ، ولقب الأكبر بالمرقش لقوله : [من السريع]

الدار قفر ، والرموم كما رُقش في ظهر الأدبم قلّم
(٢) هو عدي بن ربيعة ، من تغلب ، شاعر ، من أبطال العرب في الجاهلية ، لقب مهلهل لأنه
أول من هلهل نسج الشعر أي رققه (ت ١٠٠ ق هـ) .

(٣) عمرو بن رباح السلمي أبو الخشاء ، ولقب بالشريد لقوله : [من الوافر]

تولّى إخوتي وبقيت فرداً وحيداً في ديارهم شريداً
(٤) هو شأس بن نهر ، من بني عبد القيس ، شاعر جاهلي لقب بالممرق لقوله : [من الطويل]

فإن كنت مأكولاً فكمن خيّر أكلي وإلا فأدركنسي ولمّا أمَرّق

(٥) هو جرير بن عبد العزى أو عبد المسيح ، من بني ضبيعة من ربيعة ، شاعر جاهلي من أهل
البحرين ، وهو خال طرفة بن العبد (ت ٥٠ ق هـ) .

(٦) هو زياد بن معاوية الغطفاني المضري شاعر جاهلي من أصحاب المعلقات (ت ١٨ ق هـ) .

وَصُنَعَتِ الْأَطْعَمَةُ ، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الأعراس ،
وأيتام كانوا لا يهتنون إلا بغلام يولد ، أو شاعر ينبغ ، أو فرس تنتج ، وكانت
البنات ينفقن بعد الكساد إذا شَبَبَ بهن الشعراء^(١).

* * *

ولم يترك العرب شيئاً مما وقعت عليه أعينهم ، أو وقع إلى آذانهم ، أو اعتقدوه
في أنفسهم إلا نظموه في سِمِطٍ من الشعر ، وأخروه في سَفِطٍ من البيان ، حتى
إنك لترى مجموع أشعارهم ديواناً فيه من عوائدهم وأخلاقهم وآدابهم وأبائهم ،
وما يستحسنون ويستهجنون حتى من دوابهم ، وكان القائل منهم يستمد عفو
هاجيه ، وربما لفظ الكلمة تحسبها من الوحي ، وما هي من الوحي ، ولم تكن
تفاضل بينهم إلا أخلاقهم الغالبة على أنفسهم.

فزهير^(٢) أشعرهم إذا رغب ، والنابعة إذا رهب ، والأعشى^(٣) إذا طرب ،
وعنترة^(٤) إذا كلب^(٥) ، وجريز^(٦) إذا غضب ، وهلم جرا.

* * *

ولكل زمن شعر وشعراء ، ولكل شاعر مرآة من أيامه ، فقد انفرد امرؤ القيس
بما علمت ، واختص زهير بالحوليات ، واشتهر النابغة بالاعتذارات ، وارتفع
الكميت^(٧) بالهاشميات ، وشمخ الحطيئة بأهاجيه ، وساق جريز قلائصه^(٨) ،

-
- (١) كما حصل بين الأعشى والمعلق. انظر الأغاني ٩/ ١١٣-١٦٧ ، وديوان الأعشى ص (٢٦٦).
(٢) هو زهير بن أبي سلمى المزني حكيم الشعراء في الجاهلية ، من أصحاب المعلقات (ت ١٣ ق هـ).
(٣) هو ميمون بن قيس بن جندل ، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي المعروف بأعشى قيس ، من
شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية ، وأحد أصحاب المعلقات (ت ٧ هـ).
(٤) هو عنترة بن عمرو بن شداد العبسي أشهر فرسان العرب في الجاهلية ، ومن شعراء الطبقة
الأولى ، وأحد أصحاب المعلقات (ت ٢٢ ق هـ).
(٥) شد في الحرب.
(٦) جريز بن عطية البريوعي التميمي ، أشهر شعراء العصر الأموي (ت ١١٠ هـ).
(٧) الكميث بن زيد بن خنيس الأسدي الكوفي ، شاعر الهاشميين (ت ١٢٦ هـ).
(٨) القلوص: من النوق الشابة ، وهي بمنزلة الجارية من النساء ، وجمعها قلوص.

وبرز عدي^(١) في صفات المطية ، وطفيل^(٢) في الخيل ، والشماخ^(٣) في الحمير ، ولقد أنشد الوليد بن عبد الملك^(٤) شيئاً من شعره فيها ، فقال : « ما أوصفه لها ، إنني لأحسب أن أحد أبويه كان حماراً » .

وحسبك من ذي الرمة^(٥) رئيس المشبهين الإسلاميين أنه كان يقول : « إذا قلتُ كأن ، ولم أجد مخلصاً منها ، فقطع الله لساني » .

ولقد قتن الناس ابن المعتز^(٦) بتشبيهاً به ، وأسكرهم أبو نواسُ بخمرياته ، ورقت قلوبهم على زهديات أبي العتاهية^(٧) ، وجرت دموعهم لمراثي أبي تمام^(٨) ، وابتهجث أنفسهم بمدايح البحتري^(٩) ، وروضيات الصنوبري^(١٠) ، ولطائف كشاجم^(١١) .

فمن أزجع بصره في ذلك ، وسلك في الشعر ببصرة المعري^(١٢) ، وكانت له

- (١) عدي بن زيد بن الرقاع العاملي ، شاعر كبير من أهل دمشق (ت ٩٥ هـ) .
- (٢) طفيل بن عوف بن كعب الغنوي من قيس عيلان ، شاعر جاهلي فحل ، من الشعجان ، ويسمى أيضاً المحبر لتحسينه شعره (ت ١٣ ق هـ) .
- (٣) الشماخ بن ضرار الغطفاني ، شاعر مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام (ت ٢٢ هـ) .
- (٤) سادس الخلفاء الأمويين ، وفي عهده تمت الفتوح العظيمة (ت ٩٦ هـ) .
- (٥) هو غيلان بن عقبة بن نهيس العدوي ، من مضر ، شاعر من فحول الطبقة الثانية في عصره (ت ١١٧ هـ) .
- (٦) هو عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل ، أبو العباس ، خليفة يوم وليلة ، شاعر مبدع (ت ٢٩٦ هـ) .
- (٧) هو إسماعيل بن القاسم العيني العنزي بالولاء ، أبو إسحاق ، شاعر مكث ، سريع الخاطر ، في شعره إبداع (ت ٢١١ هـ) .
- (٨) انظر ترجمته ص (٥٣) في الحاشية (٢) .
- (٩) هو الوليد بن عبيد الطائي ، أبو عباد ، شاعر كبير ، يقال لشعره (سلامل الذهب) (ت ٢٨١ هـ) .
- (١٠) هو أحمد بن محمد بن الحسن الضبي الحلبي الأنطاكي ، أبو بكر ، شاعر اقتصر في أكثر شعره على وصف الرياض والأزهار (ت ٣٣٤ هـ) .
- (١١) هو محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك ، أبو الفتح الرملي ، شاعر متفطر ، أديب من كتاب الإنشاء ، ولفظ كشاجم منحوت من علوم كان يتقنها ، فالكاف للكتابة ، والشين للشعر ، والألف للإنشاء ، والجيم للجدل ، والميم للمنطق (ت ٣٦٠ هـ) .
- (١٢) هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التتويحي شاعر فيسوف ، ولد ومات في معرة النعمان (ت ٤٤٩ هـ) .

أداة ابن الرومي^(١) ، وفيه غزلُ ابن أبي ربيعة^(٢) ، وصَبَابَةُ ابن الأحنف^(٣) ، وطِيعُ ابن بُزْدٍ^(٤) ، وله اقتدارُ مُسلم^(٥) ، وأجنحةُ ديك الجن^(٦) ، ورقَّةُ ابن الجهم^(٧) ، وفخرُ أبي فراس^(٨) ، وحنينُ ابن زيدون^(٩) ، وأنفَةُ الرُّضِيِّ^(١٠) ، وخطراتُ ابن هانئ^(١١) ، وفي نفسه من فكاهة أبي دلامة^(١٢) ، ولعينيه بصرُ ابن خفاجة^(١٣) بمحاسن الطبيعة ، وبين جنبه قلبُ أبي الطَّيِّب^(١٤) فقد استحقَّ أن يكونَ شاعرَ دهره ، وصنَّاجةَ عصره .

- (١) هو علي بن العباس بن جريج الرومي أبو الحسن ، شاعر كبير من طبقة بشار والمنتبي (ت ٢٨٣ هـ).
- (٢) هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي ، أبو الخطاب ، أرق شعراء عصره (ت ٩٣ هـ).
- (٣) العباس بن الأحنف اليمامي ، أبو الفضل ، شاعر غزل رقيق (ت ١٩٢ هـ).
- (٤) هو بشار بن برد العقيلي بالولاء ، أبو معاذ ، أشعر المولدين على الإطلاق ، أصله من طخارستان (ت ١٦٧ هـ).
- (٥) مسلم بن الوليد الأنصاري بالولاء أبو الوليد الكوفي ، البغدادي ، شاعر غزل ، وهو أول من أكثر من البديع ، ثقب صريع الغواني لأنه لما نزل بغداد أنشد الرشيد : [من الطويل] وما العيشن إلا أن تسروخ مع الصبا وتغدو صريع الكأس والأعين الثجل هو عبد السلام بن رغبان الكلبي ، شاعر مُجيد ، فيه مجون ، من شعراء العصر العباسي ، سمي ديك الجن لأن عينيه كانتا خضراوين (ت ٢٣٥ هـ).
- (٦) علي بن الجهم بن بدر أبو الحسن من بني سامة ، من لؤي بن غالب ، شاعر ، رقيق الشعر ، من أهل بغداد (ت ٢٤٩ هـ).
- (٨) هو الحارث بن سعيد بن حمدان من بني تغلب ، أمير شاعر ، فارس ، وهو ابن عم سيف الدولة الحمداني (ت ٣٥٧ هـ).
- (٩) هو أحمد بن عبد الله المخزومي الأندلسي ، وزير كاتب شاعر (ت ٤٦٣ هـ).
- (١٠) هو محمد بن الحسين أبو الحسن العلوي الحسيني المرسوي ، أشعر الضالين (ت ٤٠٦ هـ).
- (١١) هو محمد بن هانئ بن سعدون الأزدي الأندلسي ، أشعر المغاربة على الإطلاق (ت ٣٦٢ هـ).
- (١٢) هو زند بن الجون الأسدي مولاهم ، شاعر مطبوع من أهل الظرف والدعابة (ت ١٦١ هـ).
- (١٣) هو إبراهيم بن أبي الفتح الهواري الأندلسي ، شاعر غزل ، من الكتاب البلغاء (ت ٥٣٣ هـ).
- (١٤) هو أحمد بن الحسين الجعفي الكتني الكوفي الشاعر ، أحد مفاخر الأدب العربي (ت ٣٥٤ هـ).

ولا يهولئك ذلك إذا لم تستطع عَدَّ الشعراء الذين انتحلوا هذا الاسم ،
والحقوة بأنفسهم إلحاق الواو بعمرو ، فكلهم أموات غير أحياء وما يشعرون .

وأبرع الشعراء مَنْ كان خاطرُهُ هدفًا لكل نادرة ، فربما عرضت للشاعر أحوال
مما لا يعني غيره ، فإذا علق بها فكرُهُ ، تمحَّضت عن بدائع من الشعر ، فجاءت
بها كالمعجزات ، وهي ليست من الإعجاز في شيء ، ولا فضل للشاعر فيها إلا
أنه تنبَّه لها .

ومَنْ شدَّ يده على هذا جاء بالنادر من حيث لا يتيسر لغيره ، ولا يقلدُ هو عليه
في كل حين .

وليس بشاعر مَنْ إذا أنشدك لم تحسب أن سمعته مخبوء في فؤادك ، وأن عينك
تنظر في شغافه ، فإذا تغزل أضحكك إن شاء ، وأبكأك إن شاء ، وإذا تحمَّس
فزعت لمساقط رأسك ، وإذا وصف لك شيئاً هممت بلمسه ، حتى إذا جئت لم
تجد شيئاً ، وإذا عتب عليك جعل الذنب لك الزم من ظلك ، وإذا نثل كنانته
رأيت من يزمينه صريعاً لا أثر فيه لقذيفة ولا مديّة ، ولكنها كلمة فتحت عليها
عينه ، أو ولجت إلى قلبه من أذنيه ، فاستقرت في نفسه ، وكأنما استقرت على
جمر ، وإذا مدح حسبت الدنيا تجاوبه ، وإذا رئي خفت على شعره أن يجري
دموعاً ، وإذا وعظ استوقفت الناس كلمته ، وزادتهم خشوعاً ، وإذا فخر اشتم
من لحيته رائحة الملك ، فحسبت أنما خفت به الأملاك والمواكب .

وجماع القول في براعة الشاعر أن يكون كلامه من قلبه ، فإن الكلمة إذا
خرجت من القلب وقعت في القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الأذن .

ولقد رأينا في الناس من تكلف الشعر على غير طبع فيه ، فكان كالأعمى
يتناول الأشياء ليقرأها في مواضعها ، وربما وضع الشيء الواحد في موضعين أو
مواضع ، وهو لا يدري .

وأبصرنا فيهم كذلك من يَجِيءُ باللفظِ المونقِ ، والوشى النَّصيرِ ، فإذا نثرت
أوراقه لم تجد فيها إلا ثمراتِ فجّة .

ورأينا في المطبوعين من أثقلَ شعرةً بأنواع من المعاني ، فكانَ كالحسناءِ
تزيّدت من الزينة حتى سَمَجَتْ ، فصَرَفَتْ عنها العيونَ بما أرادت أن تلفتها به .
على أن أحسنَ الشعرِ ما كانت زينته منه ، وكلُّ ثوبٍ لِسِنَّهُ الغانية فهو معرضها .
وهو عندي أربعة أبياتٍ : بيتٌ يُسْتَحْسَنُ ، وبيتٌ يَسِيرُ ، وبيتٌ يَنْدُرُ ، وبيتٌ
يُجَنُّ به جنوناً ، وما عدا ذلك فكالشجرة التي تُفَضُّ ثمرها ، وُجِنِي زهرها ،
لا يَرَعْبُ فيها إلا مُخْطَبٌ .



أما مذاهبه التي أبانوها من الغزلِ ، والنسبِ ، والمدحِ ، والهجاءِ ؛
والوصفِ ، والرثاءِ ، وغيرها ، فهي شعوبٌ منه ، وما انتهى المرءُ من مذهبٍ فيه
إلا إلى مذهبٍ ، ولا خرجَ من طريقٍ إلا إلى طريقٍ ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ
يَهِيمُونَ ﴾ [الشعراء : ٢٢٥] .

وما دامت الأعمارُ تتقلبُ بالناسِ فالشعرُ أطوارٌ :

أونةٌ تخطرُ فيه نسماتُ الصبا ما بينَ أفنانِ الوصفِ ، إلى أزهارِ الغزلِ ،
ويتسببُ ^(١) فيه ماءُ الشبابِ من نهرِ الحياةِ إلى مَشْرَعَةِ الأملِ .
وطوراً تراه جَمُّ النشاطِ ، تكادُ تُصْقِلُ بمائه السيوفُ ، وتفرّقُ بحذِهِ الصفوفُ .
وحيناً تجدّه وقد ألبَسَهُ المشيبُ ثوبَ الاعتبارِ ، وجَمَلَهُ بِمِسْحَةٍ من الوقارِ ،
وهو في كلِّ ذلك يروي عن الأيامِ ، وتروي عنه ، وما أكثرَ فنونَ الشعرِ إذا رويتها
عن أفانينِ الأيامِ !



وأما ميزانه : فاعمدْ إلى ما تريدُ نقدَه ، فَرُدّه إلى النثرِ ، فإن استطعتَ حذفَ
شيءٍ منه لا ينقصُ مِنْ معناه ، أو كانَ في نثرِهِ أكملُ منه منظوماً ، فذلك الهذرُ
بعينه ، أو نوعٌ منه .

(١) يتسبب : يجري ويسيل .

ولن يكون الشعرُ شِعْراً حتى تجدَ الكلمةَ من مَطْلَعِهَا لِمَقْطَعِهَا مَفْرَغةً في قالبٍ واحدٍ من الإِجَادَةِ ، وتلك مَقْلَدَاتُ الشُعراء .

إليك مثلاً قولَ ابنِ الروميِّ يَصِفُ مُنْهَزمًا :
[من المنسرح]
لَا يَعْرِفُ الْقِرْنَ وَجْهَهُ ، وَبَرَى قَفَاهُ مِنْ فَرْسَخٍ فَيَعْرِفُهُ
فَقَلْبٌ نَظَرَكَ بَيْنَ أَلْفَافِهِ ، وَأَجَلُهُ فِي نَفْسِكَ ، ثُمَّ ارْجِعْ إِلَى قَوْلِ ذَلِكَ الْخَارِجِيِّ ، وَقَدْ قَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ^(١) : أَخْبِرْنِي أَيُّ أَصْحَابِي كَانَ أَشَدَّ إِقْدَاماً فِي مَبَارَزَتِكَ ؟ فَقَالَ : مَا أَعْرِفُ وَجُوهَهُمْ ، وَلَكِنْ أَعْرِفُ أَقْفَاءَهُمْ ، فَقُلْ لَهُمْ يَدْبُرُوا أَعْرَافَكَ .

أُنِسْتَ تَرَى فِي ذَلِكَ النِّظْمِ مِنْ كِمَالِ الْمَعْنَى وَحِلَاوَةِ الْأَلْفَاظِ مَا لَا تَرَاهُ فِي هَذَا النَّثْرِ !

ولقد بقيَ أَنَّ قوماً لم يَهْتَدُوا إِلَى الْفَرْقِ بَيْنَ مَثُورِ الْقَوْلِ وَمَنْظُومِهِ ، وَالَّذِي أَرَاهُ أَنَّ النِّظْمَ لَوْ مَدَّ جَنَاحَيْهِ ، وَحَلَّقَ فِي جَوْ هَذِهِ اللَّغَةِ ، ثُمَّ ضَمَّهُمَا ، لَمَا وَقَعَ إِلَّا فِي عُسْرِ النَّثْرِ ، وَعَلَى أَعْوَادِهِ . وَلَنْ تَجِدَ لِمَثُورِ الْقَوْلِ بَهْجَةً إِلَّا إِذَا صَدَحَ فِيهِ هَذَا الطَّائِرُ الْغَرْدُ ، بَلْ لَوْ كَانَ النَّثْرُ مِلْكَاً لَكَانَ الشَّعْرُ تَاجَهُ ، وَلَوْ اسْتَضَاءَ لَمَا كَانَ غَيْرُهُ سِرَاجَهُ .



وما زال الشعراءُ يأتونَ بِجُمَلٍ مِنْهُ ، كَأَنَّهَا قِطْعُ الرُّوضِ إِذَا تَوَرَّدَ بِهَا خَدُّ الرَّبِيعِ ، وَهَذَا ابْنُ الْعَبَّاسِ^(٢) وَكُتِبَهُ ، وَابْنُ الْمُعْتَزِّ وَفَصُولُهُ ، وَالْمَعْرِيُّ وَرِسَالَتُهُ .

وَانْظُرْ إِلَى قَوْلِ بَشَّارٍ وَقَدْ مَدَحَ الْمَهْدِيَّ^(٣) ، فَلَمْ يَعْطِهِ شَيْئاً ، فَقِيلَ لَهُ : لِمَ تُجِدُ فِي مَدْحِهِ ، فَقَالَ : «وَاللَّهِ لَقَدْ مَدَحْتُهُ بِشَعْرِ لَوْ قُلْتُ مِثْلَهُ فِي الدَّهْرِ لَمَا خِيفَ

(١) هو عبد الله بن محمد بن علي بن العباس ، ثاني الخلفاء العباسيين ، ومؤسس دولتهم ، وباني بغداد (ت ١٥٨ هـ) .

(٢) هو محمد بن العباس الخوارزمي ، أبو بكر ، من أئمة الكتاب ، وأحد الشعراء العلماء (ت ٣٨٣ هـ) .

(٣) هو محمد بن عبد الله العباسي ، أبو عبد الله ، المهدي بالله ، ثالث الخلفاء العباسيين (ت ١٦٩ هـ) .

صَرَفَهُ عَلَى حُرٍّ ، وَلَكِنِّي أَكْذِبُ فِي الْعَمَلِ ، فَأُكْذِبُ فِي الْأَمَلِ^(١) .

وبشائر هو ذلك الغواص على المعاني ، الذي يزعم ابن الرومي أنه أشعر من تقدم وتأخر ، وهو القائل في شعره مفتخراً:

إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضْبَةً مُضْرِبَةً هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَرَتْ دَمًا
إِذَا مَا أَعْرَضْنَا سَيْدًا مِنْ قِبَلَةٍ ذَرَى مِنْبَرٍ صَلَّى عَلَيْنَا وَسَلَّمَا
والأمثلة على ذلك أكثر من أن تعد ، وأوسع من أن تُحَدَّ .

ولا تجد الناظم وقد أصبح لا يُحَسِّنُ هذا الطراز ، إلا إذا كان جافي الطبع ، كدِرَ الحس ، غير ذكي الفؤاد ، لم تجتمع له آلة الشعر ، وهو إذا كان هناك ، وجاء من صنعتِه شيء ، فإنما هو نظام وليس بشاعر .

* * *

أما الفرق بين المترسلين والشعراء ، فإن كان كما يقول الصابي^(٢) : «إن الشعراء إنما أغراضهم التي يرتمون إليها وُصفُ الديار والآثار ، والحنين إلى الأهواء والأوطار ، والتشبيب بالنساء ، والطلب والاجتداء ، والمديح والهجاء .

وأما المترسلون ، فإنما يترسلون في أمر سداد ثغر ، وإصلاح فساد ، أو تحريض على جهاد ، أو احتجاج على فئة ، أو مجادلة لمسألة ، أو دعاء إلى ألفية ، أو نهى عن فرقة ، أو تهنئة بعطية ، أو تعزية برزية ، أو ما شاكل ذلك : فذلك زمن قد درج فيه أهله ، وبساط طوي بما عليه ، ونم يعد أحد يحذر مواخاة الشاعر ، لأنه يمدحه بضمن ، ويهجو مجاناً ، وإنما الفرق بين الفريقين أن مسلك الشاعر أوعر ، ومركبه أصعب ، وأسلوبه أدق ، وكلامه مع ذلك أوقع في النفس ، وعلى قدر إجادته يكون تأثيره ، فالمجيد من الشعراء أفضل من غيره في صناعة الكلام ، وإنك إنما تزين النثر بالشعر ، ولا تزين الشعر بالنثر .

وفي الحديث الشريف^(٣) : «إننا قد سمعنا كلام الخطباء والبلغاء وكلام ابن

(١) رواية الأغانى : والله لقد مدحته بشعر لو مديح به الدهر لم يُخَشِرْ صَرَفَهُ عَلَى أَحَدٍ ، ولكن كذب أمني لأنني كذبت في قلبي .

(٢) هو إبراهيم بن هلال الصابي ، نابتة كتاب جيله (ت ٣٨٤ هـ) .

(٣) كذا في بعض نسخ «زهر الأدب» للحصري قال النبي ﷺ ، وفي طبعة الأستاذ البجاوي : =

أبي سلمى فما سمعنا مثل كلامه من أحد.

وقال الشافعي^(١) في كتاب «الأم»: «الشعر كلام كالكلام، فحسنه كحسينه، وقبيحه كقبيحه»^(٢)، وفضله على سائر الكلام أنه سائر في الناس، يبقى على الزمان فينظر فيه.

هذا «وإن من الشعر حكمة»^(٣) ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]^(٤).

* * *

= وكانت قريش معجبة بشعر زهير، وقالوا للنبي ﷺ... الخ فما نسب الرافعي للنبي ﷺ إنما هو من كلام قريش. اهـ (بسام).

(١) هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي المصلي، من قريش، أحد الأئمة المشهورين، كان غاية في الفصاحة والذكاء (ت ٢٥٤ هـ)، والنص في «مختصر المزني» المطبوع على هامش «الأم» (٢٥٨/٥) ط بولاق، وهو: «الشعر كلام فحسنه كحسن الكلام، وقبيحه كقبيحه، وفضله على الكلام أنه سائر».

(٢) هذا الشعر من كلام الشافعي روي مرفوعاً إلى النبي ﷺ أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١٢٥ والدارقطني ٤٩٠ والطبراني في الأوسط وأبو يعلى، وهو صحيح بطرقه (الصحيحه للألباني).

(٣) جزء من حديث أوله: «إن من البيان لسحراً». أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٨٧٢) وأبو داود (٥٠١١) وابن ماجه (٣٧٥٦) وابن حبان (٢٠٠٩) وأحمد ٢٦٩/١ ومواقع أخرى وهو حديث صحيح لغيره، وقوله (حكمة) في الحديث (حكمة) أي كلاماً نافعاً يمنع الجهل والسفه وينهى عنهما. (الصحيحه للألباني).

(٤) ديوان الرافعي (١: ٣-١١) ط ١ عام ١٩٠٣ م.



المقدمة الثانية

**في سرقة الشعر
وتوارد الخواطر**

الشعرُ معنى لما تشعُرُ به النفسُ ، فهو من خواطر القلب ، إذا أفاضَ عليه
الجسُّ من نوره انعكسَ على الخيالِ ، فانطبعَتْ فيه معاني الأشياءِ ، كما تنطبعُ
الصُّورُ في المرآةِ ، وهو من بعدُ كالحلمِ يُخلَقُ في المخيلةِ مما يصلُ إلى الأعينِ ،
ويتأذى إلى الآذانِ ما لا يكونُ قد وصلَ ولا نأذى .

وكما يأخذُ النظرُ في مطرجهِ ما بينَ الأرضِ والسماءِ ، يتناولُ القلبُ في
ممرجهِ ما فوقَ سُجُفِ الغيمِ وتحتَ أطباقِ الثرى ، وإنما الخيالُ السَّاحِرُ بينَ
هذينِ إنسانَ بينَ ملكيه ، وجسدهِ بينَ يديه ، ومن سحره أن يضعَ أُذنه على العينِ
فتسمعُ ، وعينه على الأذنِ فتري ، ولن تجدَ من شيءٍ إلا وعليه سمتهُ ، وفيه
صفتهُ ، فأنت تبصرُ الناسَ أحياءَ يضطربونَ في حوائجهم ، وهو يخشعُهم إليك
في يومِ الحسابِ ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ [النمل : ٨٨] .

وبحسبك أن هذه الأكوان إنما هي الحقائقُ ، ولكلِّ حقيقةٍ منها خيالٌ ، وهو
مسلكةُ الشعراءِ ، فما منُ ذي خيالٍ منهم إلا وقد خالطت قلبه لذةُ الملكِ في
ساعةٍ ، ربما كانت له في اليومِ ، أو الشهرِ ، أو العامِ ، أو العمرِ - هي عنده
الدنيا ، وهو ملكها ، فإذا رنَّ فيها صوتهُ تحرَّكَ الفلكُ ، فاستمعه من كلِّ أرضٍ
فوجاً ، وأرقصَ به في كلِّ بحرٍ موجاً ، وما تزالُ الأيامُ تحفظُ من تلكِ الأنفاسِ في
صدرها حتى تبتني له ديواناً يعرفه به الناسُ ، ولولا أنه كان ملكاً في تلكِ الساعاتِ
التي نظمَ فيها ما سَميَ شعرُهُ ديواناً .



وللشعرِ ^(١) أسبابٌ يكونُ عنها ، فإذا هي اجتمعت في واحدٍ فذلك . ولكذك قلُّ
أن تجدَ منُ يسمَّى شاعراً بحقٍ ، كما قلُّ أن ترى من لا يريدُ أن يكونَ شاعراً
بالباطلِ .

فمتى كانَ المرءُ على رِقَةٍ في الحسنِ ، وطبع في النفسِ ، وصفاء في الذهنِ ،

(١) في الأصل (والشعر) .

وانتباه في المخاطر ، وبُعْد في النظر ، وشِدَّة في العارضة ، وقوَّة في البديهة ،
ومثارة في الرواية ، وحنكة في التجارب ، وحكمة تحيط بذلك كله : فقد اجتمع له
من أداة الشعر ما يكون به شاعراً .

ولا تحسبَنَّ هذا النوع من الكلام مضغَّة يلوئُها الشيخُ الهُمُّ ، والصبيُّ
الأدردُ^(١) ، وليسَ في ماضِغَي أحدهما ضرسٌ يقطعُ ، بل لا بدُّ لها من شرسٍ^(٢)
الأنياب ، وحديد المخالب ، يطحنها طحناً .

ولقد كانَ أبو عمرو بنُ العلاء^(٣) - والزمانُ زمانٌ - لا يَعُدُّ الشعرَ إلا
للمتقدمينَ ، فحدثَ الأصمعيُّ^(٤) قال : جلستُ إليه عَشْرَ حَجَجٍ^(٥) ما سمعتهُ
يحتجُّ ببيتٍ إسلاميٍّ .

وسُئِلَ عن المولدينَ فقال : « ما كانَ مِنْ حَسَنٍ فقد سُبِقوا إليه ، وما كانَ مِنْ
قبيحٍ فَمِنْ عِنْدِهِمْ ، ليسَ النمطُ واحداً ، ترى قِطْعَةً ديباج ، وقِطْعَةً مسح ، وقِطْعَةً
نطع » . ذلك والشعراءُ يومئذٍ متوافرونَ .

على أنَّه رحمه الله لو سَمِعَ أكثرَ شعرِ اليومِ لَزَادَ : وقِطْعَةً نعلٍ . . . فقد أصبحَ
الزَّمَنُ وما تطلُعُ شمسُهُ إلا على جديدي ، والقومُ لا يزالونَ على ما كانوا يتمرغونَ
في ترابِ الأولينَ ، فإذا علقَتْ يَدُ أحدهمَ بحليَّةٍ دسَّها في شعره ، وجعلها آيةً
فخريه ، وإن لم يصادفَ شيئاً من ذلك ، فأَيُّهُ ما شئتَ أن تنفضَها من كلمةٍ
لا تنفضُ في يديكَ إلا تراباً .



وانما مَثَلُ شعرِ اليومِ والشاعرِ مَثَلُ السفينةِ ، يطوفُ بها المحيطُ مَنْ لا يُحَسِّنُ
السباحةَ في لُجِّهِ ، فإذا انقلبَ عنها ، لا يرجعُ إليها حتَّى تكونَ لجسَمِهِ تابوتاً ،

-
- (١) الأدرد : الصغير الذي لم تنبت أسنانه بعد ، والكبير الذي ذهبت أسنانه .
(٢) في الأصل (شكس) وليس بشيء ، ولعله تصحيف .
(٣) أبو عمرو بن العلاء زبَّان بن عمار التميمي المازني البصري ، من أئمة اللغة المتقدمين ،
واحد القراء السبعة (ت ١٥٤ هـ) والخبر في العمدة ١٣٧/١ .
(٤) الأصمعي رواية ثقة من رواة العرب في اللغة ، واسمه عبد الملك بن قُرَيْب من أصمع
الباهلي البصري (ت ٢١٦ هـ) .
(٥) حجج : جمع حجة أي عام ، وذلك بكسر الحاء .

ولذلك تراهم يحصرون القول في وجوه ، ويجمعونه في نوع منه ، إلا ما كان لبعضهم من التذرة الواحدة ، والفلة المفردة . . . ولم تكن هذه السماء التي فوقنا اليوم تحت غيرنا من قبل ، ولا كانت البلاغة شيئاً يباع ويشتري ، ولكن الضلال في النشأة ، والقصور في أسباب الصنعة ، والجهل بالمقاصد ، وضعف اللغة إلى حد النزاع ، بحيث لم يبق إلا نفسها الذي ينطلق بروحها ، غير ما كان في الصدر المتقدم ممن جعل الشعر وكده ، وقصر عليه كده ، وليس ذلك وحده ، وإنما نفاق الشوق كما عرفت جلاب ، ولهذا أصبح القوم في أيدي جهابذة الكلام ونقاد الشعر أحق بقول ابن بزيد :

أزفك بعنبرو إذا حررتك نسبته فإله عري من قوارير
مع أنه فتح عليهم اليوم باب جديد من الأخذ ، فتراهم إذا ضعفوا ترجموا ، وإذا ضاقت بهم مذاهب العربية استعجموا ، وما أنكر أن منهم من يتطبع على ما يأخذ به نفسه ، ولكنهم يخرجون بالشعر عن معناه ، وآية ذلك أن لا تعرف في منظومهم روح التأثير التي هي حياة الشعر ، بل تجد عليه من فساد التكلف ، ومغالبه الطبع ، وأثر الاستكراه ، وفيه من المعاني المدخولة ما لا تشك معه أنه من مضاعفة قائله الأول .

إنما تنفخ النفس تلك الروح في الكلام إذا استوت فيه الصنعة ، فيتمثل بها سويتاً .

* * *

وعندي أن شرط الشاعر الذي ترتفع عنه مظنة السرقية هو أن تكون له قوة الشعر ، ودليلها الإبداع ، والمضي في كل معنى ، والانتباه إلى أدق المناسبات ، فإن الكلام كالشجرة منها الجذع ، ومنها الغصون والأوراق ، وما فيها من دقة الخيوط بعضها فوق بعض في الظهور ، وإنما براعة الشاعر في الالتفات إلى تلك الدقائق ، فإن من الكلام ما يتفطر للمعاني كما يتفطر الشجر للتوريق ، ومن أجل ذلك يسمون أجمل البيان وحياً .

والشعراء كالمصاييح ، ما على أحدها أن يتألق بنور غيره ما دام في كل مصباح زينه ، غير أن أكثر مصاييح اليوم كهربائية ، يستوي الجمع منها في الاستمداد من مصدر واحد . . . وقد كثرت آلات البخار ، وكثرت بها

المعجزات ، حتى إنَّ من خواطر هؤلاء الشعراء ما لا يتحرَّك إلا (بنفس) .

ومرجع التفاوت بين أصناف القائلين إنما يكون من مثل المنشئ ، يطبع في النفس شيمًا مختلفات ، تغلب على بعضها دون بعض ، ومن مثل ما يكون في عصر دون عصر ، وما يقع لشاعر دون سواه ، وما يتفق للواحد ، ولا يتفق للآخر ، إلى غير ذلك مما شرط جميعه وفور القوة في الشاعر ، فلا يستغرب من رجل كعترة - وهو ذلك الذي يتمثل الموت في هول صورته - قوله : [من الكامل] **إني لأعجب كيف ينظر صورتي بوم القتال مبارز ويعيش ولا من مثل عاشق - كذلك الذي هدروا دمه من أجل حيي بثينة^(١) -** قوله ، وهو أمير شعره^(٢) :

خيلني فيما عشتم هل رأيتم قنلا بكى من حب قائله قبلي
وإنما شيمة العاشق هذا البكاء .

ولا من خليع كالثواسي قوله يصف كؤوساً رأى فيها تصاوير ، وهو الذي جُرَّ به الجاحظ^(٣) :

فللراح ما زرت عليه جيوبها وللماء ما دارت عليه القلائد
وكذلك لا يتكر على مثل أبي فراس قوله في الفخر : [من الطويل]
ونحن أناس لا نوسط بيننا لنا الصدر ذؤن العالمين أو القبر
وهو ذلك الذي كان يزاحم في طلب الصدر ، ويعلم أنَّ وراء الزلة في سبيله حفرة القبر .

ولا على من ترعرع في حجر الخلافة ، ونشأ في الترف كابن المعتز قوله في الهلالي :

-
- (١) هي بثينة بنت حبا بن ثعلبة العذرية ، شاعرة من بني عذرة من قضاة ، اشتهرت بأخبارها مع جميل . (ت ٨٢ هـ) .
(٢) هو جميل بن عبد الله بن معمر العذري القضاعي ، أبو عمر ، المعروف بجميل بثينة ، شاعر من عشاق العرب (ت ٨٢ هـ) .
(٣) هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي البصري ، أبو عثمان ، كبير أئمة الأدب ، وصاحب المؤلفات السائرة البديعة (ت ٢٥٥ هـ) .

فَانْظُرْ إِلَيْهِ كَرُورَقٍ مِنْ فِضَّةٍ قَدْ أَثْقَلَتْهُ حُمُولَةٌ مِنْ عَنَبٍ
وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ هَذَا الْبَيْتَ أَنْشَدَ لَابْنُ الرُّومِيِّ فِي ضِمْنِ أَبِياتٍ ، وَسُئِلَ: لِمَ
لَا تَأْتِي بِمِثْلِ هَذِهِ التَّشْبِيهَاتِ ، وَأَنْتَ أَشْعَرُ مِنْهُ؟

فَبَكَى وَقَالَ: هَذَا ابْنُ الْخُلَفَاءِ ، وَهُوَ إِنَّمَا يَصِفُ مَا عَوَّنَ بَيْتَهُ ، وَمَا حِيلَتِي وَأَنَا
رَجُلٌ أَتَكَسَّبُ بِالشَّعْرِ ، وَأَتَبْلُغُ بِخَبْرِ الشَّعِيرِ؟!

وَمَا بِالصَّعْبِ عَلَى مِثْلِ الْمَعْرِيِّ - الَّذِي كَانَتْ أَيَّامُهُ كَأَنَّهَا الْعُقَارِبُ تَتَعاقَبُ
جِسْمَهُ - أَنْ يَجِيءَ بِمِثْلِ قَوْلِهِ: [مِنْ الْخَنِيفِ]

تَعَبْتُ كُلُّهَا الْحَيَاةَ فَمَا أَعْجَبُ إِلَّا مِنْ رَاغِبٍ فِي ارْتِدْيَادِ
وَقَسَّ عَلَى ذَلِكَ كُلِّ مَنْ قَالَ مِنَ الشَّعْرَاءِ فِي جَنْسٍ مَا هُوَ بِسَبِيلِهِ ، فَإِنَّ هَاجِسَهُ
لَا يَنْكُرُ عَلَيْهِ ، وَإِنْ تَوَارَدَ مَعَ غَيْرِهِ فِيهِ .

* * *

عَلَى أَنَّ لِلتَّوَارِدِ أَسْبَاباً غَيْرَ مَا تَقَدَّمَ ، مِنْهَا مَا يَكُونُ وَحْيَ الْعَيْنِ ، إِذَا نَزَعَ
الشَّاعِرُ مَنْزِعاً فِي صَنْعَتِهِ ، كَقَوْلِ عُمَارَةَ الْيَمَنِ^(١) فِي مَصْلُوبٍ: [مِنْ الْكَامِلِ]
وَرَأَتْ يَدَاهُ عَظِيمَ مَا جَتَّأَ قَقَرَزَنَ ذِي شَرْقَا وَذِي غَرْبَا
وَأَمَّا نَحْوُ الصَّدْرِ مِنْهُ فَمَا يَلُومُ فِي أَفْعَالِهِ الْقَلْبَا
فَإِنَّ مَنْ يَنْزِعُ إِلَى التَّعْلِيلِ إِذَا شَهِدَ ذَلِكَ الْمَشْهَدَ لَا يَجِيءُ بِغَيْرِ هَذَا الْمَعْنَى .

* * *

وَمِنْهَا مَا يَكُونُ حَادِثَةً تَتَّفِقُ ، أَوْ حَالَةً تَنْزِلُ بِالْمَرَّةِ ، كَقَوْلِ جَلِيلَةَ أُخْتِ
جَسَّاسٍ^(٢) فِي الْاِسْتِقَادَةِ مِنْ أَخِيهَا حِينَ قَتَلَ زَوْجَهَا: [مِنْ الرَّمْلِ]
لَوْ بَعَيْنِي فُقِّتَتْ عَيْنٌ سِوَى أُخْتَيْهَا فَانْفَقَاتُ لَمْ أَحْفَلِ

(١) هُوَ عُمَارَةُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ زَيْدَانَ الْحَكَمِيِّ الْمَذْحِجِيِّ الْيَمَنِيِّ ، أَبُو مُحَمَّدٍ ، مُؤَرِّخُ ثَقَفٍ وَشَاعِرٌ
أَدِيبٌ فَقِيهٌ ، مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ (ت ٥٦٩ هـ) .

(٢) هِيَ جَلِيلَةُ بِنْتُ مَرَّةَ الشَّيْبَانِيَّةِ ، شَاعِرَةٌ فَصِيحَةٌ ، مِنْ ذَوَاتِ الشَّأْنِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، تَنْحُو ٥٠ ق هـ ،
وَأَخُوهَا هُوَ جَسَّاسُ بْنُ مَرَّةَ بْنِ ذَعْلٍ بْنِ شَيْبَانَ ، مِنْ بَنِي بَكْرِ بْنِ وائِلٍ ، شَجَاعٌ شَاعِرٌ ، مِنْ أَمْرَاءِ
الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، تَنْحُو ٨٥ ق هـ ، وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ زَوْجَهَا كَلِيبَ بْنَ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مَرَّةَ
التَّغْلِبِيِّ ، وَكَانَ مِنَ الشُّجَّانِ الْأَبْطَالِ ، وَيُقَالُ اسْمُهُ وَائِلٌ ، وَكُتِبَ لِقَبِّ لَهُ ، وَكَانَ سَيِّدَ الْحَبَشِيِّينَ بِكْرِ
وَتَغْلِبَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَيَقْتُلُهُ بِدَأَتْ حَرْبُ الْبُسُوفِ بَيْنَهُمَا الَّتِي دَامَتْ ٤٠ عَاماً .

وكقول ابن حسان^(١) فيما كتب به إلى النعمان^(٢) يستنجدُهُ ، وكان له ظهيراً :
 إِنَّمَا الرُّمَحُ فَأَعْلَمَنْ قَنَاقَةً أَوْ كَبَعَضِ الْعِيدَانِ لَوْلَا السَّنَانُ
 ومنها الأسلوبُ ، فإنَّ من الشعراء من يبنى القافية بالبيت ، ومنهم من يبنى
 البيت بالقافية ، والتوراد كثير بين هذه الطائفتين ، كقول النابغة ، وكان الأصمعي
 يتعجب من جودته :

وَعَبَّرْتَنِي بِسَوْ ذُبْيَانٍ خَشِيئَهُ وَهَلْ عَلَيَّ بَأْسٌ أَخْشَاكَ مِنْ عَارٍ

فلما مرَّت هذه القافية بأبي تمام ، وكان في معناها ، قال وأبدع كما ترى :
 خَضَعُوا لِصَوْلَتِكَ الَّتِي هِيَ عِنْدَهُمْ كَالْمَوْتِ يَأْنِي لَيْسَ فِيهِ عَارٌ
 ومنها دلالة الكلام بعضه على بعض ، إذا وقَّاه القائل قِسْطَهُ مِنَ الصَّنْعَةِ ، وقد
 سمع ابن عباس^(٣) رضي الله عنهما قول ابن أبي ربيعة :

تَشُطُّ غَدَاً دَارُ جِرَانِنَا

فقال :

وَلَلْدَارُ بَعْدَ غَدٍ أَبَعَدُ

وكذلك قال عُمر ، وما ينبغي أن يكون إلا هكذا ، ومثله يروى عن الفرزدق^(٤)
 حين سمع قول عدي :

تُرْجِي أَغْنٍ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ

فأكملهُ بقوله :

قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا

وكان يعرف قافيتها ، وكذلك كان البيت .

(١) هو عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الخزرجي الأنصاري ، شاعر ابن شاعر (ت ١٠٤ هـ)

(٢) هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري ، أبو عبد الله أمير خطيب شاعر
 من أجلاء الصحابة (ت ٦٥ هـ) .

(٣) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي رضي الله عنهما ، أبو العباس ، ابن
 عم رسول الله ﷺ ، حبر الأمة وترجمان القرآن (ت ٦٨ هـ) .

(٤) هو همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي ، أبو فراس ، شاعر من النبلاء ، من أهل
 البصرة ، ولقب بالفرزدق لجهامة وجهه وغلظه (ت ١١٠ هـ) .

ومنها اختلاس المثل من جملة بعينها ، واشتراك المعاني ، كأن تكون مستفيضة في المناقلات ، أو واقعة لو شاء كل امرئ لوجد إليها مساعاً .

وكذلك التمهيد بلفظة تؤدي إلى معنى لا يكون منها غيره إذا عرضت للحاذق بصناعة الكلام ، وغير ذلك مما مرجعه في الغالب إلى ما تقدم .

ومثله لا يكون سرقة يعاب بها قائله ، ما دام على شريطة الشاعر ، فإن التفاضل إنما يكون في ابتكار الأشياء على طريقة الشعر ، لا على طريقة النظم .

وقد قال أمير المؤمنين : لولا أن الكلام يعاد لنفذ .

وسئل [أبو عمرو] بن العلاء : أرايت الشاعرين يتفقان في المعنى ، ويتواردان في اللفظ ، لم يلق واحد منهما صاحبه ، ولا سمع شعره ؟ !

قال : تلك عقول رجال توافت على ألسنتها^(١) .

وقيل لأبي الطيب مثل ذلك فقال : الشعر مَحَجَّةٌ ، وربما وقع الحافر على موضع الحافر^(٢) .

* * *

أما السرقة فقد اجتمع أهل البصر بالشعر على أن أبا عذرة الكلام من سبك لفظه على معناه ، وهم يريدون بذلك أن يكون ما بين قلبه ولسانه أنفاساً تتردد شعراً^(٣) .

وقالوا : إنه ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدّمهم ، والصبّ على قوالب من سبقهم ، ولكن عليهم أن يبرزوا ما أخذوه في معارض من تأليفهم ، ويؤدّوه في غير حليته الأولى ، ويزيدوا في حسن تأليفه ، وجودة تركيبه ، وكمال حليته ومعرضه ، فإذا فعلوا ذلك فهم أولى بها ممن سبق

(١) العمدة (٢/١٠٨٧) .

(٢) المصدر السابق ، والمحجة : الجادة .

(٣) انظر العمدة (٢ : ٧٦٣) .

إليها ، وهو كلام لا يُشترى فيه ، ولكن شَرَطُهُ ما ذكرناه لك من قبل ، واعتبره
بمثلي قول سعيد بن حميد^(١) :

يا لَيْلُ لَوْ تَلَقَى الَّذِي أَلْقَى بِهَا أَوْ أَجِدُ
قُصْرَ مَنْ طَوْلِكَ أَوْ أَضْعَفَ مِنْكَ الْجِلْدُ

فقد أخذه المتنبي وهذبه في قوله :
ألم يرَ هذا الليلُ عَيْنِيكَ رُؤْيِي فَتَظْهَرَ فِيهِ رِقَّةٌ وَنُحُولُ

وأكثر ما يبدع أبو الطيب في مثل ذلك من الزيادة والتهذيب والتمهيد لمعنى
بأخذه بما يدخل منه إليه كقوله :

كَرِهْنِمُ نَفَضْتُ النَّاسَ لِمَا بَلَغْتُهُ كَأَنَّهُمْ مَا جَفَّ مِنْ زَادٍ قَادِمِ
وَكَادَ سُرُورِي لَا يَبْقَى بِنْدَامَتِي عَلَى تَرْكِهِ فِي عُمْرِي الْمُتَقَادِمِ

فإنه من قول الوالبي^(٢) :
وَتَرَكْتُهُ يَتَكِي بِقَبِيَّةِ عُمْرِهِ أَسْفَا لِمَاضِي عُمْرِهِ الْمُتَقَدِّمِ

* * *

وأعجب شيء في أمر السرقه أنه قد وُجدَ من قبل مَنْ كان يقول لصاحب
الكلمة الرائعة : «إِيَّاكَ وَإِيَّاهَا ، لا تعودنَّ فيها ، فإني أحقُّ بها منك» وما كان
يروى لغير أبي نواس معنى بديع يسمعه في الحمر وهو حي ، وإنما هي شهادته
على نفسه .

ولم يزل الناس من قديم ينظرون في وجوه المعاني من بنات غيرهم ، فيجد
الآخر مما تركه الأول ما لو عَلِمَ أنه تركه لأوصى بدفنه معه . . . حتى قال بعض
العلماء : إن ابن الرومي كان ضنيناً بالمعاني ، حريصاً عليها ، يأخذ المعنى أو
يؤلِّده ، فلا يزال يقلبه بطناً لظهر ، ويصرفه في كل وجه ، وإلى كل ناحية حتى
يميته ، ويعلم أن لا مطمع فيه .

ثم تجد مَنْ بعده قد أخذ المعنى بعينه ، فولد فيه زيادة ، وأوجد له وجهة

(١) هو سعيد بن حميد بن سعيد أبو عثمان ، كاتب وترسل من الشعراء (ت ٢٥٠ هـ) .

(٢) هو مسلم بن معبد بن طواف الوالبي ، شاعر اشهر في العصر الأموي .

حسنة ، لا يشكُّ البصيرُ بالصناعة أن ابن الرومي مع شربه لم يتركها عن قدرة .

ومن المعاني ما ينبئُ بعضُهُ على بعضٍ ممَّا يكون وراء لفظةٍ أو تحت نادرة ، حتى لقد تجدُ في بُنَيَاتِ الطريق^(١) ما تستخرجُ منه المعنى الفحل ، والخاطر الرائع ، وللشاعر من ذلك فضلٌ لا يُغْمَطُ فيه حقه ، وكثيراً ما كان الطائي^(٢) ينحو هذا القصد ، كما قال عنه ابن الرومي : «إنَّه يطلبُ المعنى ، ولا يُبالي باللفظ ، حتى لو تمَّ له المعنى بلفظةٍ نبطيةٍ لآتى بها»^(٣) .

ومن تلك المذاهب طريقةٌ كان يذهبُ إليها حُكَمَاءُ الشَّعْرِ كأبي العتاهية ، وابن عبد القدوس^(٤) ، والمتنبي ، والمعري ، وأفراد هذه الطبقة ، وهي إبداعُ الدرِّ في الصَّدَفِ ، أو خَلْقُهُ فِيهِ ، فكان الواحدُ منهم يقعُ على قولِ الحكيم ، فيقتطفهُ ، ومنهم من يحوزُهُ بما يَسْتَفْرِغُ فيه من جهده كقول المتنبي :
[من البسيط]
إِنَّا لِفِي زَمَنِ تَرَكَ الْقَبِيحَ بِهِ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسَانٌ وَإِجْمَالٌ
قالوا : أخذهُ من قولِ الحكيم : مَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى فِعْلِ النَّضَائِلِ ، فَلتَكُنْ فُضَائِلُهُ
ترك الرذائل .

وقوله : [من الخفيف]

وَإِذَا كَانَتِ النَّفُوسُ كِبَاراً تَعِثُ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ
من قول الآخر : إِذَا كَانَتِ الشَّهْوَةُ فَوْقَ الْقُدْرَةِ ، كَانَ هَلَاكُ الْجِسْمِ قَبْلَ بُلُوغِ
الشَّهْوَةِ .

وكذلك قوله : [من الخفيف]

(١) بنيات الطريق : الطرق الصغار تتشعب من الجادة . والمقصود أن هذه الألفاظ قريبة المتناول .

(٢) الطائي : هو حبيب بن أوس الطائي أبو تمام الشاعر العباسي المشهور (ت ٢٣١ هـ) .

(٣) وجدوا هذه الكلمة في تسطيرات ابن الرومي في بعض اعتذاره عن أبي تمام ، وقد قال بعضهم : إن المراد معنى الصنعة البديعية لا معنى الكلام (ر) .

(٤) هو صالح بن عبد القدوس الأزدي الجذامي مولاهم ، شاعر حكيم ، كان يعظ الناس بالبصرة (ت ١٦٠ هـ) .

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدًّا فَمِنْ الْعَجْزِ أَنْ تَكُونَ جَبَانًا
 ذكروا أنه لبعض الحكماء في قوله: خَوْفٌ وَقُوعٌ الْمَكْرُوهِ قَبْلَ تَنَاهِي الْمُدَّةِ
 جَوْرٌ فِي الطَّبِيعَةِ وَذَلَّةٌ. وما أراه إِلَّا مِنْ قَوْلِ جَرِيرٍ: [من الكامل]
 قُلْ لِلْجَبَانِ إِذَا تَأَخَّرَ سَرْجُهُ هَلْ أَنْتَ مِنْ شَرِّكَ الْمَنِيَّةِ نَاجِي
 غير أن أبا الطيب كَانَ يَدْبُ إِلَى عَرَائِسِ الْمَعَانِي فِي غَيْرِ ظَلَامٍ ، وَيَسْتَقِظُ لَهَا
 وَالْقَوْمُ غَيْرُ نِيَامٍ ، وَلِذَلِكَ وَجَدَهَا مَعَهُ كَمَا فِي قَوْلِهِ: [من الكامل]
 قَلْبُ الْمَلِيحَةِ وَهِيَ مِسْكٌ ، هَتَكُهَا [وَمَسِيرُهَا فِي اللَّيْلِ ، وَهِيَ ذُكَاءٌ]
 وَكَانَ يَأْخُذُهُ مِنْ هَيْبَةِ الْكَلَامِ أحياناً مَا يَسِيءُ مَعَهُ الْإِتْبَاعُ ، أَوْ يَبْلُغُ بِهِ إِلَى إِفْسَادِ
 الْمَعْنَى .

وكذلك كَانَ الْبَحْثِيُّ فِي بَعْضِ مَا سَرَقَهُ مِنْ أَبِي تَمَّامٍ ، وَكَثِيرٌ غَيْرُهُمَا مِمَّنْ
 أَذْهَلَتْهُ الْمَعَارِضَةُ ، فَلَمْ يَتَّبِعْ عَلَى نَفْسِهِ .



وجملة ما انتهى إليه الباحثون ، ووقفَ عليه الحافظون ، مما هو في معنى
 السَّرْقَةِ أَنْوَاعٌ:

منها الاضطراف: وهو أن يُعْجَبَ الشاعِرُ ببيتٍ لغيره ، فيصرفهُ إِلَى نَفْسِهِ ،
 وَيَسْمَى اجْتِنَاباً وَاسْتِلْحَاقاً إِذَا صَرَفَهُ عَلَى جِهَةِ الْمَثَلِ ، كَقَوْلِ النَّابِغَةِ: [من الطويل]
 وَصَهْبَاءَ لَا تُخْفِي الْقَدَى فَهُوَ دُونَهَا تُصَفِّقُ فِي رَأْوُوقِهَا حِينَ تَقْطُبُ
 تَمَرَزْتُهَا وَالذِّبْكَ يَدْعُو صَبَاحَهُ إِذَا مَا بَنُو نَعَشٍ دَنَوْا فَتَصَوَّوْا

فقد استلحق الفرزدق البيت الأخير في قوله: [من الطويل]
 وَإِجَانَةَ رَبِّ الشُّرُورِ كَأَنَّهَا إِذَا غُمِسَتْ فِيهَا الرُّجَاجَةُ كَوَكَبُ
 تَمَرَزْتُهَا... البيت^(١).

فإن ادعى القائلُ شعراً لغيره جملةً فهو انتحالٌ .
 فإن كان الشعرُ لشاعرٍ حيٍّ غَلِبَ عَلَيْهِ فَتِلْكَ الْإِغَارَةُ وَالْغَصْبُ .

(١) ذكروا أنه لا يقال منتحل إلا لمن ادعى شعراً لغيره وهو يقول الشعر ، فاما إن كان لا يقوله فهو
 مدح (ر) .

فإن أخذَهُ هِبَةً فتلك المرادفة والاسترفادُ ، وقد استرفدَ نابغةُ بني ذبيانَ زهيراً ،
فأمر ابنه كعباً^(١) فرفده .

فإن كانت السرقةُ فيما دونَ البيتِ فهو اهتدأ ، كقول النجاشي^(٢) : [من الطويل]
وكنْتُ كَذِي رَجُلَيْنِ رَجُلٍ صَحِيحَةٍ وَرَجُلٍ رَمَتْ فِيهَا يَدُ الْحَدَثَانِ
فأخذ كثير^(٣) القسمَ الأوَّلَ ، واهتدَم باقي البيتِ فقال : [من الطويل]
وكنْتُ كَذِي رَجُلَيْنِ رَجُلٍ صَحِيحَةٍ وَرَجُلٍ رَمَى فِيهَا الزَّمَانُ فَشَلَّتْ
فإن تساوى المعنيانِ دونَ اللفظِ ، وخفي الأخذُ ، فذلك هو النظرُ والملاحظةُ .
وكذلك إن تضادَ أولُ أحدهما على الآخرِ ؛ فإن حوَّلَ المعنى إلى غيره ، فذلك
الاختلاسُ .

فإن أخذَ بنيةَ الكلامِ فقط فتلك المواربةُ .
فإن جعلَ مكانَ كلِّ لفظةٍ ضِدَّها فذلك العكسُ .
قالوا : وإن صيغَ أنَّ الشاعرَ لم يسمعَ بقول الآخرِ ، وكانا في عصرٍ واحدٍ فتلك
المواردةُ^(٤) .

فإن ألَّفَ البيتَ من أبياتٍ قد رُكِبَ بعضها على بعضٍ ، فذلك الالتقاطُ
والتلفيقُ .

وأمثالُ هذا النوعِ كثيرةٌ اليومَ بين أيدينا ، لا ينفكُ يدفعُ بعضها بعضاً ، وقد

(١) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني ، أبو المضرب شاعر عالي الطبقة ، وفد على
النبي ﷺ ، ومدحه بقصيدته المشهورة (بانت سعاد) وأسلم وحسن إسلامه (ت ٢٦ هـ) .

(٢) هو قيس بن عمر بن مالك من بني الحارث بن كعب من كهلان ، كانت أمه حبشية فنسب
إليها ، شاعر هجاء مخضرم ، (ت ٤٠ هـ) .

(٣) هو كثير بن عبد الرحمن الخزاعي أبو صخر ، شاعر متيم مشهور يقال له : (كثير عزة)
(ت ١٠٥ هـ) .

(٤) خصَّوها كما ترى بوجود الشعارين في عصر واحد لما كان من شأنهم في الحفظ والرواية ،
وهو مشهور بحيث لم يكن يخفى عليهم شيءٌ من شعر الفحول ، فإذا وجدوا معنى لمتأخر
يشبه معنى المتقدم حكموا بأنها السرقة ، وذلك لا ينطبق على كل الأحوال كما قدمناه في
التوارد (ر) .

- ضربوا له المثل فيما سبق بقول يزيد بن الطثرية^(١):
 إِذَا مَا رَأَيْتِي مُقْبِلًا غَضَّ طَرْفَهُ كَأَنَّ شُعَاعَ الشَّمْسِ دُونِي يُقَابِلُهُ
 فَأَوَّلُهُ مِنْ قَوْلِي جَمِيلٌ: [من الطويل]
- إِذَا مَا رَأَوْنِي طَالِعًا مِنْ نَيْتِهِ يَقُولُونَ: مَنْ هَذَا وَقَدْ عَرَفُونِي
 ووسطه من قول جرير: [من الوافر]
- فَقَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَمَبًا بَلَغْتَ وَلَا كِلَابًا
 وَعَجْزُهُ مِنْ قَوْلِ عنترة بن الأخرس^(٢): [من الوافر]
- إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَغْرَضْتَ عَنِّي كَأَنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ
 ومن تلك الأنواع ضربٌ يسمونه كَشَفَ المعنى، كقول امرئ القيس: [من الطويل]
- نَمَشْتُ بِأَعْرَافِ الْجِبَادِ أَكْفَنًا إِذَا نَحْنُ قُمْنَا عَنْ شِوَاهِ مُضَهَّبٍ
 كَشَفَهُ عَبْدَةُ بن الطيب^(٣) ، وأبرزه في قوله: [من البسيط]
- نَمَشْتُ قُمْنَا إِلَى جُرْدٍ مُسَوَّمَةٍ أَعْرَافُهُنَّ لَا يَدِينُنَا مَنَادِيلُ
 وذكروا أنَّ من السَّرَقَةِ ما يكون مَجْدُوداً في الشعر، كقول عنترة: [من الكامل]
- وَكَمَّا عَلِمْتُ شِمَائِلِي وَتَكَرَّمِي
 رُزِقَ جَدًّا وَاشْتَهَارًا عَلَى قَوْلِ امرئ القيس: [من الكامل]
- وَشِمَائِلِي مَا قَدْ عَلِمْتُ وَمَا نَبَحْتُ كِلَابِكَ طَارِقًا مِثْلِي
 والتنقيب على مثل ذلك في الكثير من شعر اليوم كحرارة الشمس في الوخل ،
 لا تنضججه أجراً يُبْنَى به حتى تكون قد بردت الشمس ، واستحالت فحمة سوداء ،
 وطويت الأرض بمن عليها ، فلو نطق المدافع بسرقات هؤلاء الشعراء ،
-
- (١) هو يزيد بن سلمة بن سمرة ، من بني قشير بن كعب من عامر بن صعصعة ، شاعر مطبوع من شعراء بني أمية (ت ١٢٦ هـ).
- (٢) هو عنترة بن الأخرس بن ثعلبة بن صبيح الطائي ، ويعرف أيضاً باسم عنترة بن عكبر ، وعكبر أم أمه ، شاعر محسن فارس . والبيت في المؤلف والمختلف (٢٢٦).
- (٣) هو عبدة بن يزيد (الطيب) بن عمرو بن علي التميمي ، شاعر فحل ، من مخضرمي الجاهلية والإسلام (ت ٢٥ هـ).

ما سمعَ أحدٌ ، ومن فُتقَ مسمعه ، فتهيأت أن يعي ، وإن وعى فمبلغ ما يكون منه
أن لا يزيدَ على الأسف : ولو أنَّ الحسرةَ تؤثرُ شيئاً لانقلبَ الجوُّ ناراً ، ولكننا
ننصفُ القومَ مِنْ أنفسهم ، وهذا كتابنا ينطق عليهم بالحق وهم لا يظلمون^(١) .



(١) ديوان الرافعي (٢/٣ - ١١) ط ١ عام ١٩٠٤ م .

المقدمة الثالثة

نوع من نقد الشعر

الشَّعْرُ تصوُّرٌ عَالَمٍ حَيٍّ مِنَ الْمَعْنَى وَالْأَلْفَاظِ ، فَالْمُجِيدُ مَنْ جَعَلَهُ مُخْتَصَرًا مِنْ صُورَةِ الْعَالَمِ كُلِّهِ ، وَلَا بَدْءَ فِيهِ مِنْ شُعَاعٍ مِنَ الرُّوحِ ، إِذَا تَجَرَّدَتْ لَهُ النَّفْسُ امْتَزَجَتْ لَطَافَتَهَا بِلَطَافَتِهِ .

وَرَبَّمَا أَخَذَ الْمَرْءُ بِلَذَّةِ التَّصَوُّرِ ، فَظَنَّهَا فِي مَكَانٍ نَفْسِهِ ، وَحَسِبَ نَفْسَهُ فِي مَكَانِهِ .

وَنَحْنُ نَظُرُونَ إِلَى نَقْدِ الشَّعْرِ مِنْ هَذِهِ الْجَهَةِ الَّتِي يَتِمَثَّلُ فِيهَا حَيًّا مِنَ الْأَحْيَاءِ ، تَتَنَازَعُ أَنْوَاعُهُ الْبَقَاءَ ، فَقَدْ أَفَاضَ الْمُتَقَدِّمُونَ فِي الْأَسْبَابِ الَّتِي يَحْسُنُ بِهَا مَا يَخْسُنُ مِنْ ظَاهِرِهِ ، وَيَقْبُحُ مِنْهُ مَا يَقْبُحُ ، وَجَرَدُوا الْكِتَابَ فِي طَبَقَاتِ الْأَلْفَاظِ ، وَمَخَارِجِ الْأَشْعَارِ ، وَسَقَطَاتِ الْكَلَامِ ، وَالْطُفُوَاظِ النَّظَرِ فِي وَجْهِهِ الْمَعْنَى وَمَوَاضِعِهَا ، وَأَصَابُوا مِنْهَا صِفَةَ التَّمَكُّنِ فِي مَبَادِئِهَا وَمَقَاطِعِهَا ، وَإِنَّكَ لَتَجِدُ فِيهَا وَضْعَهُ مِنْ عُلُومِ الْبَلَاغَةِ الْبَحْرَ الرَّائِعَ بِهَذِهِ الْأَمْوَاجِ ، وَالْفَلَكَ الدَّائِرَ بِتِلْكَ الْأَبْرَاجِ .

غَيْرَ أَنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ بَاطِنِ الشَّعْرِ وَظَاهِرِهِ كَالْفَرْقِ الَّذِي يَذْكُرُهُ أَصْحَابُ الْكَلَامِ بَيْنَ الْمُعْجِزَةِ وَالْحِيلَةِ . وَانْظُرْ مَا حَدَّثَ بِهِ أَبُو ذَكْوَانَ قَالَ : أَدْخَلْتُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ^(١) وَهُوَ بِالْأَهْوَاذِ لَخْدَمَتِهِ ، فَقَالَ : مَا تَقُولُ فِي شَعْرِ النَّابِغَةِ : [مِنْ الطُّوِيلِ] أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً تَرَى كُلَّ مَلِكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ بِأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوَكَبُ فَقُلْتُ : مَا عِنْدِي فِيهِ إِلَّا الظَّاهِرُ الْمَشْهُورُ ، يَقُولُ : «فَضْلُكَ عَلَى الْمُلُوكِ كَفَضْلِ الشَّمْسِ عَلَى الْكَوَاكِبِ» .

فَقَالَ : تَفْهَمُ مَعْنَاهُ قَبْلَ هَذَا . . . إِنَّمَا يَعْتَذِرُ إِلَى النِّعْمَانِ^(٢) مِنْ مَدْحِهِ أَلَّا جَفَنَةُ الْغَسَّانِيِّنَ ، وَتَرَكَهُ لَهُ ، وَيُرِيدُ أَنَّ لَهُ فِي مَدْحِهِمْ عُذْرًا . أَلَا تَرَى قَوْلَهُ : [مِنْ الطُّوِيلِ] وَلَكِنِّي كُنْتُ أَمْرَةً إِلَيَّ جَانِبٌ مِنَ الْأَرْضِ فِيهِ مُشْتَرَاؤٌ وَمَذْهَبٌ

(١) هُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ صَوْلٍ ، أَبُو إِسْحَاقَ الصُّوْلِيُّ ، كَاتِبُ الْعِرَاقِ فِي عَصْرِهِ (ت ٢٤٣ هـ) .

(٢) هُوَ النِّعْمَانُ الثَّالِثُ بْنُ الْمُنْثَرِ الرَّابِعُ بْنُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ اللَّخْمِيِّ أَبُو قَابُوسٍ مِنْ أَشْهُرِ مُلُوكِ الْحِيرَةِ تَنَحْوَهُ ١ ق هـ .

مُلُوكُ وَإِخْوَانٌ إِذَا مَا أَتَيْتَهُمْ أَحَكَّكُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَقْرَبُ
كَحْكُمِكَ فِي قَوْمٍ أَرَاكَ أَصْطَفَيْتَهُمْ فَلَمْ تَرْهُمْ فِي شُكْرِهِمْ لَكَ أَذْنُبُوا
يقول: لا تلمني على شكري ، وقد أحسنوا إليّ ، إذ لجأت إليهم ، وإن كانوا
أعداءك ، كما أحسنت إلى قوم شكروك عند أعدائك ، فقد أحسنوا ولم يذنبوا .

ثم قال: اعمل على أني أذنبت ، فمن أين تجد من لا يذنب؟ [من الطويل]
وَلَسْتُ بِمُسْتَبْتَرٍ أَخَا لَا تَلُمُّهُ عَلَى شَعَثٍ ، أَيُّ الرِّجَالِ الْمُهْذَبُ؟
فَإِنْ أَكْ مَظْلُومًا فَعَبْدٌ ظَلَمْتَهُ وَإِنْ نَكَ ذَا عُتْبَى فَمِثْلَكَ يُعْتَبُ
يقول: مثلك يعفو ويحسن ، وإن كان عاتياً ، وفي كرمك ما يفعل ذلك ،
ولك العتبي والرجوع إلى ما يجب . ثم فضله عليهم ، فقال: «ألم تر أن الله أعطاك
سورة» البيتين .

يقول: «ما صلحت أنت لي فإني لا أريد غيرك من الملوك ، كما أن من
طلعت عليه الشمس لم يحتج إلى النجوم . ا هـ .
فمثل هذا الشرح إنما هو تشريح النفس لأجزاء الكلام ، ومثل ذلك القول إنما
هو غار العقول الذي يضيء في أسنة الأقلام .

يرتقي المبتدئ في الشعر من مطلق النظم الذي هو النمط المصطلح عليه في
إقامة الوزن إلى الفكر فيما يجيء به ، فإذا صارت له هذه المنزلة أدته إلى الخيال .
فإذا ارتفع شيئاً بعد ذلك ، فهو في جو الروح الذي يسمونه التصور ، وهناك حد
الطبيعة القائم ، وحجاب الغيب القائم ، فيكون في منزلة بين الوحي والإلهام ،
ويمر هناك خاطرة على النفوس ، كما ينتقل على الأرض ظل الغمام .
ونلك هي أطوار الشعر من طفولته التي يعبت فيها بكل شيء ، ولا يفقه
شيئاً ، إلى شبابه التي ينماسك فيها وقاراً ويندفع ، إلى شدته التي تعتصم
بالحكمة وتمتنع ، إلى مشبه الذي هو نور الجمال ، والحظ المقسوم له من
الكمال .

والشاعر في الطور الأول كالصبي في يده القوس ، يغرق في نزعها ما يغرق ،
ثم لا يكون إلا أن يسمع لها إرناناً ضعيفاً ، فلا هو غلب وهمه ، ولا رمى سهمه .

فإذا اشتدَّ ساعده ، وانتقل إلى الطور الثاني ، كان في منزلة بين الخطأ والصواب .

فإذا بلغ إلى الثالث أحكم التسديد ، واستوى عنده في الإصابة ما كان من قريب ، وما كان من بعيد .

ومتى صار إلى الطور الرابع - وهو منتهى كماله - حسب توزع الطير في الجو لمخافته ، وتفرق الوحش في البر لمهابته ، وصارت نظرتُه هي السهم ، لأنه في أثرها . ولفظته عن القنينة هي القضاء ، لأنه في خبرها .

وما يكن من عيب في الشاعر فلن تجد فيه كسلط فكره عليه ، وعينه بقوافيه ، فتراه ينظم الكلمة ألياناً لا معرفة بين أولها وآخرها ، ثم يجيء بعد جفاف الريق ، وتخلخل اللسان ، وانقطاع النفس ، فيمضي فيها اختياره ، ويأخذ في التوفيق بينها وهي متنافرة ، ويعمل على التعريف ، وهي لا تزال متناكرة ، فمثل الكثير من هذا الشعر مثل الكلمة المفردة ، إذا نُطِقت بجملتها أدت إليك معناها على أتم ما يكون ، فإذا فككت أحرفها ، ولفظتها حرفاً حرفاً ، انقلبت إلى قول هراء ، ولم تزد على أن تكون أصواتاً ذاهبة في الهواء .

وأولئك هم الذين قال في شعرهم ابن ميادة^(١) : إنه «كلفة وتملح»^(٢) .

فإذا لم يكن فكر الشاعر عند إرادته ، ولم تكن إرادته عند اتجاه عواطفه ، أخذت عليه منافذ القول فاختل ، واضطربت جهات رأيه فانحل ؛ وصار من نضوب المادة في آخره كمن يكتب بقلم ليس عليه إلا مسحة من رذع المداد^(٣) ، فكلما كدّه جمد ، وكلما هرّه ركد ، فإذا كتب مع ذلك جاء الحرف مفرق الجهات ، لئماً في الحروف ، فلا هو كتابة ، ولا هو محو .

(١) هو الرماح بن ثوبان الذبياني الغطفاني ، أبو شرحبيل ، شاعر رقيق هجاء ، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية وميادة أمه (ت ١٤٩ هـ) .

(٢) ذلك قوله : [من الطويل]

فَجَرَّنا بِنايِيعِ الكلامِ وبحرهِ فأصبح فيه ذو الرؤفة يَسْبَحُ
وما الشعرُ إلا شعرُ قيسٍ وخندفٍ وشغُرُ سواهم كُلفَةٌ وتملحُ

(٣) ردع المداد : أثره .

ولم أرَ فيما هو بسبب من هذا النوع كضطراب أبي كبير الهذلي^(١) في مطلعِهِ الذي لم يكن في الشعرِ أصبرَ منه على سوء عَيْثِ صاحِبِهِ . وهو قوله : [من الكامل] **أَزْهَبُ هَلْ عَنْ شَيْبَةٍ مِنْ مَعْدَلٍ أَمْ لَا سَيَّلَ إِلَى الشَّبَابِ الْأَوَّلِ** ثم اضطرب فيه مرَّةً أخرى فقال : «أزهيرُ هل عن شَيْبَةٍ مِنْ مَصْرَفٍ» . ثم عَادَ فقال : «أزهيرُ هل عن شَيْبَةٍ مِنْ مَعَكُمْ» أي : محبس ، وروى الأصمعي في الرابعة أَنَّهُ قال : «من مَقْصَرٍ» . . . ورويت له خامسة : «مِنْ مَعَكِرٍ» . . . وهي بِلَّةٌ هذا الطين .

ولا أظنُّ أن شاعراً يتخلَّصُ إلى مثل هذا ، ولكنَّه على كلِّ حالٍ نوعٌ من ضغطِ الفِكْرِ على الإرادة ، وهو قريبٌ كما ترى من ضَغْطِ الحُمَى على الفِكْرِ ، فكلاهما هذيانٌ ، وإنَّ كانَ منه معقولٌ وغيرُ معقولٍ .

ولقد يحارُّ المرءُ إذا نظرَ في شعرِ العرب ، ورأى الكثيرَ منه لا يتعدَّى الوزنَ والتقفيةَ ، ولكنَّ أكبرَ حظِّ القومِ من شعرِهِم أن ينقلوا الكلامَ إلى نَمَطٍ يَتَّفِقُ مع النغمِ ، كما ترى في غناء هذا الأيَّامِ ، فهو لا يزيدُ عن سائرِ الكلامِ إلا النمطَ والإيقاعَ ، بحيثُ إنَّكَ لو سمعتهُ وقد جُرِّدَ من ألحانيهِ ، لخرجتَ منه على حسابِ ما دخلتَ فيه ، لا طربَ ولا عجبَ .

والغناء على أيِّ وجوهه ينقلُ النفسَ من تنقيبها بينَ الألفاظِ عمَّا هو حَسَنٌ وغيرُ حَسَنٍ ، إلى تحريكها على الألفاظِ نفسها . وإنَّما النظمُ العربيُّ أوزانٌ موسيقيةٌ .

فكلُّ مَنْ جاءَ بعدَ العربِ من الشعراءِ لا ينظرُ إلَّا في أعطافِ اللفظِ ، وتلاحُمِ الكلماتِ ، وانتظامِ تلكَ المعاني القديمة ، فهو من الجاهليةِ الثانيةِ ، وإنَّ كانَ الأولونَ قد سُمُّوا جاهليةً لعبادةِ الأوثانِ ، فهؤلاءُ لعبادةِ الأوزانِ .

ويكادُ شِعْرُ العربِ ينحصرُ في غرضينِ الشاهدِ والمَثَلِ ، فقد كانوا لا يطلبون من الشعرِ غيرهما ، كما لا يطلبون من الخبرِ إلَّا الأيَّامَ والمقاماتِ . وكان أبدعُ ما يروجُ عنهم من أجلِ ذلك مساقُ الخبرِ ، ومضربُ المَثَلِ ، ومقطعُ الحكمةِ . والحكيمُ فيهم يومئذٍ نبيُّ .

(١) هو عامر بن الحليس الهذلي ، شاعر فحل ، أدرك الإسلامَ وأسلم .

اعتبر ذلك بما تجده في أخبار الرواة إذا أرسلوا عنهم بيتاً مما نحن بصدد منه ، وهو شيء مستفيض في كلامهم ، فقد كان أبو عبيدة^(١) والأصمعي يشدان بيتي الطرماح^(٢) ، وخبرهما قوله فيمن يضرب في الأرض : [من الكامل] يَدُو وتَضْمِرُهُ البلادُ كأنَّهُ سَيْفٌ على شَرَفٍ بَسَلٌ ويُغَمَدُ ويقولان : هذا أشعر الناس في هذين^(٣) .

وكان أبو عمرو بن العلاء يقول : لو ضُرب زهير أسفل قدميه مثنين على أن يقول مثل قول النابغة : [من الطويل] فَإِنَّكَ كاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُذْرِكِي وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُتَتَايَ عَنْكَ وَاسِعٌ^(٤) ما قاله . . . وزهير أشعر الجاهلية في كثير من شعره .

وعن الأصمعي أن أبرع بيت قالته العرب قول أبي ذؤيب^(٥) : [من الطويل] وَالتَّغْسُرُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَبَتْهَا وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ ومن هاهنا تجد مثار الخلاف بينهم في قولهم : هذا أشعر الناس في كذا ، وذلك أشعر الشعراء . وغيرهما أشعر الإنس والجن ، وهلم جرأ . وما عدا ذلك ففي شعرهم من العُرفِ المُستَنكِرَةِ ما يغلظ على الطبع ، ويتقل

(١) هو معمر بن المنفى التيمي مولاهم ، البصري النحوي ، من أئمة العلم بالأدب واللغة (ت ٢٠٩ هـ) .

(٢) هو الطرماح بن حكيم بن الحكم الطائي شاعر إسلامي فحل ، وند ونشأ في الشام (ت ١٢٥ هـ) .

(٣) البيت الأول قوله وهو كما نرى . .

مجتنب حُلَّةٍ بُرْجَدٍ لِسَرَائِهِ قِدَدًا ، وأخلف ما سواه البُرْجَدُ (٤) انتقد الأصمعي هذا البيت فقال : أمّا تشبيهُه الإدراك بالليل فقد تساوى الليل والنهار فيما يدركانه ، وإنما كان سبيله أن يأتي بما لا قسم له ، حتى يأتي بمعنى منفرداً .

وليس كما فهم ، فإن الليل والنهار وإن تساويا فيما يدركانه ، إلا أن الليل مُضِلٌّ ، يأخذ بالمذاهب ، ويحبس الذاهب ، ويقبض البصر ، غير ما فيه من الرُّوع والهول وتعقبة الأثر ، وهو ما أراده النابغة ، فإن هذا البيت من بعض قصائده التي يعتذر فيها إلى النعمان (ر) .

(٥) هو خويلد بن خالد الهذلي ، شاعر فحل ، وفارس فاتك مشهور ، أدرك الجاهلية والإسلام (ت ٢٧ هـ) .

على الذوق ، فمنهم مَنْ يشبُّه وجهَ الحسناءِ ببيضةِ الطعام ، ومنهم من يشبُّه جسمه الناجلَ بأشلاء اللجام . . . إلى غير هذا مما تُهَجِّنُه الحضارة ، ولهم مع ذلك وجهٌ عذِر فيه ، ومُنْفَسِحٌ للوم عنه .

وإنما ذكرناه مأخذاً على قوم جاؤوا بعدهم ، فجعلوا الشَّعرَ صُوراً من تلك المعاني ، تتخَطَّرُ في حَلْيٍ من الألفاظ على أكثرها صدأ الركاكِةِ وغبارُ القِدَمِ . . . فتراجعَ الشعرُ بينهم ، وتعطلت قرائحُهم ، حتَّى أصبحوا في اتصالهم بمتن أولئك الشعراء كما شبَّه أبو هفان^(١) شعرَ آل أبي حفصة^(٢) الذين كان آخرَ شعرائهم متوجِّجاً ، وكان رجلاً ساقطاً ، وذلك في قوله : «شِعْرُ آل أبي حفصةَ بمنزلةِ الماءِ الحارِّ ، ابتداءؤه في نهاية الحرارة ، ثم تليْنُ حرارتهُ ، ثم يفتُرُ ، ثم يبردُ . وكذا كانت أشعارُهم ، إلّا أن ذلك الماءَ لما انتهى إلى متوجِّجَ جَمَدٍ . . .»^(٣) .

وما زال هؤلاء وأمثالهم يأخذونَ الشَّعرَ على المَنَشِيطِ والمَكْرِه ، ويدشُّونَه في أسمعِ الناسِ وصفاً وغزلاً ، ومَدِيحاً وهجاءً ، ولا أرى لهم في ذلك من مَثَلٍ إلّا ما قيل عن مروان الأصغر بن أبي الجنوب^(٤) من أنه دخل مرةً على أشناس^(٥) وقد مدحه بقصيدة فأنشده إياها ، فجعل أشناسُ يحركُ رأسه ، ويومئُ يديه ، ويظهرُ طرباً وسُروراً ، وأمرَ له بصلوة ، فلمَّا خرج قال له كاتبه : رأيتُ الأميرَ قد طَرِبَ وحركَ رأسه ويديه لما كان يسمعه فقد فهمه .

قال : نعم .

قال : فأني شيء كان يقولُ ؟

(١) هو عبد الله بن أحمد بن حرب المهزومي العبدي راوية ، عالم بالشعر والأدب من الشعراء ، من أهل البصرة (ت ٢٥٧ هـ) .

(٢) ينتسبون إلى جدهم يزيد قيل : إنه كان يهودياً فأسلم على يدي مروان بن الحكم ، وقيل : إنه من سبي إصطخر ، شهد مع مروان يوم الدار ، ولما أصيب مروان حملة يزيد وعالجه حتَّى شفي ، فأعتقه مروان ، ونزل له عن أم ولد له كانت له منها بنت يقال لها حفصة ، فحضرها يزيد ، فكني أبا حفصة .

(٣) الخبر في الأغاني ١٢ : ٥٣ .

(٤) مروان الأصغر بن أبي الجنوب بن مروان الأكبر بن أبي حفصة أبو السَّمَط ، وكان مروان هذا آخر من بقي منهم ، يعدّ في الشعراء ، عاش في عصر المعتصم .

(٥) أحد الأمراء الأتراك الذين جلبهم المعتصم (ت ٢٥٢ هـ) .

قال: ما زال يقرأ عليّ «رُقية الخبز» حتى حصل ما أراد وانصرف^(١)...

وأعجب شيء رأيته في تاريخ الشعر أنه كان عصرٌ يسمون فيه المولّد (بالرقيق) ثم صار هذا الاسم علماً بالغلبة ، وأُطلق على العزل السبط ، والرثاء السائل ، ثم عدوا منه أنواعاً عرفوها (بالألفاظ الملوكية) وأجروها في بعض التشبيهات والأوصاف وما إليها ، كأن الشعر كان مقضياً عليه أن يبقى في الموتى حتى يموت الأحياء . وأن يكون أهله نُصباً على جانبي تلك البطحاء ، التي كان فيها شعراء الجاهلية ، وحسبك أن أعداء ابن المعتز لم يُزروا على غير نحتة وسبكه ، ولم يحاولوا إلا إسقاطه من بينهم^(٢) وهو بالإجماع في السطح من طبقات الشعراء .

ومنتهى الحُمق أن يتخذ مولّد ذلك النمط الجاهليّ ، فإن السرّ في بقاء شعر الجاهلية والمُخضرمين بعد أهله حاجة الرواة والعلماء إلى الشاهد منه ، فلمّا أسقطوا الاستشهاد بكلام المولّدين ، لما يدخل عليهم من الغلط ، ولضعف الثقة بلغتهم ، سقطت هذه الطبقة بعلة طبيعية ، وهي سنّة بقاء الأنسب .

والعرب إنما ابتدأت الشعر بما كان عندها من جزالة اللفظ ، وإتقان بنية القريض ، وإحكام عقيد القافية ونحوها ، ممّا هو طبيعة فيهم ، فكان على من يخلّفهم أن يأخذ في زخرف البناء وزينته ، بعد أن يكون قد تمّ منه ما لم يتم ، وهو الذي فعله أبو تمام والمنتبي ومن في طبقتهم من أهل القوة والكفاية ، ثم كان على من يجيء بعد هؤلاء أن يزدوا فيه من تحف عصورهم ومدنيّتها طبقة بعد طبقة حتى يكون ذلك الموضع ديواناً للتاريخ ترتّب فيه العصور ، وتقف على أبوابه الدهور ، ولكنا نجد إلى عهدنا طوائف تنقض ذلك البناء ، وتقيم على أساسه ، فلا يلبث أن يقع الاثنان معاً .



والشعر أقسام كانت محدودة على ما نوعها أبو تمام في (حماسيته) ، ثم جاء

(١) قالوا: أوّل من تكتب بالشعر النابغة الذبياني حين قيل الصلّة على شعره ، وخضع للنعمان (فسقط منزله) وأثرى . وإنما كانت العرب قبله تقول الشعر فكاهة أو مكافأة على يد (ر) .

قلت: وخبر مروان مع أشناس في الأغاني ١٢ : ٥٦ .

(٢) في الأصل: ولم يحاولوا إسقاطه إلا من بينهم .

مَنْ تَفَنَّنَ فِيهَا ، وَذَهَبَ بِهَا كُلُّ مَذْهَبٍ ، كَابِنُ أَبِي الْأَصْبَعِ^(١) وَغَيْرِهِ . وَقَرَأْتُ أَنَّ
الْبَدِيعَ الْإِسْطَرَلَابِيَّ^(٢) رَقَبَ دِيوَانَ ابْنِ حَجَّاجٍ^(٣) عَلَى مِثَّةِ وَأَرْبَعِينَ بَاباً وَوَاحِدَ ، ثُمَّ
قَفَى كُلَّ بَابٍ ، وَجَعَلَهُ فِي قَفٍّ مِنْ فَنُونِ شِعْرِ الرَّجُلِ .

وَلَكِنَّ الَّذِي قُطِعَ بِالشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ دُونَهُ ، إِنَّمَا هُوَ النَّوْعُ الَّذِي يَسْمِيهِ الْإِفْرَنْجُ
بِالشَّعْرِ الْقِصْصِيِّ ، وَمِنْهُ الْمَلَّاحِمُ الْكَبِيرُ عِنْدَهُمْ كَالْإِلْيَازَةِ وَغَيْرِهَا . وَالْبَسِيطُ مِنْهُ
نَادِرٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ ، بَلْ هُوَ فِي بَسِطَتِهَا كَالظِّلِّ ، شَيْءٌ كَلَامِيٌّ . حَتَّى إِنَّ أَبَا هَلَالٍ
الْعَسْكَرِيَّ^(٤) لَمَّا أوردَ فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ (دِيوَانُ الْمُعَانِي)^(٥) أَيْبَاتَ وَضَّاحِ
الْيَمَنِ^(٦) الْمَشْهُورَةَ الَّتِي أَوَّلَهَا :

قَالَتْ : أَلَا لَا تَلْجَأَنَّ دَارَنَا إِنَّ أَبَانَا رَجُلٌ غَائِرٌ

وَهُوَ يَذْكُرُ فِيهَا مُحَاجَّةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَاحِبَتِهِ فِي مَدَافَعَةِ الْوَضْلِ وَحُكْمِ الدَّلَالِ
مُتَوَخِياً إِيْرَادَ الْبِرْهَانِ ، وَجَلَاءَ الْمَعْنَى عَلَى وَجْهِ الْبَيَانِ . عَقَبَهَا هُنَاكَ بِقَوْلِ
الْمُؤَمِّلِ^(٧) :

وَطَارِقَاتِ طَرَقْتَنِي رُؤْسُ وَاللَّيْلِ كَالطَّبْلَسَانِ مُعْتَكِرُ

(١) عَبْدُ الْعَظِيمِ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَبِي الْأَصْبَعِ الْعِدَوَانِيُّ الْبَغْدَادِيُّ الْمَصْرِيُّ ، شَاعِرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ
بِالْأَدَبِ (ت ٦٥٤ هـ) .

(٢) هُوَ هَيْبَةُ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ أَبُو الْقَاسِمِ ، الْمَعْرُوفُ بِالْبَدِيعِ ، فِيلَسُوفٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْأَطِبَّاءِ ، وَمِنْ
كِبَارِ عُلَمَاءِ الْفَلَكَ ، مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ (ت ٥٣٤ هـ) .

(٣) ابْنُ حَجَّاجٍ هَذَا رَجُلٌ مِنْ شُعْرَاءِ الْعِرَاقِ ، كَانَ فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ لِلْهِجْرَةِ ، وَكَانَ كَثِيرَ السُّخْفِ
فِي شِعْرِهِ ، يَمْزُجُهُ بِلُغَاتِ الْخُلْدِيِّينَ وَالْمُكْدَنِيِّينَ وَأَمْثَالِهِمْ ، وَهُوَ النَّمِطُ الَّذِي انْفَرَدَ بِهِ ،
وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَهُوَ كَمَا قَالَ الثَّعَالِبِيُّ صَاحِبُ (الْبَيْتَةِ) ٩٩ / ٣ «مُلِعُ ابْنِ حَجَّاجٍ لَا تَنْتَهِي حَتَّى
يُنْتَهَى عَنْهَا» وَاسْمُ هَذَا الْمَجْمُوعِ الَّذِي رَتَّبَهُ الْإِسْطَرَلَابِيُّ (دُرَّةُ النَّجَاحِ مِنْ شِعْرِ ابْنِ حَجَّاجٍ)
(ر) . قُلْتُ : وَابْنُ حَجَّاجٍ اسْمُهُ الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ .

(٤) هُوَ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَهْلٍ الْعَسْكَرِيُّ ، عَالِمٌ بِالْأَدَبِ ، لَهُ شِعْرٌ ، نَسَبَتْهُ إِلَى عَسْكَرٍ مُكْرَمٍ
مِنْ كُورِ الْأَهْوَازِ (ت ٣٩٥ هـ) .

(٥) اخْتَارَ الْعَسْكَرِيُّ هَذَا الدِّيْوَانَ مِنْ شِعْرِ الشُّعْرَاءِ إِلَى أَبِيهِمْ ، وَجَعَلَهُ فِي اثْنَيْ عَشَرَ بَاباً . (ر)

(٦) هُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ مِنْ خَوْلَانَ مِنْ حَمِيرٍ ، شَاعِرٌ رَفِيقُ الْغَزْلِ ،
عَجِيبُ النِّسَبِ ، وَفِي الْمُؤَرِّخِينَ مَنْ يَسْمِيهِ عَبْدَ اللَّهِ تَنْحَوَ (٩٠ هـ) .

(٧) هُوَ الْمُؤَمِّلُ بْنُ جَمِيلَ بْنِ بَحْيٍ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ ، شَاعِرٌ غَزَلَ ظَرْفَافَ ، مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَعْرِفُ
بِقَتِيلِ الْهَوَى (ت ١٧٠ هـ) .

وهي مدافعة كالأولى. ثم قال العسكري: «وهذا أصعب ما يرام من الشعر، ولا يكاد يوجد في هذا المعنى أحسن من هاتين المقطوعتين».

ذلك لأن الشعر العربي روح هذه اللغة، وهو من اللطافة بحيث لا يُضيء فيه المعنى إلا بشعاع من الخيال، فإذا أردت أن تقيم منه حديثاً سوي التركيب، كامل الترتيب، زوت عليك القافية، وتقطع الشعر، فلا تدري من أين تأخذ، ولا من أين تدع، كالثور اللطيف، تحاول أن تلقي عليه كثافة الغطاء، فإذا هو منبسط فوق ما تلقي، فمهما تأت من ذلك لا تكون قد صنعت شيئاً.

ورأس هذا الأمر عندنا على ما يقول شبيب بن شبة^(١): «حظ جودة القافية - وإن كانت كلمة واحدة - أرفع من حظ سائر البيت».

فلا بد لهذا النوع في لغتنا من وضع جديد، يكون وسطاً بين الشر والنظم، حتى يحمل الألفاظ والمعاني معاً، فيتعلق فيه الشعر بالنفس، ويمتد السياق على النفس، كما فعل الأندلسيون في وضع الموشحات لحاجتهم التي بعثتهم عليها، والعصر يومئذ لهو وترف، والأدب مجد وشرف.

وأساس هذا الشعر سلامة الذوق^(٢)، فهي الحاسة التي تنجبه بها النفس إلى المعاني، وتقلب عنها، بل هي العين المركبة في الروح، تجمع جمال الطبيعة في نظرة واحدة، فتنقله إلى الإحساس، كما تمد العين الباصرة بمرئياتها وهم المخيلة.

ومن الشعراء من يكون سقيم الذوق، فهو في نظره إلى الشعر مع فساد ذوقه كاللص في نظره إلى الحسناء، إذا وسوس حللها في مسمعه، يغفل منها عما ينتبه إليه الناس، وينتبه لما يغفلون عنه.

ومن هؤلاء طائفة الشعراء المصنعين، وهم الذين لا حظ لهم إلا في (الصناعة الشعرية) وفنونها لا تعد، فيجئون بالقصيدة كلها رقع، ثم هم يتنافسون في هذا

(١) شبيب بن شبة بن عبد الله التميمي المنقري الأهمني أبو معمر، أديب الملوك، وجليس الفقهاء، وأخو المساكين ت نحو (١٧٠ هـ).

(٢) انظر في معنى لتذوق مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر رحمه الله «المتنبى ليتني ما عرفته» في «جمهرة مقالاته» (٢: ١١٣٣ - ١١٨٩).

التصدير ، ولا يدرون أن الثوب الساذج من قطعة واحدة خير من هذه الرقع كلها ، وإن كانت من أنفُس الخُر والدياج .

وانظر ما يكون موقع هذا الثقل من نفوس الأدباء ، فقد أراد ديك الجن الشاعر مرة أن يهول على دُعبل^(١) ، ويقرع سمعه ، فأنشده بيتاً مضطرباً . . . فقال له دُعبل : اسكت ، فوالله ما ظننتك تقيم البيت إلا وقد غشي عليك ، أو تشكيت دماغك . ولكأنني بك في جهنم تخاطب الزبانية ، أو تخبطك الشيطان من المس .
والعلة الطبيعية في بؤس الشعراء هي ذلك الإحساس المتصل بالنفس ، فكلمة غمزته المؤثرات تحول منه بمقدار الضغط بخاراً روحاني ، ينتشر حولها ، وذلك هو الشعر .

وقد ترى النفس فيه ضوءاً كأنه تبسم القلب الحزين ، الذي تشابه جلال الطبيعة بجلاله . لأنها مخلوقة في رأي النفس على مثاله .

وقد يكون للشاعر مُسَّع في غلوه وكبرائه على هذه الطبيعة إلا في العواطف التي هو روابط القلوب بالقلوب ، وموضع الصلة بين ما في الوجود وما وراء الغيوب ، فقد يضرب في كلامه بسيف لم يطبع ، ويرمي بقذيفة لم تُصنع ، ويقطع من خيوط الحياة ما لم يُقطع ، ولكنه فيما دون ذلك لا يقدر أن يذكر الحب من قلب لم يحب . ويثبت للشيء الذي لم يجبر عليه حكم الوجوب شيئاً مما يجب . فإذا هو فعل أطفأت الطبيعة من روائه . وقامت عواطف الناس شاهدة على كذبه في ادعائه .

وقد ذكروا أن كسرى سمع الأعشى يتغنى ذات يوم بقوله :
أرقت وما هذا الشهاد المؤرق وما بي من سقم وما بي معشوق
فقال : ما يقول هذا العربي ؟

قالوا : يتغنى بالعربية .

فأمر أن يفسروا قوله ، فقالوا : زعم أنه سهر من غير مرض ولا عشق .

فقال : هذا إذا لص . . ؟

(١) دُعبل بن علي الخزاعي ، أبو علي ، شاعر هجاء ، أصله من الكوفة (ت ٢٤٦ هـ) .

وللشعر أساليبٌ تنتجها القرائح^(١) ولكنَّ جماعَ القولِ فيها أنَّها تمثيلٌ للطبيعة ، فكأنَّ الشاعرَ ينقلُ مناظرَ الأرضِ إلى الروحِ العاليةِ ، التي ترسلُ إلى الجسمِ شعاعَ الحياةِ ، فتريدُ تلكَ المناظرُ في قوَّةِ الشعاعِ الإلهي ، فلا يتَّصلُ بالجسمِ حتَّى تفيضَ هذه القوَّةُ على القلبِ ، فتَهزُّ الهزَّةَ التي نعرفُ منها الطربَ .
فأيُّ امرئٍ اجتمعتْ له قوَّةُ التمثيلِ وسلامةُ الذَّوقِ ، وهما يكونانِ عندَ سَعَةِ العَقْلِ ، وسموِّ الطبعِ ، فذلكَ الذي هو في معناه بينَ المَلِكِ والإنسانِ ، وهو الشاعرُ^(٢) .



(١) رأينا أن نفرد هذا الموضع بالكلام لأنَّه تاريخُ العقول ، ولعلَّ ذلك يكون إن شاء الله في مقدمة (ديوان النظرات) ، قلت : نظراً لتعلُّق هذه المقدمات بعضها ببعض سردها جميعاً وجعلتها مقدمة واحدة لهذا الكتاب .

(٢) ديوان الرافعي (٣/٣ - ١٢) ط (١) عام ١٩٠٦ م .

المقدمة الرابعة

مقدمة في حقيقة الشعر

ليست هذه المعاني الشعرية إلا ظلالاً لما في الطبيعة ، وإن مثلثها القلوب حقائق منفردة ، فإن قلب الشاعر بينها وبين الطبيعة كالمرآة تظهر أشباحاً قائمة ، وهي على الحقيقة غير أشباح . وتمثل لك الأرواح في الأجسام ، وليست على انفرادها من الأجسام ولا من الأرواح .

فترى الشاعر ينقل الوردة إلى روضة بيانه ، فتنبث فيها خدأ ، ويغرس الغصن الناعم ، فيستقيم هناك قدأ ، ويأتيك بلحظة العين ، فيطبّع منها الحسام ، ويتناول ظلاله الأهداب ، فيرش منها إلى الأفئدة السهام ، أو يعقد من ظلالها شركاً ينصبه لسوانح المني في أودية الغرام ، وهو في ذلك يُعير النفوس أجنحة ترفعها إلى جو الخلود ، فتجمع إليها نضرة العالم في نظرة ، وتطالعها فطرة المادة ، كأنما تقرأها من الشعر في خطرة .

وهذا المعنى في الشعراء أكبر من أن يكون قوة أرضية ، فلا بد أن يكون الشاعر إنساناً فوق الإنسان ، واعتبر ذلك بأخلاقه ، فإنتك لا تجده إلا أقرب إلى الملك أو أقرب إلى الشيطان ، وعلى إحدى الجهتين من هذا التأويل يقول ملحدو الفلاسفة : إن الديانات من مختلقات الشعراء .

وكأنما الشعر نوع من علم سياسة النفس ، فترى الشاعر يُداور الأمور ويربغها طلباً لمآتاتها ، والتماساً لما يُسيغها . ثم يزعم النفس في الغرض الذي يلقيه إليها عن موضع الاطمئنان الطبيعي به إلى جهة من الشك الخيالي فيه ، ثم يردّها إلى موضعها الأول ، فتكون في حركتها هذه قد اضطربت بمقدار ما أفسح لها ، وهذا الاضطراب هو الذي يكون منه الشعور .

والكلام لا يُرسل إلا تمثيلاً للأغراض التي تراد به ، ولكن هذا التمثيل على إطلاقه ليس من صنعة الشعر خاصة ، بل يجيء الشعر وسيلة لتمثيل روح الغرض ذاته ، وإفاضة الإحساس عليها حتى تتفرّز ، فتتصل بالنفس ، فتأنس بها للشبه الروحي بينهما .

وأنت لا تجد للفظه «الحب» معنى كبيراً في ذاتها ، ولكن الشاعر متى وضع لها صفة وهيئة فمثل المَحِبِّ والحبيب . وعقد لها طرفين من الغزل والنسب . وتناول أصوات هذه المعاني فليحها على نغمات الأنين . وجعل لها متنفساً بين تأوهات الحزين . واستوفى هذه الصفة على أصول التمثيل الشعري ، وأحكمها على مقتضى صنعتها ، فحينئذ يفتح لك باب «الحب» ، فتري عالماً بين أرض وسماء . تلك أفئدة تنبت بالأشواق ، وهذه أعين تمطر بالبكاء .

ثم يمثل بك الخيال في مملكة الجمال أمام ذلك العرش الذي قامت أركانه على القلوب ، واستوى عليه دلال الحب ممن يسمونه المحبوب . فأخذ يقسم الحظوظ ، ويصرف الغيوب ، بين أرواح مشرق ينساح^(١) ضوءها ، وأرواح تجنح للغروب . على أني مهما بلغ لك هذا القلم في التصوير ، فلا أراه استمد من بيان «الحب» وبهاته أكثر من تلك «النقطة» الساقطة من بانه .

وليس يحتاج ذلك التمثيل - الذي عرفت - في تمام تصويره إلى الوزن لولا أن الوزن الحان تساعد المعنى الشعري في تهيئة النشاط للنفس ، حتى ليخيل إليك إذا أنشدت أن آخر ينشد معك ، فالوزن بهذا الاعتبار كأنه لون جديد في التصوير الشعري ، بل هو للنفس عند صورة الشعر أشبه شيء بالنور الذي يتألق فيه ماء الصورة ، ويتلألأ رونقها ، فهو يكشف عن تمام حُسْنِها . كما يكشف الضوء من الغمامة عن صفاء مَرْنِها .

ولهذا تجد من يصابي الشعر ، فلا يقيم إنشاده ، ولا يستوفي منه مواضع التبر والإرسال والترتيل^(٢) ، كمن يكسره ، فلا يقيم وزنه ، ولا يتم حُسْنه . وإنك لتسمعه من كليهما أنكر صوت ، حتى لو بلغت فيك رقة الطبع لفصّلت على كل كلمة منه كلمة تُشتم بها ، لتجد^(٣) فيها على الأقل لذة الحلم .

ومثل ما عرفت من هذا ما تعرفه من الشعر الذي انهدم فيه ركن التخييل ،

(١) يتبسط (ر) .

(٢) (التبر) رفع الصوت ببعض أحرف الكلمة ، و(الإرسال) خلافه ، و(الترتيل) التمهّل وتحقيق الحروف والحركات (ر) .

(٣) في الأصل للجد .

فبقي طلالاً ، لا هو بناءً ، ولا هو فناً ، فإنَّ الأصلَ في الشعرِ هذا التخييلُ ، ثم تأتي صِحَّةُ التَّأليفِ ، التي تجددُ مادَّته في انتباه مَنْ يُلْقَى إليه ، وما يُقَطَّعُ بالشاعرِ إلا وقد ضَعُفَ معه نظامُ المناسباتِ ، وهو صِحَّةُ التَّأليفِ ، التي قوامُها التخييلُ ، حتى إنَّه ليستطيعُ أن يجمعَ العالمَ كلَّه في قصيدةٍ واحدةٍ ، إذا هو استطاعَ أن يجدَ المناسباتَ التي تؤلِّفُ بينَ مفرداته المتنافرة .

وترى بينَ مُتَحَلِّي الشعرِ مَنْ لا يجدُ في طبعه قوَّةَ التخييلِ ، فكُلُّما نظمَ أخلى^(١) ، ولذلك يعمدُ إلى الألفاظِ التي هي مَظَنَّةُ الشعرِ كالتي تعبُرُ عن العواطفِ مثلاً ، فلا يزالُ بها حتَّى يقعَ منها على الحيلةِ في إخراجها مخرجَ الشعرِ على ما يتوقَّعُ ، فهو بذلك ينبِّه النفسَ إلى ما أُلْفِتَ أن يكونَ فيه سرورُها من تلك الألفاظِ ، كالْحُبِّ والوَجْدِ ، والسعادةِ والمَجْدِ ، ولكنه يطردها للشعرِ مِنْ غيرِ أن يُحكِمَ المناسباتَ التي تفيضُ عليها الإحساسَ ، وتمدُّها منه بالحياةِ ، فلا تبلغُ النفسُ أن تنبسطَ لكلامه انبساطَ الحيِّ حتَّى تجمدَ جمودَ الميتِ ، فإنَّ الشاعرَ بالألفاظِ تلكَ بين حواشي معانيها التي ترفُّ عليها النفوسُ ، كأنما يطوفُ بالجنائزِ في الأعراسِ ، ويجدُ لفسادِ طبعه وجهاً من الشَّبه بينَ ما يَرَفُّ إلى المقاصيرِ ، وبينَ ما يُحْمَلُ إلى الأزْمارِ^(٢) .



وليس هذا الشعرُ في الألفاظِ من حيثُ تُرسلُ ، ولكنه في المؤثراتِ التي تُستخدمُ فيها ، فإنَّ الطفلَ أولَ ما يقولُ «بابا» يُستطازُّ بها أبوه فرحاً ، والطفلُ لم يزدَ على أن تلفظَ بأحرفٍ طبيعيةٍ ، لم يبعثْ عليها فِكْرٌ ، ولا هو تصوُّرٌ لها معنى ، ولكنَّ أباه كلُّما تعمَّلَ أن يحكيها تنقَّسَ قلبه لتلك المحاكاةِ بالاعتبارِ الذي يأتيها من الصلةِ النفسيةِ بين الأبِ وابنه .

وكذلك الشاعرُ فيما يحاكي من صفاتِ الطبيعةِ وتشبيهاتها ؛ فإنَّه يجيءُ بها فوقَ ما هي في ذاتها ، بما يمثِّلُ إليها من أسبابِ الصلةِ بينها وبينَ النفوسِ . فكأنَّ الشاعرَ والنفسَ يتساقطانَ الحديثَ ، فيُنصِتُ حتَّى يعيَ كلامها ، وتُنصِتُ حتَّى تعيَ كلامه .

(١) لم يصب معنى (ر) .

(٢) القبور .

ولذلك ربّما اهتزّت النفس للشعر الذي لا يرى فيه الناقد غير لفظ منسجم ومعنى مهذول ، بل ربّما اهتزّت من ذلك أيضاً لما عسى الناقد أن يجد فيه المغمز ، ويصيب المقالة ، ولكنّ بعض ألفاظه تتناول من المعاني ما يذكّر النفس بأحوال ربّما كانت منسية في جانب التصوّر ، أو كان للنفس فيها شيء من الهوى ، فتهميها الذكرى ، وتنجدّر على تلك الألفاظ المنسجمة ، فتزيّن معناها البسيط من تصوّرها بمثل ما يحيط من ألوان الأفق بالشمس إذا غربت ، فإن نورها الخافت لا يكاد يُلقي على تلك الألوان حتى تتناسب جميعها ، فيكون قرص الشمس كأنه لون منها في صفحة السماء ، وبذلك يخرج عن صورة الجرم المضيء إلى هيئة الضياء ، وتكتسي الشمس من تلك الألوان في نظر المتأمل على ما بها من السقم أحسن صفات الجمال في الحسناء .

وعلى هذا كان الشعر ، لا تخلص حقيقة إلى النفوس إلا إذا أصاب منها هوى موجوداً فيها ، أو هوى يوجد هُوَ ، فالشعر لذّة مقيدة بمعنى المناسبة إلى الأغراض ، وهي نتائج الحوادث تختلف باختلافها ، فإن المكرّوب مثلاً لا ينشط لبس من التهنئة ، والطروب لا يقبل على بيت من الرثاء ، وبهذا الاعتبار كان لا بد من تنوع الشعر ، والافتنان فيه ، فإن لم يكن الشاعر محدثاً بما في القلوب ، فإن كلامه منها لبعيد .



ومن الشعر تامّ وبسيط ، لأن الفكر أي نوع كان ، إنّما يسقط من حادثه هزّها تصوّر الإنسان ، فكل ما صور الفكر في ذاته فهو الشعر البسيط .

أما التامّ فهو الذي يُعيد سيرة الأولى بعد أن يُجملها بالخيال ، ويكملها بذلك الجمال ، فيجعل جزءاً من حادثه يسوقها على وجهها ، ويحملها إليك بجملتها ، ويلقيها في نفسك ، فتجد لموقع الفكر منها نفساً من اللذة أشبه شيء بالهواء الذي يتنفس به الماء حين يضطرب .

واعتبر ذلك بقول القائل في العتاب : لَوْ أَنَّ مَا أَنْتُمْ فِيهِ يَدُومُ لَكُمْ لَكِنْ رَأَيْتُ اللَّيَالِيَ غَيْرَ نَارِكَةٍ فَقَدْ سَكَنْتُ إِلَى أَنِّي وَأَنْتُمْ	[من البسيط] ظَنَنْتُ مَا أَنَا فِيهِ دَائِماً أَبَداً مَا سَرَّ مِنْ حَادِثٍ أَوْ سَاءَ مُطَرِّداً سَنَسْتَجِدُّ خِلَافَ الْحَالَتَيْنِ غَداً
---	---

ألا ترى أنه لو ابتدأ المعنى الذي طرد له البيتين الأولين من غير أن يوطىء له تلك التوطئة لجاء الشعر مُختشِباً^(١) غير تام.

وكذلك قول الربيعي^(٢):

كَأَنِّي نَمِلُ مَرَّ النَّدِيمِ ضَحَى عَنْهُ بِأَقْدَاحِهِ مِنْ بَعْدِ مِثَاقِ
فَكُلُّ كَفٍّ رَأَاهَا ظَنُّهَا قَدْحاً وَكُلُّ شَخْصٍ رَأَاهُ ظَنُّهُ السَّاقِي

ومثل هذا كثير ، وسواء فيه تمام الشعر في البيت الواحد وفي البيتين والأبيات.

وإنما يتفد بك في مضايق هذه الطريق ، ويدللك على منافذها ما أضاءت به القرائح في علوم البلاغة ، التي استخرجوا فيها أسرار العربية ، واستنبطوا دقائقها ، وهي علوم تبيّن النقص فيمن لا يعرف محاسنها من المتأخرين معرفةً مُمارس ، لا معرفةً مُدَارِس ، فهي ليست مما يُغني عنه الطبع كالعروض ونحوه على ما يزعمون في هذا الزمان ، الذي صار فيه الشكل المطبعي عند كثير من نشء أدبائه قسماً من علم النحو . . . ولكنها عقول أذابتها الفكر ، فسال بها نهر الأدب إلى روضة لغة العرب ، بل أصمار كانت طويلة ، فاختصرها القلم لما كتب.

ولقد كان شعراء العرب يستتمون مثل هذا النقص فيهم بالرواية ، وإنما استخرجت تلك العلوم مما روي عنهم ، حتى لقد سئل رؤبة^(٣) عن الفحل من الشعراء فقال: «هو الراوية» يريد أنه إذا روى استفحل. قالوا: وإنما ذلك لأنه يجمع إلى جيد شعره معرفة جيد غيره ، فلا يحيل نفسه إلا على بصيرة.

ولا يكفي مثل ذلك في متأخري الشعراء لمكان السليقة من الأولين ، وقوة الطبع فيهم ، فكانت الرواية لطباعهم كعود الثقاب ، إذا اقتدخته فأدنيته من

(١) غير منقح ، بل مرسل كما يجيء (ر).

(٢) هو عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع ، شاعر عباسي مطبوع ، ومعنى محسن ، عاش في عصر الرشيد. انظر الأغاني ١٥٨/١٩ و ١٦٧.

(٣) رؤبة بن عبد الله العبّاج التميمي ، أبو الجحاف ، راجز من الفصحاء المشهورين توفي سنة (١٤٥ هـ).

المصباح لا ينشُبُ أَنْ يَغْلِقَ بِهِ ذَلِكَ النورُ ، فيبقى فيه بمقدارٍ ما في المصباح من مادةِ الإنارة.

وإذا كان الشعرُ ألفاظاً ومعاني ، وكانتِ الألفاظُ لا تنتهيَّ إلا لمن يستقرُّها بالحفظ ، ثم هي لا تُجاذبُ ولا تُفَسِّرُ مكارهةً ، بل لا بدَّ لها من وجهٍ في التركيبِ تتأدَّى عليه ، فيُيسطِ به البيانُ ، ويُنارُ بحسبه البرهانُ. وكان هذا الوجهُ لا يخيَّلُ إلا بمرآةِ الطبعِ الصَّفيِّ ، ولا يُنظَرُ إلا بعينِ البصيرةِ التي جلاها علاجُ الدرسِ الطويلِ . فقد عُلِمَ ضرورةً أَنَّ الشاعرَ إذا لم يشارِفْ هذه العلومَ ، التي هي قوانينُ الاستعمالِ ، ومادةُ الإبداعِ في تصويرِ ذلك المثالِ ، فقد رجعَ بمقصرٍ مما كان يحاولُ ، وتطاوَلَ ؛ ولكنَّ مِنْ غيرِ أن يطاولَ . ولا عجبَ فإنَّ هذه المعاني إنْ كانتِ تمامَ حقيقتهِ ففي حُسْنِ تأديتها حقيقةُ التمامِ^(١).



(١) ديوان النظرات ، وهو هذا الكتاب . ص (٣ - ١٤) من الطبعة الأولى عام ١٩٠٨ م .

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

نَظَّمَهُ

مُصَافِي صَادِق الرَّافِعِي



إرسموا شخصَ الوفا ثم انظروا من بعدُ رسمي
لو يسمي في الأنام الحبُّ ما اختار سوى اسمي

سازگار

يا حمى النيل

النشيد الوطني المصري^(١)

[من مجزوء الرمل]

(١)

يا حمى النيل الأَمِينُ لك في قلبي حنينُ
لك إخلاصي المَتِينُ وهوى الأوطانِ دينُ

(٢)

مِضْرُ يا خيرَ وطنُ مِضْرُ يا أمَّ الرُّمَنُ
لك من غيرِ ثَمَنُ كلُّ عُمرِي الثَّمِينُ

(٣)

مِضْرُ يا أرضَ الهَرَمِ أنتِ مَذَقُنُ الأَمَمِ
أنتِ قَبْرُ مَنْ ظَلَمَ مَنْ يَدِينُ أَهْلَكَ دِينُ

(٤)

أيُّ جَبَّارٍ قَدِيرُ بعد ذا العَصْرِ المُبِيرُ
يمنعُ أنْشَغَبَ البَصِيرُ أنْ يَرى الحَقُّ المُبِينُ

(١) النشيد في اللغة الشعر المنشد . (ر) .

(٥)

مَنْ يَصِدُّ نَجْمَ السَّمَاءِ إِذْ يَرَاهُ تَحْتَ مَاءٍ
لَا يَصِدُّ تَحْتَ الدَّمَاءِ أَمَلِ الشَّعْبِ الْحَزِينِ

(٦)

عَرُّ مَصْرَ غَايَتِي حُبُّ مِصْرَ آيَتِي
فَلْتَرْفَرْفِ رَايَتِي وَلَهَا مِنْ يَ أَيْمِينِ

(٧)

رَايَتِي بَنَتْ أَلْهَالَ فَوْقَ هَامَاتِ الرِّجَالِ
مِثْلُهُ فَوْقَ اللَّيَالِ خَالِدًا طَوَّلَ السِّنِّ

(٨)

قَدْ نَهَضْنَا مِنْ ظِلَامٍ بَعْدَ مَا طَالَ الْمَنَامُ
لِلْأَمَامِ لِلْأَمَامِ فَلَنَا الْحَقُّ ضَمِينُ

(٩)

أَذْكُرُوا الْمَاضِي وَلَا تُهْمِلُوا الْمُسْتَقْبَلَ
أَوَّلًا فَأَوَّلًا وَلَنَا اللَّهُ مُعِينُ



نبأ مصر

وحالة الاجتماع فيها سنة ١٣٢٥ للهجرة وما آلمها
[من الطويل]

نَسِيبٌ بِوَادِي النَّبِيلِ غَيْرُ بَلِيلٍ
فَلَا الْأَرْضُ تِلْكَ الْأَرْضُ خَصْبًا لِأَهْلِهَا
نَفَضْنَا يَدَيْنَا وَانْزَوَيْنَا أَذْلَةً
لَنَا كُلَّ يَوْمٍ أَلْفُ رَأْيٍ وَمَا لَنَا
نُقْلُدُ أَلْفَاظَ السِّيَاسَةِ عُمَرَنَا
وَمَا بُعْدَ مَا بَيْنَ (الصَّلِيلِ) وَهَوْلِهِ
فَلَا سِفَةَ فِيمَا نَقُولُ ، فَلَمْ نَزَلْ
وَمَا مِنْ حَدِيثٍ بَاتَ غَيْرَ مُشَقِّقٍ
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ كَاتِبٌ يَشْرَعُ أَلْفَا
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ صَارِخٌ ذُو حَمِيَّةٍ
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ شَاعِرٌ ذُو حَفِيفَةٍ
أَيَحْسَبُ مِيزَانَ السِّيَاسَةِ فِي الْوَرَى
وَأُنْبِثُهُمْ يَسْتَضَرُّخُونَ لِيَوْقُظُوا

وَوَظِلُّ بِهَذَا الرَّوْضِ غَيْرُ ظَلِيلٍ
وَلَا النَّبِيلُ فِي أَرْضِ الْبِلَادِ بَنِيلٍ
وَأَضْيَعُ مَا فِي النَّاسِ حَقُّ ذَلِيلٍ
عَلَيْهَا مِنَ الْأَفْعَالِ فَرْدُ ذَلِيلٍ
وَنَذْمَلُ عِنْدَ الْحَزْمِ أَيُّ ذُھُولٍ^(١)
وَإِنْ قَرُبَا لَفْظًا وَبَيْنَ (صَهِيلِ)^(٢)
نُصُولُ عَلَى الدُّنْيَا يَبْغُضُ نُقُولُ^(٣)
وَلَا مِنْ جَدَالٍ بَاتَ غَيْرَ فُصُولِ^(٤)
لِيَقْلِبَ جَنْبَ الْأَرْضِ بَعْدَ قَلِيلٍ
يَضْحُجُّ بِقَالٍ فِي الْبِلَادِ وَقِيلِ
يُحْطُ سَطُورًا مِنْ دِمَاءِ قَتِيلِ^(٥)
كَمِيزَانٍ مَفْعُولَاتِهِ وَقُؤُولِ
نِيَامًا بَلِيلٍ فِي الْمِطَالِ طَوِيلِ

- (١) الذُّهُولُ عَنْ الشَّيْءِ : تَرْكُهُ عَلَى عَهْدِهِ ، أَوْ نِسْيَانَهُ لِشُغْلٍ (ر) .
(٢) الصَّلِيلُ : صَوْتُ السِّيفِ يَقَعُ عَلَى السِّيفِ ، وَالصَّهِيلُ صَوْتُ الْفَرَسِ ، وَهَمَا قَرِيبَانِ لَفْظًا كَمَا تَرَى (ر) .
(٣) النُّقُولُ : جَمْعُ نُقْلٍ ، وَالْمُرَادُ الْأَدَلَّةُ الْمَنْقُولَةُ بِسِتْشَهِدٍ بِهَا (ر) .
(٤) الْحَدِيثُ الْمَشَقَّقُ : الَّذِي يَشَقُّ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ ، وَهِيَ كُنَايَةٌ عَنْ تَرْدِيدِ كُلِّ قَائِلٍ مَا يَقُولُهُ الْآخَرُ (ر) .
(٥) إِشَارَةٌ إِلَى حَادِثَةِ دَنْشَوَايَ (ر) .

فيا بادح أليم اضطربت ولم تزد على نزوات أعقبث بحُمُول^(١)

(٢)

أالآن والغرس الذي تُمطرُونه صغاراً وجُبْنٌ خالِعٌ في كبارهم
ملايين لم تُثْمِرْ ببعض عقولٍ وتَحَيَّلْتُمونا أهلَ كُلِّ عزيمةٍ
وأصغرهم غَالَتْهُ لَفْظَةُ (عُول)^(٢) ولا طُولَ فينا غيرُ نوعٍ تطاولٍ
كما خالَ قَصُراً ناظِرٌ لَطُلُولٍ بكلِّ سبيلٍ نُزِمِعُ السَّيْرَ للعلَى
ونرتدُّ للشُّفلى بكلِّ سبيلٍ

(٣)

تأدوا لغايات ألمنى بأدائها ألا إنما الداء الغميضُ عقولنا
فما جَلَّ لا يغييه غيرُ جَلِيلٍ^(٤) وأهونٌ بتفريج الأمور ولثها
وما شجرٌ ينمو بغير أصولٍ إذا ألقيت يوماً لغير جهولٍ

(٤)

تباين ما بين الرجال وكلهم فيا عصبه الأحزاب رُدوا حلومكم
على زعيمه بالأمر خيرٌ كفيل^(٥) فقد سطعت في مصر منكم عجاجة
وجزوا على غير الثرى بذيولٍ عجاجة صيف قد أثار قتامها
ولكنها لاحث بغير صليل خبولٍ سباقٍ لا ضراغمُ غيل^(٦)
فما بال واشٍ بئسكم وعدوك وأخيتموها سئة جاهلية

(١) بادح اليم: موجه المرتفع. والنزوات: الرغبات (ر).

(٢) إشارة إلى مبدأ التربية الموهول من التفريغ بالبيع والغول (ر).

(٣) الطُول: القدرة والسعة (ر).

(٤) تأدى للأمر بأدائه: استعد له بأسبابه (ر).

(٥) تباين ما بينهم: انقطع كلٌّ عن صاحبه (ر).

(٦) العجاجة والقتام: ما يرتفع في الجو من غبار الوقائع. والضراغم: الأسود، والبيت إشارة

إلى استباق أكثر القوم غاية الشهرة من غير اتحاد على مبدأ يناضلون عنه بحماسة فطرية (ر).

تَحَلَّوْا بِأَمْرِ الْعِلْمِ ، وَاسْتَجْمِعُوا لَهُ
وَلَا تَخْلِطُواهُ بِالتَّفَاقِ تَقَبُّةً
فَمَا لَكُمْ إِلَّا الَّذِي تَعْمَلُونَهُ
أَلَمْ آتِزَالُوا قَاصِرِينَ فَأَمْرُكُمْ
تَقُوا عَارَهَا مِنْ سُبَّةٍ تَتْرَكُونَهَا

فَوَاكِم ، فَإِنَّ الْعِلْمَ خَيْرٌ دَلِيلٌ^(١)
وَجُبْنًا ، فَظَهَرَ الْحَقُّ غَيْرُ ذُلُولٍ
وإنْ تُبَدِّلُوا مِنْهُ فَشَرُّ بَدِيلٍ
ضِيَاعٌ إِذَا لَمْ يَعْتَصِمَ (بِوَكِيلٍ)
لَجِيلٍ ، وَيَلْقِيهَا الزَّمَانُ لَجِيلٍ

(٥)

أَرَى فِتْنَةً كَالْفَنَائَاتِ تَدُلُّلًا
نَخَالُ الْفَتَى مِنْهُمْ عَلَى ظُلْمَةِ الْتَهَى
مَلُولٌ كَمَا شَاءَ الْهَوَى ، وَاقْتِدَاؤُهُ
وَمَا وَجَدَ الْأَعْمَالُ بَوْمًا ، وَإِنَّمَا
وَضَنُّ الْفَتَى أَنَّ (الْتِمَذَّنُ الْأَثْوَى)
تَمَاجِنٌ فِي أَشْكَالِهَا مِنْ مُصْبَغٍ
إِلَى اللَّفْظِ حَتَّى مَا تَكَادُ شِفَاهُهُ
إِلَى اللَّحْظِ حَتَّى مَا تَكَادُ جُفُونُهُ
دَلَالٌ جَمِيلٌ بِالْجَمَالِ مُهَنَّا

تَمِيلُ مَعَ الْأَهْوَاءِ كُلِّ مُمِيلٍ
لَأَلْوَانِ ثَوْبِيهِ سَمَاءٍ أَصِيلٍ^(٢)
بِمَنْ حَوْلَهُ مِنْ خَلَّةٍ وَخَلِيلٍ
لِيَسْتَحْيُوا فِيهِ دَلَالَ مَلُولٍ
فَتَابِعَ فِيهِ كُلِّ ذَاتِ خَلِيلٍ^(٣)
إِلَى كُلِّ مَجْلُوٍّ وَكُلِّ صَقِيلٍ
تُبَيِّنُ بِلَفْظٍ مِنْهُ غَيْرَ نَجِيلٍ
تَطَارِحُ لِحْظًا مِنْهُ غَيْرَ عَلِيلٍ
فَأَهْ عَلَيْهِ مِنْ دَلَالِ جَمِيلٍ

(٦)

أُولَئِكَ هُمْ شُبَّانُنَا لَوْ عَرَفْتُمْ
مَظَاهِرُ بُبُلٍ نَافَقُوا فِي اضْطِنَاعِهَا

وَهُمْ كُلُّ مَنْ فِي مَضَرٍّ غَيْرَ قَلِيلٍ
أَلَا قُبْحَتْ مِنْ صَنْعَةٍ لِنَبِيلٍ

(٧)

أَحَلَّنَا عَلَى غَيْبِ الْقَضَاءِ هُمُومَنَا
وَمَا نَحْنُ (أَهْلُ الْحَكَمِ) نَدْفَعُ دَفْعَهُمْ

وَأَيُّهُ سَلَوَى فِي الْقَضَا لِمُجِيلٍ
فَإِنْ لَمْ يُبَيِّنْ لُونَا فَأَيُّ مُبِيلٍ

(١) تَحَلَّى بِالْأَمْرِ: انْتَرَدَ بِهِ ، وَأَفْرَدَهُ بِالْعَنَائَةِ (ر).

(٢) الثَوْبَانِ هُنَا هُمَا الثَوْبُ الظَّاهِرُ كُلُّهُ ، وَالثَوْبُ الْبَاطِنُ بَعْضُهُ ، كَالْقَمِيصِ وَمَا إِلَيْهِ (ر).

(٣) الْخَلِيلُ: الْبَعْلُ ، وَقَدْ جَرَتْ كَلِمَةُ «الْتِمَذَّنُ الْأَثْوَى» مَجْرَى الْأَمْثَالِ (ر).

هُمْ عَوَّدُونَا الدُّلَّ ، ثُمَّ تَطَوَّلُوا
وَمَنْ عَوَّدَ الدُّلَّ الرَّجَالَ حَلَا لَهُ أَلْ
فِيَا مِضْرُ أَنْتِ السَّيْفُ صَقْلًا وَجَلْوَةً
وَيَا كَفَّ مِضْرُ ذَلِكَ السَّيْفُ وَالْوَعَى

(٨)

فَجَعَلْنَا بِمَا لَا نُضْمِرُونَ حِذَارَهُ
فَبَا شَوْمَهَا مِنْ أَرْمَةِ تَرَكَتْكُمْ
وَكَمْ أُسْرَةٌ تُمَسِّي الْمَضَاجِعَ مِنْهُمْ
يَعْدُ رَغِيْفُ الْخُبْزِ فِيهِمْ (وَلِيْمَةٌ)
أَخَافُ عَلَى أَرْضِ الْبِلَادِ وَنِيْلِهَا
فَتُمَسِّي عَلَى نِيْلِ الْبِلَادِ وَأَرْضِهَا
جَرِيْثُ سِرَاعٍ لِلْغَنَى تَطْلُبُونَهُ
وَإِنَّمَا أَرَادَ الْمُقْعِدُونَ سَلَامَةً
تَصِيحُونَ بِالْمُخْتَلِّ تَسْتَبْعِدُونَهُ
أَلَا فَاطْلَبُوا إِثْبَاتَنَا فِي بِلَادِنَا
وَمَنْ يَطْلُبُ الْأَمْرَ الْبَعِيدَ وَيُهْمِلُ أَلْ
أَنْظُمًا نَفْسِي الْآنَ وَالْمَاءُ فِي بَيْدِي
فَلَا تَتَوَانَوْنَا إِنَّمَا الْوَقْتُ فُرْصَةٌ



(١) الغلول: الثَّلَمُ التي تروى في حدِّ السيف ، وذلك الذي يعبر عنه العامة بقولهم في وصفه (نالِم) وهي جمع (فَلَّ) بالفتح (ر).

(٢) العالة: من أعاله غيره ، والمعيِل: من أعال غيره (ر).

(٣) المنتضم: الضامر البطن من الجوع (ر).

(٤) هذه التهنئة في أسلوب التهكم (ر).

(٥) إشارة إلى المضاريات التي هي سبب البلاء (ر).

(٦) أي بعد حصول القريب من أمره ، في يديه (ر).

على البعد

وهو موشح للغناء

[من الرمل]

(١)

يا نَسِيمَ الفجرِ يا طفْلَ الرُّبى	لاهِباً فوقَ أراجِنِحِ الشَّجَرِ
كُلَّمَا اخْتَالَ على الأَرْضِ كَبَا	فَتَرَامَى بَيْنَ أَحْضَانِ الرُّهَرِ
رَضِيَ الرُّوضُ عليه أَمِ أبى	فَهُوَ لَمْ يَشْكُرْ وَلَا قَطُّ اغْتَدَرَ
خُذْ لِمَنْ أَهْوَى على أَلْبَعْدِ نَبَا	إِنَّ جَهْدَ الشُّوقِ فِي الْبُعْدِ خَبَرُ
أَنْتِ يَا مَنْ فِيكَ أَنْسَى مَنْ أَنَا	بَعْدَ ذَنْبِ الدَّهْرِ فَبِنَا لَا عَلَيْكَ ^(١)

(٢)

أُنْظِرِي اللَّيْلَ تَرِنِي هَمَّ الْهَوَى	يَتَلَوَّى ظُلُمًا فِي ظُلُمِ
وَالْحَظِي النَّجْمَ تَرِنِي مَعْنَى النَّوَى	كَابِتَسَامِ الْمَوْتِ مِنْ فَوْقِ الْقَمِ
وَإِذَا مَا مَلَكَ الْحُبُّ لَوَى	فِي الْكَرَى مِفْتَاحَ بَابِ الْحُلُمِ
وَتَمَثَّلْتَ الْمُذَيِّبَ وَاللُّوَى	وَعَهوداً فِي أَمَانِ الذَّمِّ
فَاجْعَلِي الصُّبْحَ سَلاماً بَيْنَنَا	إِنَّ فِيهِ رِقَّةً مِنْ شَفَتَيْكَ



(١) أي لا ذنب عليك (ر).

كتب الزهر

قال في محب يتأمل الزهر وقد مات حبيبه:
[من الخفيف]

يا مُجِبّاً يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ وَالْأَرِ
تَحْتَوِي الظُّرْفَ وَالْجَمَالَ وَقَلْباً
ضُنْ تَضُمُّ الْحَبِيبَ تَحْتَ الثَّرَابِ
فِيهِ سِرُّ الْهَوَى وَسِرُّ الشَّبَابِ
كُتِبَ عِطْرُهَا سَلامُ الْغِيَابِ
إِنَّمَا الزَّهْرُ مِنْ حَبِيبِكَ هَذَا



الخلق العجيب

لما هاجت ألهمة للاكتاب في
إنشاء الجامعة المصرية^(١) ثم
سكنت بعدها إلى اليوم:
[من البسيط]

كَمْ مِنْ عَجَائِبَ فِي الْمِصْرِيِّ خَادِعَةٍ حَتَّى يُكَذِّبَ فِيهَا عَيْنُهُ الرَّائِي
خُذْ مِنْهُ مَا شِئْتَ مِنْ لَفْظٍ يَهَيِّمُ بِهِ (أَهْلُ الْمَجَازِ) مَتَى مَتَى بِإِعْطَاءِ
فَإِنَّ كَالْمَاءِ فَوْقَ النَّارِ كَلِمَتُهُ وَإِنْ أَعَالَهُ كَالنَّارِ فِي الْمَاءِ



(١) كان ذلك عام ١٩٠٨ م.

يوم البين

[من الطويل]

أَطَلْتُ عَلَيْنَا الشَّمْسُ إِذْ هَمَّتِ النَّوَى
وَبِي رَمَقٌ مِنْهَا لَمِيقَاتِ سَاعَةٍ
إِذَا خَطَرَ الْمَاضِي عَلَى الْقَلْبِ النَّوَى
فِيَا عَجَباً لِلْبَيْنِ مَنْ جَزَعَ الْوَرَى
وَمَا كَانَ يَوْمُ الْبَيْنِ قَطُّ عَجِيبَةً
بُنَا وَبَهَا ، وَالْيَوْمُ يَهْوِي وَيَرْتَقِي
تَفَرَّقَ فِيهَا ظِلُّ نَفْسِي لِيَلْتَقِي
مَخَافَةً أَنْ يَمْضِيَ عَلَيَّ الَّذِي بَقِيَ
لَأَيَّامِهِ مَنْ لَمْ يُلَاقِ وَمَنْ لَقِيَ^(١)
إِذَا لَمْ يَكُنْ ذَا مَغْرِبَيْنِ وَمَشْرِقِ^(٢)



(١) يعجزون ليوم البين حتى بلغ من ذلك أن جعله العامة دعاءً ونبراً (ر).

(٢) المغريان : مغرب الشمس ومغرب الحسن النائي (ر).

صوت الحياة

[من الخفيف]

إِذْضَ بِالْأَمْرِ مَا أَنْكَ إِذَا الْأَمْرُ
أَنْتَ فِي الْعَالَمِينَ فَرْدٌ ضَعِيفٌ
قَطْرَةُ الْبَحْرِ حِينَ تُفَرِّدُ مِنْهُ
تَمْنَى وَأَيْنَ مَا مِنْكَ أَمْرٌ
رُ تَعْدَى مَشِيَّةَ الْإِخْتِيَارِ^(١)
وَمِنْ الضَّعْفِ مَنَشَأُ الْإِضْطِرَارِ
لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ التَّيَّارِ
هُوَ فَوْقَ اسْتَطَاعَةِ الْإِقْتِدَارِ^(٢)

قُدْرَةُ الْمَرْءِ فِي الْحَوَادِثِ مِيزَا
غَيْرَ أَنَّ الْأَسْبَابَ تَضْعُفُ حِينَا
وَارْتِبَاعُ الْقُلُوبِ إِنْ فَزَعَ الْجَبَدُ
نَ لِمَا بَعْدَهَا مِنَ الْأَقْدَارِ
فَيَعْدُونَهَا مِنَ الْأَخْطَارِ
شَرُّ نَرَاهُ حَقِيقَةَ الْإِنْكَسَارِ

لَا تَخَفْ إِنْ عَدَا الرَّجَاءُ بَعِيدَا
لَا تَخَفْ إِنْ حَوَادِثُ الدَّهْرِ مَرَّتْ
لَا تَخَفْ غَيْرَ جَهْلِكَ الدَّهْرَ إِذْ لَبِ
إِنَّمَا الدَّهْرُ خِيفَةٌ وَانْتِظَارُ
أَوْ رَأَيْتَ الرَّجَاءَ فِي إِذْبَارِ
هُنَّ بَجَرَيْنِ مِثْلَمَا أَنْتَ جَارِي
سَرَّ بِوَزْدٍ بَشْمٌ كُلُّ أَحْمَرَارِ
فَدَعَ الْخَوْفَ وَآخِيَ بِالْإِنْتِظَارِ

□ □ □

(١) همزت المصادر الخماسية في هذه القطعة ضرورة ، ومن الضرورات ما لا تحكم على الشعراء ، ولكن الشعراء يحكمون عليها ، ولذلك أجاز العلماء في بعضها الإضطراد ، والمقام لا يحتمل بسط هذا البحث (ر) .

(٢) (ما) هنا في (أينما) زائدة ، وقد ورد مثل هذا الاستعمال في الشعر القديم . قال بعضهم :
تَمْنَى أَنْ يَلَاقِيَنِي قَيْسٌ وددت ، وأين ما مني ودادي
و(قيس) تصغير (قيس) اسم رجل (ر) .

معنى في الحياة

[من الكامل]

لَمَّا نَبَيْتُ الْحَيَاةَ وَجَدْتُهَا أَنْسَ الْنَفُوسَ بِمَا تَمِيلُ إِلَيْهِ
دَرَجَ الْمَرِيضِ الْمَوْتُ فِي أَكْفَانِهِ وَمَضَى ، فَلِمَ حَزَنَ الطَّيِّبُ عَلَيْهِ



زهر الفول

[من الخفيف]

(١)

نَائِمَاتٍ بِرَوْضِهَا فِي سَرِيرِ
هَزَّهَا الْفَجْرُ ، فَاسْتَفَاقَتْ ، كَمَا نَطَّ
جَالَ فِيهَا النَّدَى كَمَا حَيَّرَ الدَّمُ
وَتَرَى إِثْرَهُ إِذَا سَاقَطَتْهُ
لَفْتَةً الْجِيدِ ثُمَّ بِنَفْجِرِ الشَّرِّ
وَبَضْبِعِ النَّدَى كَمَا ضَاعَ دَمْعُ

(٢)

زَهَرَ الْقَوْلِ أَنْتَ نَضْرَهُ عُمَرُ
تُشْبِهُ الْأَرْضَ جَنَّةً أَنْتَ فِيهَا
وَلَوْ أَنَّ النَّجْمَ ذَاتُ قُشُورٍ
يَحْمِلُ الصُّبْحُ مِنْ شَذَاكَ عَنَاباً
لَيْتَ هَذِي الرُّهُورُ كُنَّ يُعْرَنُ الدَّ
قَطَرَاتٍ كَأَنَّهَا حَطَبَاتٍ
مِنْ دُمُوعِ الْمُنَى تَلَأُلُ لِلْقَدِّ



(١) الرَّغَبُ: صغار الريش وليته (ر).

على القياس

[من البسيط]

يا ظبية الرّوض هل في الرّوض من زهرٍ للحبّ بنيت بين السّورد والبان
إنّ الدّموع التي تسقي صدودك لي هي التي أنبتت ياسي وأخزاني



قيمة الذمة وخيانة الوطن

[من السريع أ]

بَطْلُوبُ أَنْ يَغْنَى وَأَنْ يَغْنَمَا
بِذَمَّةٍ مَا بَلَغَتْ دِرْهَمًا
مَنْ يَرْغَبُ الْخَائِنُ أَنْ يُكْرِمَا
ظَالِمِهِ فَاغْتَدَّهُ أَظْلَمَا
فَطِيعِهِ بَغِيَةً أَنْ يُطْعَمَا^(١)
أَنْ يَطْبَخَ الشَّاةَ لَكِي تُهْضَمَا

بَا مَنْ يَخُونُ الْوَطَنَ الْمُتَنَدَّى
لَوْ وَازَنُوا الْأَرْضَ وَأَمْوَالَهَا
أَوَّلُ مَنْ يُزْرِى عَلَى خَائِنٍ
وإن تَرَ الْمَظْلُومَ يَرْجُو هَنَّا
كصاحبِ الشَّاءِ سَطَا الذُّبُّ فِي
فَجَاءَهُ يَنْصَحُهُ مُخْلِصًا



(١) الشاء جمع شاة ، والنطيع جماعة الشاء (ر).

إلى شبَّانِ العصر

[من الوافر]

غَنِيٌّ مِلءُ خَدَيْهِ الْمُدَامُ
وَمِلءُ بَدَنِهِ لِلْغِيَدِ السَّلَامُ
تَلَطَّفَ لَفْظُهُ فَهُوَ ابْتِسَامُ
وَدَلَّ عَلَى تَدَلُّلِهِ الْقَوَامُ

(٢)

تَمَدَّنَ «وَالْتَمَدَّنَ» مَا رَأَيْنَا
رِذَائِلَ تُشْتَرَى نَقْدًا وَدَيْنًا
وَأَخْلَاقٌ بِهَا ضَحِكَتْ عَلَيْنَا
لَدُنْ ذَكَرَتْ تَمَدُّنَنَا الْأَنَامُ

(٣)

رَأَى وَرَأَيْتُهُ غَانِيَةً فَهَامَا
وَكُلُّ مِنْهُمَا رَامَ مَرَامَا
كَسَتْهَا صُفْرَةُ الذَّهَبِ السَّقَامَا
وَذَلِكَ كُلُّ مَا فِيهِ سَقَامُ

(٤)

أَحْبَبُّهُ لَتَجْعَلَ لَهُ مُحَبًّا
وَتَغْضُ الشَّرَّ مِنْ بَعْضِ بُرْبَى
فَمَا زَالَتْ تُطَاوَعُهُ وَتَأْبَى
إِلَى أَنْ قَادَهُ هَذَا الزُّمَامُ

(٥)

تُرِيهِ الشَّهْدَ مِنْ حُصْبٍ وَوَضَلِ
وَمَا هَذَا الْغَوَانِي غَيْرُ نَحْلِ
تَرِيدُ زُهُورَهَا ذَهَبًا لَتُخْلِي
مَذَاقَ الْوَضَلِ إِنْ مَرَّ الْغَرَامُ

(٦)

وَيَخْسِبُ ثَغَرَهَا عَرْضَ الْأَمَانِي
عَلَيْهِ حُبُّهُ مَلِكُ الزَّمَانِ
بِتَاجٍ مِنْ ثَنَائِهَا الْحَسَنَانِ
فَيَجْمَعُ فِي الْجَنُونَِ وَيُسْتَهَامُ

(٧)

لَدَى مُلْكٍ بِصِيرٍ لَهُ إِمَامَا
وَمِنْ وَزَرَائِهِ فِيهِ النَّدَامَى
مَنْ أَسَدَاهُمْ أَلْتَعَمَ الْجِسَامَا
فَكُلُّ (زَجَاجَةٍ) مِنْهُ وَسَامُ

(٨)

وَمِنْ كَأْسٍ إِلَى كَأْسٍ تُدَارُ
عَلَيْهِ يَضْبِغُ فِدَانٌ وَدَارُ
وَمَا أَبْقَاهُ إِنْ أَبْقَى الْقِمَارُ
تَضْبِغُهُ النَّدَامَى وَالْمُدَامُ

(٩)

وَكَمَّ هَمٌّ عَلَيْهِ غَمًّا
فَلَمْ يَغْبَأْ بِهِ وَالْخُبُّ أَغْمَى
وَمِنْ حَظِّ الْبَهِيمَةِ أَنْ تُغَمَّا
لِتَحْسَبَ أَنْ رَجَعَتْهَا أَمَامُ^(١)

(١٠)

وَزَا حَمَّةٌ فَتَى أَغْنَى قَلِيلًا
فَمَالَتْ مَيْلَةً أَقْصَتْهُ مَيْلًا
ثُمِثْتُ الْحَيِّ كَيْ تُخَيِّي الْقَتِيلًا
فَبُثْتُ ذِي الْحَيَاةِ وَذَا الْحِمَامِ

(١١)

تُدَافِعُهُ وَقَدْ مَلَكَتْ قِيَادَهُ
كِعَادَتِهَا وَبُثْتُ بِكَ عَادَهُ
«فَقَرُّشٌ» وَاحِدٌ فِيهَا زِيَادَهُ
تَقْوَمُ عَلَيْهِ حَرْبٌ أَوْ سَلَامُ

(١٢)

فَفَارَ وَعَذَرَهُ الْحُبُّ الْقَدِيمُ
وَبَاحَ لَهَا بِشَكْوَاهُ السَّقِيمُ
لِيُعْطِفَهَا وَعَاطَفَهَا كَرِيمُ
وَنَاحَ كَأَنَّمَا سَجَعَ الْحِمَامُ

(١) الهمُّ: الحزن للماضي والغم: الحزن للآتي. وغم البهيمة: وضع لها الغمامة بالكسر، وهي الخريطة التي تربط بها عيناها، والعامة نسميها «الغَمَى» بالضم (ر).

(١٣)

أَمَاناً مِنْ جَفَوْنِكَ لِي أَمَاناً
فَقَدْ صَيَّرَنَ لِحِظِكَ لِي سِنَاناً
بَلَى صَوَّرَنَ لِي أَنَّ الزَّمَانَا
بِمَا فِيهِ عَلَى كَيْدِي سَهَامُ

(١٤)

لَهْجَرِكَ لَوُوعَةً لَيْسَتْ تَهْوُونُ
فَمَا نَارُ الْجَحِيمِ وَلَا تَكُونُ
كَهْجَرِكَ إِذْ تَنَمُّ بِهِ الْعَيُونُ
فِيضْرَفُهَا وَيَعْطِفُهَا الْمَلَامُ

(١٥)

تَغِيَّبُ الشَّمْسُ فِي ظُلُمَاتِ رُوحِي
عَلَى شَفَقٍ مِنَ الْجَفْنِ الْقَرِيحِ
وَفِي أَفْقٍ مِنَ الْقَلْبِ الْجَرِيحِ
لِيُطْلَعَ فَجَرُهَا مِنْكَ ابْتِسَامُ

(١٦)

فَأَوْحَى لِحِظِهَا وَحِيّاً خَفِيّاً
إِلَيْهِ وَنِكَ هَاتِ ثَمَّ هَيَّأَا
فِيْن يَدَيْكَ إِنْ تَمَلَّأَ يَدَيَا
وَلِلَّيَاقِ يَنْفَرُجُ الزَّرْحَامُ

(١٧)

وَأَمْسٍ مَضَى وَمَاتَ الْهَجْرُ فِيهِ
وَهَذَا الْيَوْمُ حَظٌّ نَصْطَفِيهِ
وَيَسْوَمَ غَدٍ غَرَامٌ نَجْتَلِيهِ
وَبَعْدَ غَدٍ عَلَى الدُّنْيَا السَّلَامُ

(١٨)

فَمَا اضْطَلَحَا وَدَارَ الْبَدْرُ شَهْرًا
لَهُ حَتَّى اسْتَحَالَ الْحِظُّ فَقَرًا
فَكَيْفَ رَمَى الْحِسَابَ رَأَى صِفْرًا
وَكَيْفَ أَعَادَهُ فَهُوَ أَلْتَمَامُ

(١٩)

وَقَدْ قَطَعَتْ بِهِ سَفَرُ الشَّبَابِ
سَفِينُ الْكَأْسِ فِي بَحْرِ الشَّرَابِ
وَأَلْقَتْهُ عَلَى بَرِّ الْخَرَابِ
كَمَا طَرَحَتْ إِلَى الْقَبْرِ الْعِظَامُ

(٢٠)

رَأَى فَتَى فَقَالَ: عِلَامٌ هُنَا
وَكَيْفَ عَذَا الزَّمَانُ وَكَيْفَ أَنْتَا
فَهَذِي (الْبِنْتُ) قَدْ جَعَلْتُكَ بِشَا
فَأَشْبَهَهَا سِلَامُكَ وَالْكَلامُ

(٢١)

وَقَدْ أَضْيَخْتَ مِنْ هَذَا الْبَلَاءِ
كَأَنَّكَ بَعْضُ أَطْيَارِ الْهَوَاءِ
تَعِيشُ مِنَ الْفَضَاءِ وَفِي الْفَضَاءِ
وَتُرَوُّهَا مِنَ الدُّنْيَا الطَّعَامُ

(٢٢)

كَرُمْتَ عَلَى أَلْتِي سَلَبْتَكَ جَدًّا
وَكُنْتَ تَنْظُنُّ بُخْلًا أَنْ تُعَدًّا
إِذَا أَعْطَيْتَ خِيْفَةً أَنْ تُصَدًّا
وَأَنْ يَهْرَا بِكَ الصَّخْبُ الْكَرَامُ

(٢٣)

وَتَكْبِيرُ أَنْ تُعَدَّ بِدَاكِ الْفَا
فَقَدْ أَصْبَحْتَ بَيْنَ النَّاسِ خُلْفَا
تُعَدُّ أَصَابِعًا وَتَعَضُّ كَفًّا
كَذَلِكَ مَا تَسُومُ وَمَا تُسَامُ

(٢٤)

فَقَالَ: إِلَيْكَ هَلْ أَبْصَرْتَ فِيمَا
تَحْلِي ذَلِكَ الْحَجَرَ الْكَرِيمَا
وَذَاكَ الْوَدَّ وَالْعِقْدَ الْنَظِيمَا
وَرَأَيْتُكَ الْخَوَاتِمَ وَالْحِزَامُ

(٢٥)

سِيرْجِعْ كُلُّ هَذَا بَعْضَ مَالِي
رَمَتْ بُمْنَايَ مَا لَقِفْتُ شِمَالِي
فَلَا تُفَرِّزْكَ خَالِي إِنْ خَالِي
كَمَا يَفَرُّ بِخَدِّيهِ الْحَسَامُ

(٢٦)

مَضَى زَمَنِي وَخَانَ لَهَا أَوَانُ
وَأَنَا إِذْ مَضَى ذَاكَ الزَّمَانُ
لَحَى سَوَاءٌ وَأَدُمُ وَالْجَنَانُ
سَبَقْتُ سَائِلِي جَمِيعًا الْإِنْتِقَامُ

(٢٧)

فِيَا لَكَ فَاِسْقَا لَوْ أَنَّ نَجْمًا
رَأَى الشَّيْطَانَ ثُمَّ رَأَى نَمْلًا^(١)
لَعَادَرَ ذَاكَ وَاشْتَلَقَاكَ رَجْمًا
لِيُخْفِيَ سَوْءَ نِيَّتِكَ الظُّلَامُ

(٢٨)

لَنْ سَلْبَتْكَ يَا صَفَرُ الْحَمَامِ
فَمَا أُعْطِيَتْهَا إِلَّا الشَّهَامِ
وَمَا قُدِّرَ الْحِظُّ بِهَا كِرَامِ
لِحَظِّ الْوَحْلِ قَدْ سَقَطَ الْغَمَامُ

(١) ثم بالفتح أي هناك (ر).

(٢٩)

غَنِيٌّ ثُمَّ مَعْشُوقٌ فَصَابُ
فَسَكِيرٌ يُقَامِرُ ثُمَّ خَبٌ^(١)
فَلِصٌّ ذَلِكَ الرَّجُلُ الْمُحِبُّ
وَحَتَّى فِي رِذَائِلِهِمْ نِظَامٌ

(٣٠)

مِلْدَاتُ الشَّيْبَةِ بِالسَّابِ
وَلَيْسَ نَدَى الْأَزَاهِرِ كَالضَّبَابِ
فِيَا مُبَّانُ رَفَقَاً بِالشَّبَابِ
مَتَى ضَعُفَ الْأَسَاسُ فَالْإِهْدَامُ

(٣١)

حَرَامٌ أَنْ تُضَيِّعُوا مَجْدَ مَضَرٍ
عَلَى حَانَ وَغَانِيَةٍ وَقَضَرٍ
وَمَنْ يَجْمَعُ رِذَائِلَ كُلِّ عَضَرٍ
بِلَفْظٍ وَاحِدٍ فَهُوَ (الْحَرَامُ)



(١) الخب: الخداع الخبيث بالكسر وبالفتح (ر).

مواصلة الذكرى

[من الطويل]

دَكَرْتُكَ فِي لَيْلٍ كَهَمِّي تَنَقَّسْتُ
ذَكَرْتُكَ، وَالنَّجْمُ اصْطَبَارِي عَلَى النَّوَى
ذَكَرْتُكَ، وَالصُّبْحُ ابْتِسَامِي عَلَى الْأَسَى
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَنِّي لَمْ أَزَلْ أَرَى
لَهُ كَيْدٌ مِمَّا عَلِمْتُ صَدِيقُ
بُرُوحٍ عَنِّي سَاعَةً وَيَضِيعُ
وَقَدْ مَارَجَنَّهُ مِنْ نَدَاهُ دُمُوعُ
عَلَيَّ لِأَخْلَاقِ الْغَرَامِ خُشُوعُ



في الشكوى

[من مجزوء المديد]

ضُمَّتْ بَيْنَ الْبَأْسِ وَالْأَمَلِ	لَا إِلَى صَبْرٍ وَلَا مَلَلٍ
أَسْرَعَ الْمَاضِي غَدَاةَ جَرَى	وَمَشَى الْآتِي عَلَى مَهَلٍ
وَبَقَيْنَا نَحْنُ بَيْنَهُمَا	فِي الْأَبَاطِيلِ وَفِي الْعَلَلِ
أَعْرَكَ الدَّهْرَ الشَّدِيدَ وَمَا	يَلُغُ الْظُّفْرُ مِنَ الْجَبَلِ
بَقِيََتْ فِي الدَّهْرِ بِسَاقِبَةٍ	وَانْتَهَتْ مِنْ قَبْلِهَا حَيْلِي



الدمع

[من البسيط]

إنَّ كَانَ فِي الْأَرْضِ نَهْرٌ بَاتَ مُنْفَرِداً وَمَا لَهُ شَاطِئُهُ بِالْأَرْضِ يَتَّصِلُ
وَلَيْسَ يُبَيِّتُ لَا عُشْباً وَلَا زَهْراً فَذَلِكَ النَّهْرُ دَمْعِي لَيْلَةً ارْتَحَلُوا



الغزل البدوي

[من مجزوء الكامل]

يا ظِلَّ بَانَةِ ذِي سَلَمٍ	هل مِلْتَ نَاحِيَةَ أَلْعَلَمِ
رَحَلُوا فَكَمْ تَهْتَرُ مُشَا	تَاقَا إِلَى ظِلِّ الْخَيْمِ
وَلَهُمْ بِأَرْضِكَ وَحْشَةٌ	جَعَلْتُكَ أَشْبَهَ بِالظَّلَمِ
أَظْبَا الْخَيْمَامِ دَمِي فَلَبِ	مَنْ سَوَى دَمِي يُحْيِيَنَّ دَمِ
هِيَ أَخْرَقَتْهُ بِالشُّهَا	دِ وَبِالْبِعَادِ وَبِالسَّقَمِ
فَإِذَا قَضَيْتُ فِإِنِّي	فِي غَيْرِ قَبْرِي لَمْ أَنْمِ



ألا موعدا؟

[من المتقارب]

ألا مَوْعِدٌ تَتَلَهَّى بِهِ
إِذَا أَدْبَرَ الْيَوْمُ قَالُوا غَدًا
نُعَلِّقُهَا خَشْبَةً أَنْ تَفِيضَ
فِي رَوْضَةِ الْحُثْنِ رِقَافَةً
إِذَا انْفَسَحَ الْبُعْدُ مَا بَيْنَنَا
وَمَا بَسْطَةُ الْأَرْضِ بَيْنَ الْقُلُوبِ
لَنَحْيَا عَلَى أَمَلٍ الْمَوْعِدِ
فَنُمْسِكُ أَنْفُسَنَا لِلْغَدِ
وَلَمْ تَتَنَقَّسْ عَلَى الْأَكْبَدِ
وَيَا ظِلَّ فَجْرِ الْحَيَاةِ الثَّيْدِي^(١)
وَعَهْدُكَ بَاقٍ فَلِمَ تَبْعَدِي
إِلَّا كَفَّوْتَ يَدَ مَنْ يَدِ^(٢)



(١) الرفافة : المتنديّة (ر).

(٢) فوت اليد من اليد : بعد ما بينهما (ر).

إلى القمر

[من المنسرح]

مَنْ قَمَرٍ أَشْتَكِي إِلَى قَمَرٍ أَنِّي عَلَى النُّورِ لَمْ تُضْأَ ظِلْمِي
أَوْ مِنَ الْبَيْنِ أَوْ مِنْ كَمَدِي أَوْ مِنَ الْحُبِّ أَوْ مِنْ سَقَمِي
يَا بَدْرُ هَذَا هَوَى أَلْتِي تَرَكْتَ أَهْلُ الْهَوَى بِالْجُودِ فِي عَدَمِ



نظرة في الطبيعة

قال يصف موقعاً بديعاً في جبل قامت في سفحه
مدينة (طرابلس الشام) موطن أسرته ، وقد زارها
في الصيف الماضي . وتظهر البلد للمشرف من
هذا الموقع وقد انسحبت وراءها البساتين ،
وجرى من خلفها البحر يرتجف ، وليس بينها
وبين السماء في نظر العين إلا أن تتخطاه :

[من البسيط]

(١)

يا صخرة حملتنا في ذرى جبل
إن شبهوا بك قلباً قاسياً فأنا
كم في ليالك أنفاس يكاد بها
أنست من مسها في مهبتي سحراً
كأن أضواءها في القلب من طرب
تواقفت ، ومضت تهوي على عجلي

(٢)

أغليتنا الجو نستجلي محاسنه
نلوح في عين «راء» نحولك اطلعت
نرى (طرابلس) تبدو كالحمامة في
والبحر يخكي ذراعاً للسماء به
كأننا لسماء الله نرذلف
«كهمزة» رفعتها فوقها «الف»
وكرر لها أظهرته روضة أنف^(١)
تزخرح الأرض عنها فهو يرتجف

(١) صف الطائر : بسط جناحيه في الهواء (ر).

(٢) الروضة الأنف : الروضة التي لم ترع.

مناظرٌ ما اختلفنا في محاسنها
 فيا (طرابلس) حَيْثُكَ الْمُنَى بِلْدَا
 والحُسنُ أنواعُهُ فيهنَّ تَخْتَلِفُ
 بي مِنْ هَوَى الْحُسْنِ فِيهِ فَوْقَ مَا أَصِفُ
 أَجْرٌ بَيْنَ ضُلُوعِي كُلَّمَا خَطَرْتُ
 ذَكَرَاكَ أَنَّ إِلَيْكَ الْقَلْبَ يَنْحَرِفُ



الفراغ مفسدة

[من الوافر]

(١)

مكانك إنما الدنيا زحامٌ وليس لدى الطبيعة من فراغ
فلئن ضاقت مذهبها أماتت ولو أن الورى فيهم فراغٌ
وغاية كل من فيه الأمام وإلا ما استقام لها نظامٌ
لذاك الحي لبس له دوامٌ لثم بعودة المونى الزحام

(٢)

تأمل هذه الدنيا تجدها فليس يرى لظاهرها نظامٌ
فلا تجعل فراغك غير نفع فضعه كما تشاء وضعه أنى
فعامك في البطالة كالثواني ولا تخش أمتاعب واحتملها
إذا لان الحسام لعللة لا من الساعات ألتها الأنام
إذا ما كان داخلها اصطدام فذاك الصدع للعمير انسلام^(١)
أردت بشرط أنك لا تلام وإن دقيقة نفعتك عام
فليس بهمة يعيا ألهمام يلين لعللة الرأس ألحسام

(٣)

عجبت لمن يرى الدنيا ويحيا تمُر به الحوادث صادعات
وفي بحر الحياة تراء صخرأ ويزعم أنه «يفنى الليالي»
بلا عمل ولا أمل يرام وليس له بما يجري اهتمام
على جنبه للموج ألتظام وليس بنقصهن له تمام

(١) يريد بالصدع الفراغ نفسه (ر).

يَمُرُّ عَلَيْهِ أَنْ يَسْعَى لَعَرٍّ فَكَيْفَ تَرَاهُ بَشَامٌ مَا يُسَامُ
وإن يجد الفراغ شبه موتٍ فذلك كلما فرغ الطعام^(١)

(٤)

فبأهل الفراغ أرى حياةً يشابهها بمعناه الحمام
فأنتم في قصوركم «لحوم» وأنتم في قبوركم «عظام»



(١) يريد موضع الطعام أي المعدة مجازاً (ر).

يا حمى ليلي

[من الرمل]

يا حمى ليلي يا ليل الحمى هل لشمس غربت من مطلع
(١)

بعثت أنوارها غرورها
في حياة ذبلت زهرتها
ثم لما سطعت نضرتها
ألفت البأس عليها ظلما وأشد البأس ما لم يطمع

(٢)

ويح هذا البغد لا خيل لدي
يخيل الأشواق عني أو إلي
هل ترى لم يبق فوق الأرض حي
أم ترى لم يبق غيري مغرما أم أنا بغد هواها لا أعني

(٣)

تضحك الشمس وتزهى الأنجم
وأرى الكون جمينعا يسيم
غير قلبي فهو ليل مظلم
نام فيه الحب بلقى الحلما فرأى في الغيب ما لم يقع

(٤)

كدت أنسى مع أمس في الزمن
فاسألوا هجرانها رفقا بمن
ملأت مهجته كأس الحزن
وعليها وضع الحب ألفما وانثنى بمزجها بالأدمع



النصيحة المردودة

[من البسيط]

أَصْفِيكَ نُصْحِي وَلَا أَنْفَكُ مَتَّهَمًا بَأْنِي لِهَوَى الْإِخْوَانِ خَوَّانُ
ظَلَمْتَ خَلْقَ مَا مَحْضُ النَّصِيحَةِ لِلْ
ظُلْمِ الْقَبِيحَةِ لِلْمِرَاةِ إِذْ فَرَعْتَ مُسْبِيءِ سَيِّئَةٍ تُخْشَى وَكُفْرَانُ
تَظُنُّ قَدْ سَكَنَ الْمِرَاةَ شَيْطَانُ



الغيرة الباردة

[من الطويل]

ولي حاسدٌ ما زالَ يَسْحَطُ كُلُّمَا رَأَيْتِي لَا أَزْجُو الرِّضَا مِنْهُ كَيْ بَرَّضِي
وَأَوْهَمَهُ الحُمُقُ الَّذِي فِيهِ أَنَّهُ طَيِّبُ الْهَدْيِ يَسْمَى لِأَخْلَاقِي الْمَرْضِي
إِذَا اجْتَنَبَ الطَّاعُونَ نُورِي فَهَلْ تُرَى أَخَافُ عَلَى الثَّوْرِ الَّذِي حَمَلَ الْأَرْضَا^(١)



(١) من خرافات الأقدمين أَنَّ الْأَرْضَ مَحْمُولَةٌ عَلَى ظَهْرِ ثَوْرٍ ، وَقَدْ أَثَبَتَ الْعِلْمُ بَطْلَانَ ذَلِكَ ، فَمِنْ تَفْصِيلٍ لَيْسَ هَذَا مَحَلُّهُ ، فَالْمُرَادُ بِالْأَيَّاتِ أَنَّ الْعَيْبَ إِذَا لَمْ يَكُنْ حَقِيقَةً فَيَمُنُ يُزَمُّ بِهِ ، فَلَيْسَ يَضُرُّهُ أَنْ يَكُونَ خَيَالًا فِي وَهْمٍ مَنْ يَعْبِيهِ (ر) .

الحسن والإعجاب

[من الكامل]

أَنَعَمْتُ فِي سِرِّ الْجَمَالِ خَوَاطِرِي إِنَّ الْخَوَاطِرَ أَعْيُنُ الْأَبَابِ
وَاهَا لِحُبِّ لَيْسَ يَعْرِفُهُ الْفَتَى إِلَّا بِلَهْفَتِهِ عَلَى الْأَحْبَابِ
مِثْلَ الشَّبَابِ فَلَيْسَ يَوْمَ بَعْدَهُ إِلَّا يُذَكِّرُنِي بِعَهْدِ شَبَابِي
كَثُرَتْ وَسَائِلُ ذَا الْغَرَامِ وَكُلُّهَا فِي لَفْظَتَيْنِ (الْحُسْنِ) وَ(الْإِعْجَابِ)



هيا إلى غيظك

نشيد الفلاح المصرية^(١)

[من الرجز]

(١)

الفجرُ قد عَبَّرَ ثم لاحا
والدُّيُّكُ قد أَذَّنَ ثم صاحا
وأطلقتُ حمامتي الجَنَاحا
والكلبُ بالبابِ غدا نَبَّاحا

واشتاقتُ ألبهائمُ ألسَراحا هيا إلى غيظك سُقَّها: حاحا

(١) النشيد في اللغة الشعرُ المتناشد. ولقد جهدنا أن لا يكون في هذه المقاطيع إلا المعاني المبذولة والألفاظ المأنوسة عند من يُقصِّدون بمثل هذا النشيد توفيةً لفائدته (ر).

قلت: أعاد الأستاذ محمد سعيد العريان رحمه الله نشر هذه القصيدة في «الرسالة» السنة الخامسة العدد (٢١٩) ١٣/٩/١٩٣٧م أي بعد وفاة الرافعي رحمه الله وقَدَّم لها بقوله:

لم يوفق شاعرٌ من شعراء العربية توفيق الرافعي في تأليف الأناشيد، ولم يكتب لنشيد وطني من الذبوع والشهرة والانسجام مع الألحان ماكتب لأناشيد الرافعي، فكان بذلك خليفاً أن نسبِّه شاعر الأناشيد، وهذا نشيد الكشافة «اسلمي يا مصر» ونشيد شباب الوفد «حماة الحمى» ونشيد الشبان المسلمين «إياك ندعو ربنا»، ونشيد «بنت النيل»، ونشيد تلاميذ المدارس الثانوية «مجداً مجداً مدرستي» وكلُّها من تأليف الرافعي، وهي دائرة على كل لسان في كل حفل وناد.

وعرف الرافعي لنفسه هذه الميزة التي فاق بها شعراء العربية عامة في بابٍ هو من الشعر في هذا العصر ضلَّبه وقوامه، فأجمع أمره على إخراج ديوان «أغاني الشعب» يضع فيه لكل جماعة أو طائفة من طوائف الشعب نشيداً أو أغنية عربية تنطق بخواطرها، وتعبّر عن أمانيتها. وقد جرى الرافعي في هذا الميزان شوطاً بعيداً، وأنجز طائفة كبيرة من أغاني الشعب نشر بعضها، وما يزال سائرُها في طي الكتمان، بين أوراقه الخاصة، ومؤلفاته التي لم تنشر بعد، ولا أدري متى يُقدَّر لها أن تنشر...

والذي أنشره اليوم نشيد من هذه الأناشيد، وضعه الرافعي على لسان الفلاح المصرية، وسبجد القراء في أسلوبه ومعانيه شيئاً مأنوساً يحبه إلى الشعب، ويخفف وقعه على فؤاده ولسانه.

(٢)

أَرْوَحُ وَالْجَارَةُ تَمْلَأُ الْبَجْرَةَ
تَمْرٌ بِالْغَيْطِ الْقَرِيبِ مَرَّةً
نَبْرَى الْهَنَاءِ وَالْفَرْحِ وَالْمَسَرَّةِ
يَا رَبِّ لَا تُنْزِلْ بِنَا مَضَرَّةً
وَاَكْتُبْ لِدَارِي الْعِزَّ وَالْأَفْرَاحَا هَيَّا إِلَى غَيْطِكَ سُقْهَا: حَا حَا

(٣)

أَلْبَنَتْ يَا مَوْلَى الدُّعَا الْمُجَابِ
إِحْفَظْ عَلَيْهَا صِحَّةَ الشَّبَابِ
وافتَحْ عَلَى أَوْلَادِي الْأَحْبَابِ
مَنْ رَاحَ لِلْغَيْطِ وَلِلْكُتَابِ
ذَا يَمْرَأُ الْغَيْطِ وَذَا الْأَلْوَا حَا هَيَّا إِلَى غَيْطِكَ؛ سُقْهَا: حَا حَا

(٤)

يَا تَخْلَعُ الْغَيْطِ احْذَرِ الْفَرَابَا
يَا نَعَجَةَ الْغَيْطِ احْذَرِ الدُّنَابَا
يَا صَاحِبَ الْغَيْطِ احْذَرِ الْعَذَابَا
مِنْ الرِّبَا وَالْفَقْرِ وَالْخَرَابَا
إِنَّ الرِّبَا لَيْسَ لَنَا مُبَاحَا هَيَّا إِلَى غَيْطِكَ؛ سُقْهَا: حَا حَا

(٥)

إِيَّاكَ أَنْ تَذْكُرَ لِي الْخَوَاجَا^(١)
فَقَدْ رَأَيْتُ جَارِنَا الْمُحْتَاجَا
رَاحَ إِلَيْهِ مَا لَهُ وَمَاجَا^(٢)

(١) الخواجا في عُرف الفلاحين هو الذي يُقْرَضُهم بالربا ، واللفظة عندهم لقبٌ مالي (ر) .

(٢) أي (وما جاء) حذفت الهمزة ضرورة (ر) .

وَبَاعَ حَتَّى الْبَيْطِ وَالِدَجَا جَا
لَا خَيْرَ فِيمَنْ جَانِبَ الصَّلَاحَا هَيَّا إِلَى غَيْطِكَ؛ سُفْهَا: حَا حَا

(٦)

إِيَّاكَ وَالرَّهْمَنَ عَلَى الْغَيْطَانِ
فَتَنْزِلَ السُّدُودَ عَلَى الْأَقْطَانِ
وَتَفْتَحَ الْأَبْوَابَ لِلشَّيْطَانِ
وَتَجْعَلَ الْهَذْمَ عَلَى حَيْطَانِي
(الشَّمْسُ) (١) جَاءَتْ وَالصَّبَاحُ رَا حَا هَيَّا إِلَى غَيْطِكَ؛ سُفْهَا: حَا حَا

(٧)

أَنَا ابْنَةُ الْفَلَاحِ أُمُّ النَّضْرِ
فَلَاخَةُ يَا بِنْتَ هَذَا الْعَضْرِ
لَكِنَّ كُؤُوسِي مِنْ أَسَاسِ مَضْرِ
يُسْنِدُ فِيهَا رُكْنٌ كُلُّ قَضْرِ
هَلُمَّ غَنِّي مَعَنَا الْفَلَاحَا هَيَّا إِلَى غَيْطِكَ؛ سُفْهَا: حَا حَا



(١) كَذَا يَلْفَظُهَا الْفَلَاحُونَ (ر).

بعض تباريح

[من الطويل]

(١)

حمامة هذا الفجر ونحك زفر في
لعل الصبا تندي على القلب ندوة
فلي في الصبا شكوى ولي في الصبا هو
نحرك نفسي كلما هففت وما
فيا من نفس كل شيء يهيجها
تلاقى إليها الحب من كل مذهب
فأنت انتت تلق الهوى أو شعاعه

لتلقتني حب الجوم وطيري
تفسر وجدي أو تبل زفيري
وبعض تباريح ، وبعض أمور
نظن بأنفس وشغلة نور
إلى أثر من لوعة وسرور
كما استهدفت فيه لكل مصير
لحاظاً والفاظاً ونور غور

(٢)

كثير على نفسي همومي وحسبها
سهاد وعذال ووجد ولوعة
شجبتا وبائوا قد خلت مهجاتهم
تخالجني بالرغم بأس مبرح
وما أنا مزدود إلى الرأي بعد ما
وما في اكتساب العشق ذل وإنما

على عنت الأيام حمل ضميري
وشر العنا تحمّل غير صبور
على أفق بادي الصفاء منير
سواء عسيري بعده ويسيري
تحكم طبعي ، واستمر مريري^(١)
لمعنى يرى في اللحظ بعض فتور



(١) يقول الإنسان : (استمر مريري) إذا استحكم أمره عليه وألفه (ر).

الحظ العالي

[من الكامل]

إنَّ الحياةَ لَمَنْ تَأْمَلَ حَاضِرُ
بَيْنَا تَرَى الْأَطْفَالَ فِي طُرُقِ الشُّبُو
وَالنَّاسُ فِي هَذِي الْحَيَاةِ جَمِيعُهُمْ
كَالنَّائِمِينَ تَنَوَّعَتْ أَحْلَامُهُمْ
كُلُّ لَهْ نَظَرٍ ، فَكُلُّ نَاطِرٍ
وَإِذَا الْظُّوَاهِرُ فِي الْأُمُورِ تَمَائِلَتْ
مَا يَنْظُرُ الْجَبَنَاءُ كَالْأَبْطَالِ لَ
فَسُرُورُ هَذَا الْجِسْمِ حَظٌّ سَافِلٌ
فِي حَالَةٍ وَمُؤَمَّلٌ فِي حَالٍ
خَ إِذَا الشُّبُوحُ تَعَوَّدُ كَالْأَطْفَالِ
يَسْعَى لَهَا وَجَمِيعُهُمْ لَزَوَالِ
مَشَى وَمَا وَصِفَتْ بِغَيْرِ خَيَالِ
مِنْ بَهْجَةِ الدُّنْيَا لِنَوْعِ جَمَالِ
خَرَجَتْ بِوَاطِنُهَا عَنِ الْأَمْثَالِ
كِنْ أَعْيُنُ الْجَبَنَاءِ كَالْأَبْطَالِ
وَسُرُورُ هَذِي النَّفْسِ حَظٌّ عَالِي



شمس الضحى

وقال يصفُ منظرًا في البحر تنعكسُ فيه أشعةُ
الضُحى عن الماء ، ثم يقطعُها الموجُ بحركاته ،
فتنفِزُ أنسنةً صغيرةً ، ترهزُ كالسنةِ الشموعُ :
[من البسيط]

أَلَقْتُ أَشْعَتَهَا شَمْسُ النَّهَارِ ضُحَى فِي رُزْقَةِ الْمَاءِ فَادُّكُرُ مَنْظَرَ الْعَجَبِ
كَأَنَّهَا مِنْ بَقَايَا الْبَرْقِ فِي أَفْقٍ أَوْ أَلْسُنُ سَطَعَتْ فِي الْمَاءِ مِنْ لَهَبٍ
وَالْبَحْرُ مِثْلُ بَسَاطٍ فِي الْجَنَانِ غَدَاً فِيهِ الْغُبَارُ قُرَاضَاتٍ مِنَ الذَّهَبِ^(١)



(١) القراضات: جمع (قراضة) وهي ما سقط بالقرض (أي القطع) والمرادُ بها انقطاع الصغيرة من الذهب (ر).

صباح اليأس المهجور

[من الطويل]

حَنَاناً بِمَنْ لَا يَنْشُرُ الْبَذْرُ ضَوْءَهُ عَلَيْهِ ، وَلَا بَأْنِي حِمَاهُ نَسِيبُ
يُكَادُ لَيْلاً فِي هَوَالِكِ كَأَنَّمَا تَقَسَّمَ فِيهِ الصُّبْحُ فَهُوَ نُجُومُ



فلسفة العذاب

[من الوافر]

(١)

أَمَّا مِنْ حَيْلَةٍ وَالْعَذْلُ بَيِّنِي وَيَيْنَ الشَّمْسِ مُشْتَبِكُ الضَّبَابِ
وَأَبْوَابُ الْهَوَىٰ مُشَى وَلَكِنْ عَذُولِي حَائِطٌ فِي كُلِّ بَابِ
وَلَوْلَا هَذِهِ الْأَحْجَارُ كَانَتْ بِذُورِ الْوَضِلِ تَنْبُتُ فِي الْعَنَابِ^(١)

(٢)

تَرَىٰ خَطَأَ النَّوَىٰ فَيَنَافَتِبِكِي وَلَكِنْ خَوْفَ تَنْبِيهِ الضَّوَابِ
وَنَنْظُرُ جَانِبِي نَظَرَاتِ حَسْرِي وَلَكِنْ مِنْ مُحَاذِرَةِ التَّنْصَابِ
فَقَدْ وَصَلْتُ بِذَا وَجَفْتُ بِهَذَا أَلَا فَاعْجَبْ لِفَلْسَفَةِ الْعَذَابِ^(٢)



(١) الأحجار هنا كناية عن العذابي ، والبدور لا تنبت إذا أُلقيت على الحجر (ر).
(٢) يريد أن ما حكاه عنها قبل الاستدراك وهو بكاءها وقد رأَتْ خطأ النوى ونظرات التحسر إلى ناحيته ، كل ذلك مما يفيد الرضا ، الذي يكون عنه وصلها . ثم كانت النبات المستدرك بها مما يدل على الجفاء ، فقد وصلت وجفنت بذلك جميعه (ر).

سَمَاءُ الْهَوَى

[من الطويل]

رَعَى اللهُ لَيْلًا زَيْتَهُ بِقُرْبِهَا فَكَانَ لَهُ مِنْ نُورِ مَبْسَمِهَا سَمَاءُ
صَفَتْ ثُمَّ قُمْنَا لِلنُّوَى فَتَتَابَعْتُ بِهَا قُبْلُ التَّوْدِيعِ يَطْلُغْنَ أَنْجُمًا^(١)



(١) صفت: أي السماء التي ذكرها (ر).

السريرة وفلسفتها

[من العلويل]

إِلَى مَوْطِنِ النِّيَّاتِ غَمٌّ عَلَى الْوَرَى
فَلِلْقَلْبِ سِرٌّ جَانِبُ الرُّوحِ عِنْدَهُ
وَفِي ذَلِكَ السِّرِّ اسْتَكْنَتْ سَرِيرَةُ
هِيَ الْحَدُّ بَيْنَ الْأَفْقِ وَالْأَفْقِ عَالِيَا
فَمَا دُونَهَا مِنْ ظَاهِرِ الْكَوْنِ طَوْعُهُ
وَلَوْ سَلِمَ الْإِنْسَانُ مِنْ ضَعْفِ قَلْبِهِ
وَأَشْبَعُ مَا فِي قَلْبِهِ شَهَوَاتُهُ
هُمَا فِيهِ مِرَاتَانِ تِلْكَ تُرْضَى بِهَا
طَرِيقُ هَوَى الْإِنْسَانِ وَالْبَحْثُ طَالِيَهُ^(١)
وَلِلرُّوحِ سِرٌّ أَوَّلُ الْغَيْبِ جَانِبُهُ
إِلَيْهَا انْتَهَتْ مِنْ كُلِّ فِكْرٍ مَذَاهِبُهُ
وَأَسْفَلَ وَالْإِنْسَانُ جَمٌّ عَجَائِبُهُ^(٢)
وَمَا فَوْقَهَا مِنْ بَاطِنِ الْغَيْبِ غَالِبُهُ
لَأَفْسَدَتِ الدُّنْيَا عَلَيْهِ مَآرِبُهُ
وَأَضَعَفَتْ مَا فِيهِ جَمِيعاً مَوَاهِبُهُ^(٣)
أَوَائِلُ مَا يَهْوَى وَتِلْكَ عَوَاقِبُهُ



-
- (١) موطن النيات: كناية عن السريرة (ر).
(٢) الأفق العالي والأفق الأسفل: من اصطلاحات المتصوفة ، ويريدون بهما العالم العلوي والعالم السفلي (ر).
(٣) المراد (بالمواهب) الصفات النفسية المستتازة كالجلم ونحوه ، وهي ليست من الفطرة الحيوانية ، ولذلك كانت أضعف مما هو من هذه الفطرة في الإنسان إلا في الندرة ، ولا حكم لها (ر).

عجبا يا هند

[من مجزوء المديد]

لَمْ تُعَلِّلْنِي وَلَا وَعَدْتِ
بِخَلَّتِ حَتَّى بِكَذِبِنَهَا
عَجَباً يَا (هِنْدُ) مَا سَهَلْتِ
وَالْهَوَى فِيهِ تَعَالِيلُ
رُبَّ كَذِبٍ فِيهِ تَأْوِيلُ
فِي الْهَوَى حَتَّى الْأَبَاطِيلُ؟



ليلة الساهر على الطفل المريض

[من السريع]

(١)

يا ليلة عطل فيها المَذارُ ظلامها فحْمٌ ، وفي القلبِ نارُ
ومُهْبَهُها طائِرةٌ كالشَّرازِ
ويَخِي متى يُطفئُكَ نهرُ النَّهارِ!

(٢)

قد رَفَرَفَ النَّوْمُ فيا نَوْمُ طِرْ تَرْقُبُكَ الْأَجْفَانُ أَنَّى تَسِرُ
وَأَنْزِلْ عَلَيَّ رَوْضَ الشَّبَابِ النَّضِرُ
هناكَ أَخْلَامُ الْهَنَاءِ وَالْيَسَّارِ

(٣)

بِجَانِبِي النَّجْمُ مِنْ سَنَاءِ نُضِيٍّ فِي ظُلْمَةِ قَلْبِي مُنَاءِ
نَضْوُ سِقَامٍ كَلَّمَا قَالَ آهْ
أَحْسَنْتُ فِي قَلْبِي دَوِيَّ انْفِجَارِ

(٤)

يا نَوْمُ كَمْ يُرْجَى خَبَالُ الْحَيْبِ وَذَا حَبِيبي كَخَبَالِ عَجِيبِ
وَأَحْيِرْتَنِي بَيْنَ الضَّنَى وَالطَّنِيبِ
وَبَيْنَ أَلَامِ الرَّجَا وَالْحِذَارِ

(٥)

فَمَرَّةً أَنْظَرُهُ نَظْرَةً وَمَرَّةً أَتْبِعُهَا زَفْرَةً
وَمَرَّةً أَغْقِبُهَا عُبْرَةً
وَمَا تُرَى يَخْلُو بِهِذِي الْمِرَازُ

(٦)

وَكُلَّ يَوْمٍ أَتَرَأَى غَدًا وَلَوْ غَدَا الْعُمْرُ جَمِيعًا فِدَا
أَجْسُرُ بِالْأَمَالِ نَبْضَ الْمَدَى
وَحِيلَةَ الْأَمَلِ فِي الْإِنْتِظَارِ

(٧)

أَنْظُرُ لِلطُّفْلِ فَلَا أَضِيرُ كَأَنَّ عَيْيَ فِي الْإِذِي تَنْظُرُ
تَحَوَّلَتْ قَلْبًا غَدًا يَشْعُرُ
فَكُلُّ لَحْظٍ خَاطِرٌ يُسْتَنَازُ

(٨)

أَنْظُرُ مَا يُبْقِيهِ ضَنْ أَلْضَنْي أَنْظُرُ مَا يُبْدِيهِ فَنُ الْفَنَا
أَنْظُرُ مَا تُلْقِيهِ عَيْنُ الْعَنَا
مِنْ قَطَرَاتِ الْوَعْظِ وَالْإِعْيَارِ

(٩)

بِأَمْضِي الطُّفْلِ بِأَلَامِهِ وَلَمْ يَزَلْ فِي مَهْدِ أَحْلَامِهِ
تُعِدُّ ذَا الطُّفْلِ لِأَيَّامِهِ
أَمْ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ لِلْكِبَارِ

(١٠)

يَكْبِدُ اللَّهُمَّ وَهُمْ مِثْلُهُ لَكِنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ عَقْلُهُ
وَرَاخَةُ لِلْمُبْتَلَى جَهْلُهُ
وَسَاوِسَ الدَّاءِ كَجَهْلِ الصَّغَارِ

(١١)

وَقَدْ يُغَرُّ الْمَرْءُ حَتَّى يَرَى أَنَّ الْوَرَىٰ إِنْ عُذَّ فِيهِمْ وَرَا^(١)
فَمَا يَرَىٰ فِي مَرْضَىٰ أَصْغَرَا
أَوْهَامُهُ إِلَّا مَعَانِي احْتِقَارِ

(١٢)

وَالْمَرْءُ يَهْوَى الْعَيْشَ لَكِنَّهُ يَتْرُكُ مَا نَالَ وَمَا ظَنَّهُ^(٢)
فَعَسِبْنَا مَوْعِظَةً أَنَّهُ
نَالَ اخْتِيَارًا ، وَتَخَلَّى اضْطِرَارًا



(١) أي وراء (ر).

(٢) هنا محذوف تدلُّ القرينة عليه ، أي وما ظنُّه يُنالُ (ر).

إلى صديق الوجه

هذه الأبيات في الصديق الذي لا يميل في قلبه
البغض ولا المحبة ، بل هو يودُّ أن يكون
مخلصاً ، لولا طبع فيه يكون عن الحسد ، أو
يكون الحسد عنه ، ولذلك ذكر الحسود في
البيت .

أما الذي يتكلف الصداقة لغرض من سوء يضمه
فذلك العدو .

[من الوافر]

لِيَعْرِكْسَهُ عَلَى مَاءِ الْخُدُودِ^(١)
كَأَنَّ الْبَشَرَ عِنْدَكَ فِي قِيُودِ
كَأَنَّ عُرُوقَ وَجْهِكَ مِنْ حَدِيدِ
صَدَاقَتُهُ لَكَ وَجْهَ الْوُدُودِ
وَقَدْ دَلَّتْ عَلَيَّ عَيْبِ جَدِيدِ
فَرَاخَ بُتْهُمَةِ اللَّصِ الْشَّرِينِ
أَرَى شَرَّ الصَّدَاقَةِ فِي الْحَسُودِ
وَقَدْ تَنَجَّوْا مِنَ الرَّأْيِ الْبَعِيدِ^(٢)

تَكَلَّفُ ذَلِكَ الْتَغَرَّابَتَسَامَا
وَتَلَبَّثُ مُسْتَضِيءَ الْوَجْهِ بِشَرًّا
تُصَلِّبُهُ عَلَى شَكْلِ فَيْقُوسِ
الْأَقْبَحِ الصَّدِيقِ إِذَا اسْتَعَارَتْ
تَوَهُمَ أَنَّهَا ذَهَبَتْ بِعَيْبِ
كَمْ لَبَسَ الْفَقِيرُ حِلِي غَنِيٍّ
حَذَارِ أَخَا «صَدِيقِ الْوَجْهِ» إِنِّي
مَتَى يَنْصَحُكَ بِصَمِكَ مِنْ قَرِيبِ



(١) الضمير المستتر في (يعركس) عائد على الثغر ، والضمير الظاهر عائد على الابتسام ، أي
ليعكس الثغر الابتسام (ر) .

(٢) نصحه بالنبل : رماه ، وأصمى الصيد : رماه فقتله في مكانه (ر) .

لسان البنت الفقيرة اليتيمة

[من الطويل]

قَدِمْتُ عَلَى الدُّنْيَا فَعَدُّوا وَلَادَتِي
وَكُنْتُ لَهُمْ هَمًّا ثَقِيلاً عَلَى الْوَرَى
نَسُوا بُؤْسَنَا حَتَّى نَسَبُوا نَعِيمَهُمْ
وَيَا رَبِّ إِنْ كَانَ التَّعِيمُ كَمَا أَرَى
كَمَا زَادَ فِي الْمَرْضَى قُدُومُ سَقِيمِ
وَهَذَا الْوَرَى لَوْ يُنصِفُونَ هُمُومِي
فَيَا رَبِّ مَا حُكْمُ الْقَضَا بِظُلُومِ
فَسَاداً فَإِنَّ الْبُؤْسَ خَيْرٌ نَعِيمِ



حكمة

[من المَجْنُث]

حَقِيقَةُ الشَّرِّ خَيْرٌ أَنْبَاءُهُ فِي انْقِلَابِ
كَالْبَدْرِ فِي اللَّيْلِ نُورٌ مِلءُ الْقَضَا وَالْحِجَابِ
وَفِي النَّهَارِ تَرَى الْبَدْرَ رَفْعَةً فِي السَّحَابِ



ففي الغزل

[من الوافر]

فَنَاءٌ مِنْ تَدَلُّهَا عَلَيْنَا تَلَطَّفَ لَفْظُهَا فَهُوَ ابْتِسَامٌ
يُطَاوِعُ خَضْرُهَا وَالرَّدْفُ بِأَبَى فَتَخَيَّبُ إِنْ مَشَتْ فِيهَا انْقِسَامٌ



نور بغير لهب

قال في منارة بورسعيد وهي ترمي بالنور في
دورتها من ثلاث جهات:

[من البسيط]

بانت تُلُوحُ لِتَأْتُمُ السَّفِينُ بِهَا	وَأَشْرَقَتْ كَالْهُدَى نُورٌ بغير لَهَبٍ
تُعَذِّبُ اللَّيْلَ تَعَذِيبَ الْجَحِيمِ لَذا	ترمي عليه بظُلٍّ ذي ثلاثِ شُعَبٍ ^(١)
كأنما اللَّيْلُ ذَنْبٌ وَهِيَ تَوْبَةٌ	فما نزالُ بِهِ حَتَّى نَرَاهُ ذَهَبٌ



(١) اقتباس من قوله تعالى في أهل الجحيم: ﴿أَفَلَيْقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ لَا ظَلِيلٌ وَلَا بُقَى مِنْ
الْأَهَبِ﴾ [المرسلات: ٣٠ - ٣١] (ز).

معجزة المرأة المستحسنة (١)

[من مجزوء المديد]

إِنَّ ذَاكَ الْحُسْنَ يُعْجِزُنَا أَنْ نُمَارِيَ فِي شَرَائِعِهَا
وَرَدَّةٌ مِنْ كَفِّهَا نَبَتْ فَوْقَ خَدَّيْهَا لِقَاطِعِهَا
فَاعْجَبُوا مِنْ سِحْرِ أَعْيُنِهَا كَيْفَ أَمْسَى فِي أَصَابِعِهَا



(١) التي تضع المحسنات كالمساحيق المعروفة ونحوها (ر) انظر فصل الحسن المصنوع ص ٢٠٠ من هذا الكتاب.

بائي يا بابا

وهي قصّة عن ابنته وهيبة
[من مجزوء الرمل]

(١)

طِفْلَتِي فِي الْعُمُرِ مَرَّتْ
لَيْسَتْ فِيهَا غِدَتْ تَعْدُ
جِثُّهَا يَوْمًا فَالْقَيْ
وَأَمَّا لَتُ غُنْقًا آ
فَمَضَتْ غَضْبَى وَقَالَتْ:
مِنْ سِنِهَا بِأَتْتَبِينَ
قَلُّ إِلَّا ضُحْكَتَيْنِ
لَتُ عَلَيْهَا قُبْلَتَيْنِ
لَمْتُهُ مِنْ عَمَزَتَيْنِ
«بَائِي يَا بَابَا بَائِي يَا بَابَا»^(١)

(٢)

أَعْتَابًا يَا ابْنَتِي أَمْ
بَدَأَتْ دُنْيَاكَ مُنْذُ الـ
وْغَرِيبٌ مِنْكَ أَنْ تَدُ
نَجْمَةً أَبْعَدُ مَا تُدُ
مِثْلُهَا حُجُّكَ لِلْبَا
ذَاكَ مِنْ غَيْظِ الْحَبِيبِ
يَوْمٍ وَالذُّنْيَا عَجِيبِ
رِي مَعَانِيهَا الْغَرِيبِ
قَى إِذَا لَاحَتْ قَرِيبِ
بَا وَمَعْنَى «بَائِي يَا بَابَا»

(١) يراد بكلمة (بائي) عند العامة ، وأحياناً ينطقونها (يا بائي) النكرة ومعنى الثفرة ، فإن أصلها يا أبا من نداء الاستغاثة . فهذا المعنى الذي يظهر قريباً من اللفظة هو أبعد مع حبّ البنت لأبيها من النجمة التي تلوح قريبة ، وهي ما هي في بُعْدِهَا (ر) .
قلت : قد أعاد العريان رحمه الله نشر هذه القصيدة في الرسالة (العدد : ٢١١ ، والسنة الخامسة ١٩٢٧/٧/١٩ م ص ١١٩١) وقدم لها بقوله : «في سنة (١٩٠٤) تزوج المرحوم مصطفى صادق الرافعي ، وفي سنة ١٩٠٥ ولدت له (وهيبة) ، فلما صارت بنت ستين جلس إليها يقبلها ، فقالت له الطفلة وقال لها ، فكانت هذه القصيدة .

(٣)

نَعْمَةً كَالْبُلْبُلِ اسْتَعَدَّ	لِي عَلَى السَّوَرِ فَعَنَّى
أَتَمَّنِّي أَنْ تُعِيدِي	مِثْلَهَا إِذْ أَتَمَّنِّي
قَدْ غَدَا يُذْهِبُ فِي الدُّدْ	بِأَلْعَنَّا لَفْظُكَ عَنَّا
وَأَرَى الشَّعْرَ فَنُونًا	صِرْتُ لِي مِنْهُنَّ فَنَّا
حِكْمَةً مَا مِثْلَهَا الْحِكْمُ	حَمَّةٌ عِنْدِي «بَايَ يَا بَابَا»

(٤)

لَوْ أَتَنِّي كُلُّ بُشْرَى	مِلَّةً أَنْحَاءِ أَلْبِلَادِ
أَوْ أَتَانِي أَلْسَعْدُ يَوْمًا	هَاتِفًا بِاسْمِي يُنَادِي
أَوْ سَعَى بِالْمَدْحِ وَالْتَمَدَّ	جَبَدَ لِي كُلُّ أَلْعَبَادِ
أَوْ شَدَا فِي كُلِّ أَرْضٍ	بَقَرِيضِي كُلُّ شَادِ
لَمْ يَكُنْ أَخْلَى بِسَمْعِي	كُلُّ ذَا مِنْ «بَايَ يَا بَابَا»

[سنة ١٩٠٧]



دعوى العليا،

يُورَخ ميلاد وليه الْمُؤَمِّل له في كَرَم الله وتوفيقه
محمود سامي الرافعي:

[من البسيط]

خَطُّوا اسْمَهُ فِي كِتَابِ الْمَجْدِ وَاتَّخَذُوا مِدَادَهُ مِنْ ضِيَاءِ فِيهِ بَسَام
وَعِنْدَهَا دَعَتْ أَلْعُلْيَا تُورِخُهُ (محمودُ عِشْتٌ بِجَدُّ فِي الْوَرَى سَامِي)

سنة ١٣٢٦ هـ



أرجوحة سامي

نظمها له أيضاً :

[من الرجز]

(١)

إِنْعَمُ بِهَا أَرْجُوحَةٌ يَا سَامِي
تَنَامُ فِيهَا أَهْنَاءُ الْمَنَامِ
فِي قِطْعَةٍ مِنْ رَوْضَةِ الْإِيَامِ
يَأْوِي إِلَيْهَا طَائِرُ الْأَحْلَامِ
فِي وَكْرِي النَّهَارِ وَالظُّلَامِ
عَلَى غُصُونِ الْعُمُرِ الثَّوَامِي
أَزْهَارُهَا مَا زِلْنِ فِي الْأَكْمَامِ
قَامَتْ عَلَى ذَاكَ الْفَدِيرِ الطَّامِي
فِي شَاطِئِ الْمُسْتَقْبَلِ الْبَسَامِ
كَأَنَّهَا خَوَاطِرُ الْأَفْهَامِ

(٢)

مَا هِرَّةُ الثَّنَاءِ فِي الْكِرَامِ
وَالْبِدِ فِي الْأَشْوَاقِ وَالسَّلَامِ
وَصَلَفِ الْمَلِيكِ فِي الْقِيَامِ^(١)
وَطَرِبِ الشَّاعِرِ لِلْإِلْهَامِ

(١) الصِّلَفُ : مجاوزة قدر المظرف ، والمراد وما هزة صلف المليك (ر).

كَمَا أَرَى أُزْجُو حَةَ الْهُمَامِ
تَهْتَرُ فَخْرًا بِالْفَنَى الْمَقْدَامِ
بِمَلِكِ الْبَيَانِ وَالْكَلامِ
وَصَاحِبِ الْعَرْشِ مِنَ الْأَقْلَامِ
وَقَائِدِ الْجَيْشِ مِنَ الْأَعْلَامِ

(٣)

يَا سَامِيًا وَأَنْتَ فِي الْأَقْوَامِ
مَنْ (رَافِعِي) الْحِكْمَةِ فِي الْأَنَامِ
مِنْ عِتْرَةِ الْخُلَيْفَةِ الْإِمَامِ
مِنْ (عُمَرَ) الْمُعِزِّ لِلْإِسْلَامِ^(١)
إِنَّ جَمِيعَ السَّادَةِ الْعِظَامِ
أَهْلِي الْعُلَى وَالْهَمَمِ الْجِسَامِ
وَمَنْ أَضَاؤُوا أَفَقَ الدَّوَامِ^(٢)
لَمْ يُولَدُوا أَكْبَرَ فِي الْمَقَامِ
مِنْكَ وَلَا فِي الْعَقْلِ وَالْأَجْسَامِ
فَلَا تَكُنْ أَضْعَفَهُمْ يَا (سَامِي)



(١) من فضل الله على أسرتنا أن نسبنا يتصل بعمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ورضي عنا بهم (ر).

(٢) الدوام: الخلود يريد أبطال التاريخ الخالدين بأقوالهم وأعمالهم (ر).

الشعر والحسان

[من الكامل]

(١)

فاضٍ أليانٍ على فمي وتَحَيَّرَا حَسِبَ أليانٍ فمي سَيَلْفِظُ قُبْلَةً
حَتَّى لَهَمَّ الْقَلْبُ أَنْ يَتَحَدَّرَا وكذلكَ إِنَّ يَبْكُ الحَزِينُ رَأَيْتَ أَذْ
فَجَرَى إِلَى الشَّفَتَيْنِ ثُمَّ تَعَثَّرَا إِنَّ الْعَوَاطِفَ هُنَّ أَصَوَاتُ النُّفُوسِ
مَعَهُ تُغَشِّي عَيْنَهُ أَنْ تَنْظُرَا سِ فَلَ يُحَسِّنُ الْجِسْمُ حَتَّى تَظْهَرَا^(١)

(٢)

أَفَمِي تَعِزُّ عَلَيْكَ عَثْرَةُ مَنْطِقِي وَرَفْتُهُ أَفَاقُ الْمَحَاسِنِ بِالنَّدَى
وَهُوَ الْمُبَادِرُ لِلخَوَاطِرِ إِنَّ جَرَى وَتَنَفَّسْتُ فِيهِ الْمَحَبَّةُ فَاغْتَدَى
حَتَّى لَاؤَشَّكَ زَهْرُهُ أَنْ يَقْطُرَا وَإِذَا رَأَيْتَ الثَّبْتَ أَزْهَرَ فَاغْتَبِرْ
مِنْ نَفْحِهِ جَوْ الْحَيَاةِ مُعْطَرَا وَإِذَا رَأَيْتَ الشَّعْرَ نَوَّرَ فَاغْتَمِزْ
أَنَّ الْمَلَايِكَةَ يَسْمُونَ فَأَزْهَرَا مَا الشَّعْرُ لَوْلَاهُنَّ إِلَّا مَا ادَّعَى
أَنَّ الْجِسَانَ ضَحِكُنَ فِيهِ فَنَوَّرَا^(٢) وَالزَّرْعُ مِنْ حَظِّ الْبَهَائِمِ إِنْ يَكُنْ
مَنْ لَيْسَ بِشَعْرٍ بِالْجَمَالِ وَرَوَّرَا إِنَّ الْجِسَانَ سَفَائِنُ الْأَفْكَارِ إِنْ
لَا مُجْنِيأَ زَهْرًا وَلَا مُسْتَمَرًّا فِيهِنَّ مَعْنَى مِثْلُ بَسْرِ الرُّوحِ لَا
مَاجَ الْقَرِينِضِ عَلَى الْخَوَاطِرِ أَبْخَرَا يَبْعَثْنَ مِنْهُ نُورَهُنَّ بَعْضِيَّةً مِنْ
عَرَضًا تَرَاهُ ، وَلَا تَرَاهُ جَوْهَرًا نُورٌ مَتَى وَجْهَهُ جِهَةٌ أَلْقُو

(١) يحصلُ شعرٌ بالحواسِ المعروفة ، وهذا المعنى واقعٌ تثبتُ المشاهدة (ر).

(٢) نُورُ الشَّجَرِ: أَخْرَجَ نُورَهُ ، بفتح النون ، وهو الزهر (ر).

ومتى صَرَفَنَ شِعَاعَهُ جِهَةً النَّوَى
ومتى يَمِلُنَ بِهِ إِلَى جِهَةِ الرُّضَا
هَذَا هُوَ الشُّعْرُ الَّذِي عَثَّ بِهِ
إِنْ أَلْقَاهُ رَنُّ الْوَجُودِ بِلَحْنِهِ
يَا لِحِظَةِ الْحَسَنَاءِ لَوْلَا لَمَعَةٌ
يَا لِفِظَةِ الْحَسَنَاءِ لَوْلَا رِقَّةٌ
يَا مَبْسَمَ الْحَسَنَاءِ لَوْلَا بَارِقٌ فِي اللَّحْظِ
يَا حُسْنَهَا لَوْلَا الْأَمَانِيُّ الَّتِي
يُلْقِي السَّقَامُ عَلَيْهِ لَوْناً أَضْفَرَا
تَرْزُمُ الْحَيَاءِ عَلَيْهِ لَوْناً أَنْصَرَا
رُوحِي عَلَى لَحْنِ الشَّبَابِ مُكَرَّرَا
وَتَنَفَّسْتُ لِصَدَاهُ أَفْنَدَةَ الْوَرَى
لِلْفِكْرِ مِنْكَ لَمَّا اهْتَدَى وَتَصَوَّرَا^(١)
فِي الْقَلْبِ مِنْكَ تُذِيئُهُ لاسْتَحْجَرَا
مِنْكَ لَمَّا أَضَاءَ وَأَشْفَرَا
عَمَرْتُ بِكَ الْكَوْنَيْنِ قَبْلُ لَأَقْفَرَا

(٣)

الطُّفْلُ أَوَّلَ مَا يُفَكِّرُ فِي الَّتِي
وَتَرَاهُ يُفَكِّرُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الَّتِي
وَيَنْظِلُ يُفَكِّرُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الَّتِي
وَيَعُودُ يُفَكِّرُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الَّتِي
يَا هَذِهِ حَسْبُ النِّسَاءِ ، فَهَنْ أَوْ
هِيَ أُمُّهُ حَتَّى يَثْبُتَ وَيَكْبُرَا
هِيَ قَلْبُهُ حَتَّى يُحِبَّ وَيَشْعُرَا
هِيَ زَوْجُهُ حَتَّى يَزِيدَ وَيَكْثُرَا^(٢)
هِيَ رُوحُهُ حَتَّى يَمُوتَ وَيُقْبَرَا
وَلَمْ مَنْ رَأَى رَجُلًا ، وَآخِرُ مَنْ يَرَى



(١) أي تصور واهتدى ، فإن الوار عندهم لا تفيد الترتيب (ر).

(٢) يزيد ويكثر كناية عن انتشار النسل منه (ر).

معرض طنطا

رُفِعَتْ إِلَى سَمَوِّ الْجَنَابِ الْعَالِيِ الْخَدِيوِي حَفْظُهُ
الله^(١) حِينَ زَارَ الْمَعْرِضَ الَّذِي أَقِيمَ فِي مَدِينَةِ طَنْطَا
سَنَةَ ١٩٠٧ م.

[من الطويل]

مَحَامِدَ مَا يُرَوَّى لِكِشْرَى وَقَبْصَرَا
شُعَاعَ تَلَاقِي فِي الْمَرَاتِي فَتَوَرَا
تَمَثَّلَ فِي لَفْظِ هُوَ الْخُلُقُ أَطْهَرَا
عَلَى صُحُفِ الْأَلْبَابِ حُبًّا مُصَوَّرَا
وَمَا بَيْنَ مَنْظُورِ الْجَلَالِ مُكَبَّرَا
كَآخَرَ تَجَلُّوهُ الطَّبِيعَةُ مُقْبِرَا
تَخَطَّتْ عَلَى الدُّنْيَا دُهُورًا وَأَعْصَرَا
يَعُودُ حَيَاةً وَهُوَ قَدْ كَانَ عُنْصُرَا
بِمَوْطِئِ نَعْلَيْكَ الْبَنَاتُ عَلَى الثَّرَى
رَأَيْنَا ثُرَابَ الْأَرْضِ فِي مِصْرَ جَوْهَرَا
فَالْقِيَتْ فِيهَا مِنْ سِنَاكَ فَاْبْصُرَا
مَعَانِي فِي «أَفْعَالِهَا» كُنْتُ «مَصْدَرَا»
وَقَدْ كَانَ فِي التَّارِيخِ مِنْ قَبْلُ أَسْطَرَا
سِوَى رَسْمِ هَاتِيكَ الْحَيَاةِ مُصَغَّرَا
فَلَسْتَ تَرَى فِيهِ أَقْلَ وَأَكْثَرَا

نَسَاكَ فَيُشِيرُنَا الْجَلَالُ الَّذِي نَرَى
نَسَاكَ فَتَهْتَرُ الْقُلُوبُ كَأَنَّهَا
وَفِيكَ لَهَا مَعْنَى هُوَ الْحُبُّ طَاهِرَا
فَحُبُّكَ حَيٌّ فِي الْقُلُوبِ وَكَمْ رَأَوَا
وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الْكَبِيرِ جَلَالُهُ
فَمَا أَفْقُ لَيْلٍ بِالمَصَابِيحِ سَاطِعُ
نَهَضَتْ بِمِصْرٍ نَهْضَةً فِي أَبْدَانِهَا
عُنِيَتْ بِهَا حَتَّى رَأَيْنَا ثُرَابَهَا
وَكِدْتَ مِنِّي تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ يَنْبِعُثُ
فَمَنْ خَصَّ بِالذُّرِّ الْبَحَارَ فَإِنَّا
(أَعْبَاسُ) قَدْ غَضَّ الزَّمَانُ جُفُونَهُ
رَأَى أُمَّةً تَشْتَقُّ لِلْعِزِّ وَالْعُلَى
رَأَى الْمَجْدَ فِينَا بَادِيَاً فِي جَلَالِهِ
وَمَا إِنْ بَرَى فِي «مَعْرِضِ الْيَوْمِ» نَاطِرُ
يُجِبُّكَ أَقْوَامٌ تَكْفَأُ حُبُّهُمْ



(١) هو عباس حلمي الثاني بن توفيق بن إسماعيل (١٢٩١ - ١٣٦٣ هـ = ١٨٧٤ - ١٩٤٤ م)
أحد من حكموا مصر من أسرة محمد علي.

مالك في معنى الكمال مبار

إلى صاحب السعادة الأستاذ الحكيم أحمد فتحي
باشا زغلول:

[من الطويل]

وما رَبُّ عَيْنِي مُبْصِرٌ بِنَهَارٍ
عَلَيْكَ ، وَقَالُوا: غَيْرُ ذَاتِ فَخَارٍ
وَلَيْسَتْ إِذَا أَظْهَرْتُهَا بِدَرَارِي
قَوَادِمُهُ إِنَّ هَرَّهَا لِمَطَارٍ^(١)
فَمَا لَكَ فِي مَعْنَى الْكَمَالِ مُبَارِي
عَلَى الْأَرْضِ لَا يَجْرِي بِدُونِ عِثَارٍ
فَمَا لَاحَ مِنْهُ رَوْعُهَا بِغَرَارٍ^(٢)
يُصَاحُ بِجَنِيهٍ خَذَارٍ خَذَارٍ
صَدُورٍ وَأَكْبَادٍ عَلَيْهِ جِرَارٍ^(٣)
حَقِيقَةً يَضْرِبُ دُونَهَا بِسَّارٍ
يُظُنُّ السَّمَاءَ وَالشُّحْبَ مَوْجَ بَحَارٍ
فَأَهْوُونَ بِأَنْ يُفْضِيَ لِمَسَلِكِ عَارٍ
فَدَغَ عَنْكَ مِنْ مَارِي وَمِنْ سِيمَارِي
فَلَمْ تَكُ إِلَّا نَفْضَةً لُغْبَارٍ^(٤)
وَلِلرَّغْمِ دُونَ الْحَقِّ خَيْرٌ وَقَارٍ

حَمَلْتُ إِلَيْكَ الْمَذْحَ غَيْرَ مُدَارِي
أَرَى لَكَ فِي قَوْمِي مَفَاخِرَ أَنْكَرْتُ
دَرَارِي مَا أَخْفَيْتُهَا فِي سَمَائِهَا
أَرُونِي جَنَاحَ الطَّيْرِ مِنْ أَيْنَ تَخْتَفِي
يُارِيكَ قَوْمٌ أَنْتَ فُوتَ لِحَبْهِمْ
وَمَنْ سَابِقَ الْأَطْيَارَ يَأْخُذُ سَمَتَهَا
مَضَيْتَ مَضَاءَ السِّيفِ لَأَقَى ضَرْبَةً
وَتُقَدِّمُ وَالْأَنْزُرُ اقْتِحَامَ وَغَمْرَةٍ
عَزِيمَةٍ حُرٍّ لَا يُعَارِضُهَا هَوَى
وَفِي النَّاسِ مَنْ يَرْجُو الْخِيَالَ فَإِنْ رَأَى أَلْ
وَمَنْ يَتَمَثَّلُ فِي الثُّجُومِ سَفَائِئاً
وَمَنْ يَتَعَطَّفُ لِلْغِي فِي طُرُقِ الْخَطَا
نَبَلْتُ لِهَاتِيكَ الْمَكَارِمَ نَبَلَهَا
وَكَمْ مِنْ حَشَوْدٍ ذِي شَذَاةٍ طَرَحَتْهُ
يَرَى حِطَّةً أَنْ يُرْغِمَ الْحَقُّ أَنْفَهُ

(١) القواديم والقوامي ريشات في مقدم جناح الطائر ، قيل أربع ، وقيل عشر ، وعكسها الخوافي (ر).

(٢) الغرار : حد السيف (ر).

(٣) الحرار : جمع حار ، والمراد بذلك التعتيط (ر).

(٤) الشذاة : الأذى (ر).

وَكُلُّ جَبَانٍ أَطْبَعَ يُعَذِّرُ إِنْ يَكُنْ تَصَوَّرَ أَخْلَاقَ الْكِرَامِ صَوَارِي

(٢)

أَرَى شَيْمًا غُرًّا كَمَطْلُوعَةِ الرَّبِيِّ وَحَسْبِي مِنْكَ الْفَضْلُ كَغَبَةِ أَمِلٍ لِهَذَا الْبَيَانِ الْجَزَلِ قُطْبَانِ كُلَّمَا يَرَاغُ مَتَى يَجْرِي اسْتَبْدٌ بِغَايَةٍ تَوُّمُ الْمَغَانِي صَوَّءُهُ كَيْفَمَا أَصَا إِذَا أَغْضَبُوهُ ذَابَتْ الشَّمْسُ مَدَّةً بَلَّغَتْ بِهِ سِرَّ الْعُلَى وَصَوِّمَهَا	وَفِيهِنَّ أَشْعَارِي خُلِقْنَ قَمَارِي يَطُوفُ نِظَامِي حَوْلَهَا وَنِشَارِي لَمَنْتُ يَرَاعِي أَذْنَآ بِمَدَارِ نُسَاوِي كِبَاراً دُونَهَا بِصِغَارِ^(١) بِشْغَلَةٍ نُورٍ أَوْ بِجَذْوَةٍ نَارِ لَهُ وَإِذَا يَرْضَى فَرَشَفُ عَقَارِ^(٢) يَحْفُ يَمِينِي مَجْدُهَا وَيَسَارِي
--	---



(١) استبد بالغاية : انفرد بها ، فلم يشارك (ر) .

(٢) المدة : القطرة يستمدّها القلم (ر) .

موضع الخير

[من البسيط]

إِنْ كُنْتَ تَرْجُو ثَوَابَ الْخَيْرِ مِنْ أَحَدٍ فَكُنْ بِهِ لِكَرِيمٍ خَيْرَ مِعْوَانٍ^(١)
يَرَى الْكَرِيمُ جَمِيلاً فِي الْجَمِيلِ كَمَا يُرِيكَ لَوْنًا جَدِيدًا مَزْجُ الْوَانِ^(٢)
وَحَافِظَ اللَّؤْمِ إِنَّ اللَّؤْمَ مَضْبَعَةٌ وَلَوْ رَمَى الْخَيْرَ فِيهِ كُلُّ إِنْسَانٍ
لَا يُورِقُ الْعُودُ فِي نَارٍ وَإِنْ سَقِيتَ مَاءً ، وَجَاءَ عَلَيْهَا شَهْرُ نَيْسَانَ^(٣)



-
- (١) فكُنْ به: بالخير (ر).
(٢) من المعروف أَنَّ اللونَ إذا امتزج بلونٍ آخرَ أنتجا لوناً جديداً متشابهاً أو مغايراً ، كاللون الأصفر إذا مزج بالأزرق أنتجا اللون الأخضر (ر).
(٣) نيسان رابع الشهور الرومية ، وفيه يبتدىءُ توريقُ الشجر (ر).

الكسلان والكسل

[من الطويل]

ذليلٌ كَفَّتهُ ذِلَّةُ النَّفْسِ هَمَّةُ
إذا ذُكِّروه بالمَعَالِي رَنَّا لها
كَرُوبًا أَلْفَتِي إِذْ بَاتَ يُجْهِدُ نَفْسَهُ
ثَقِيلٌ لَدَى الْأَعْمَالِ تَحَسُّبُ قَلْبَهُ
فَلَا مِنْ حَيَاءٍ أَوْ حَيَاةٍ بِهِ دَرَى
أَلَا إِنَّ لِلْإِنْسَانِ عُمْرًا مُحَدَّدًا
فَإِنْ مَرَّ يَوْمٌ أَنْتَ لَمْ تَنْتَفِعْ بِهِ
وَلِنْ الْقَضَا سَعْيٍ فَلَمْ يَكُ وَاقِفٌ

فَأُخْلِدَ لَا يَرْجُو عَلَى الدَّهْرِ مَغْنَمًا
فَأُؤْهِمَ أَنْ قَدْ نَالَهَا فَتَوَّهَمَا
وَمَا زَالَ مُلْقَى فِي الْفَرَاشِ مُنَوِّمًا
حَوَى مَاءَ ثَلَجٍ مُؤْذِي الْبَرْدِ لَا دَمًا
مَعَانِي الْمَعَالِي مَرَّةً فَتَقَدَّمَا
وَلَيْسَ بِمَرْدُودٍ لَهُ مَا تَصَرَّمَا
فَقَدْ مَتَّ يَوْمًا فِي حَيَاتِكَ فَاثَدَّمَا
لِيُوقِفَ سَعْيَ الْأَرْضِ يَوْمًا وَلَا أَلْسَمَا



الغزل والذكرى

[من الكامل]

(١)

لو أَبْصَرْتُ عَيْنَاكَ مِنْهُمْ مَا لَقُوا
لا تَعْذُلِي قَوْمًا بِحُبِّكَ أَصْبَحُوا
عَاشَتْ قُلُوبُهُمْ وَمَاتُوا ظَاهِرًا
كُونِي الرَّبِيعَ لَهُمْ فَوَزِدْكَ نَاضِرًا
وَالْحُبُّ قَاتِلُهُمْ رَيْتَ لِمَنْ بَقُوا
فِي الْهَالِكِينَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يُخْلَقُوا
مَوْتُ الْغُصُونِ إِذَا تَجِفُّ وَتُورِقُ
فِي الْوَجْتَيْنِ وَرَوْضُ حُسْنِكَ مُورِقُ^(١)

(٢)

أَطْرَقْتُ أَنْظُرُ فِي زَمَانٍ شَبِيبِي
فَرَأَيْتُ أَبَامَ الصَّبَابَةِ أَنْعَدْتُ
وَرَأَيْتُ هَاتِيكَ الْوَعْدَ حَمَائِمًا
وَهَنَّاكَ مِنْ قُبُلَاتِ هِنْدٍ أَزَاهِرُ
فِيهِنَّ مِنْ فَرَحِ اللَّقَاءِ مَدَامِعُ
وَكَأَنَّ مَا ابْتَسَمَتْ وَمَا ضَحِكَتْ غَدَا
وَالنَّاسُ قَدْ عَجِبُوا لِمَاذَا أَطْرَقُ
فِي الْغَيْبِ حَتَّى شَأُوهَا لَا يُلْحَقُ
فِي رَوْضَةِ الْعَنَبِ الشَّجِيَّةِ تَنْطِقُ
مَا زَالَ ذَاكَ الطَّيِّبُ فِيهَا يَغْبِقُ^(٢)
هِيَ كَالْتَدَى مُتَنَاقِطًا يَتَرَفَّرُ
شَيْئًا عَلَى تِلْكَ اللَّيَالِي يُشْرِقُ

(٣)

وَاهَا لِيْظَلَمَ الْحُبُّ بَنَاهُ الْفَتَى
وَيُنَازِعُ الْوَجْدَ الْمُبَرَّحَ نَفْسَهُ
وَتَرُجُّ زَلْزَلَةَ الْعَوَاطِفِ قَلْبَهُ
صَبْرًا فَقَدْ ظَلَمُوكَ حَتَّى لَا أَرَى
فِي لَبْدِهِ ، وَيُقَالُ : أَمْسَى يَارُقُ^(٣)
وَشَبَابُهُ ، فَيُقَالُ عَنْهُ : شَيْقُ
فَيُقَالُ إِنَّ وَصْفَهُ : قَلْبٌ يَخْفُقُ
مَنْ يُنْصَفُ الْعُشَّاقُ يَا مَنْ يُعْشَقُ



(١) أنفه بالمد فهو مُورِق : أعجبه (ر).

(٢) عبق الطيب كفرح لزيق ، فكانت فيه ريحه (ر).

(٣) يراد بهذا البيت وما بعده تصوير الفرق بين حقيقة العواطف والألفاظ التي اصطلاح الناس على أن يعبروا بها عنها (ر).

الحسن الميت

[قال] يرثي حسناء ماتت في نضرة الصبا بلسان
مُجِبِّ لها:

[من الطويل]

(١)

فلا وَصَفُوا بِالْحُسْنِ بَعْدَكَ وَادِيا عليَّ فلا هَبَّ الْتَسْبِمْ يَمَانِيا فلا نظرت عيني على الأرضِ باقِيا فيا ضَعَفَ صَوْنِي إِنَّ دَعَوْتُ مُنَادِيا ولمَّا يَكْذُ يَدُو مِنْ الْقَلْبِ خَافِيا يَعِيشُ كَأَنَّ الْمَوْتَ أَصْبَحَ نَاسِيا عَذُولٌ فَمَا اسْطَاعُوا لَدَيْهِ التَّلَاقِيا أُبْتُ لِلتَّعَازِي أَنْ يَكُنَّ مَعَارِيا فَلَهْفِي مَبْكِيًّا عَلَيَّ وَبَاكِيا	أظيعة نَجِدُ إِنَّ يَبْتَ مِنْكَ خَالِيا ويا نَفْخَةَ الْأَحْبَابِ إِنَّ لَمْ تُرَوِّجِي ويا حُبُّ إِنَّ لَمْ يَبْقَ لِي مَنْ أُحِبُّهُ ويا قَبْرَهَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَالِمٌ أَبْخَثِرُقُ الْغَيْبِ الْبَعِيدِ تَنَفُّسِي يَمُوتُ حَبِيبُ الْمَرْءِ وَالْمَرْءُ بَعْدَهُ فيا حَسْرَةَ الْأَحْبَابِ حَتَّى الرَّدَى لَهُمْ ويا حُسْنَهَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مُهْجَةً كَأَنَّ دُمُوعِي إِذْ بَكَيتُ رَثِيئَتِي
---	---

(٢)

بَمَا كَانَ فِي ذَلِكَ الْفَوَادِ أَمَانِيا^(١) مَتَى ذَكَرْتُ مِنَّا الْهَوَى وَالنَّصَايا وَمِنْ خَجَلِ الْعِذَاءِ مَا كَانَ قَانِيا^(٢)	سَتَبْتُ أَزْهَارَ هُنَاكَ جَدِيدَةً فَإِنْ مَسَّهَا دَمْعُ النَّدَى اضْطَرَبَتْ لَهُ فَمِنْ طَرَبِ الْعِيدَاءِ مَا كَانَ نَاصِعًا
---	---

(١) هناك أي على القبر (ر).

(٢) الناصع: شديد البياض، والقاني: شديد الحمرة (ر).

(٣)

ويا «هذه» والحبُّ واليأسُ والجوى على «هذه» فرقتُهُنَّ معانيها
غداً للهوى قبرانِ ضَمَّكَ واحدٌ وضَمَّنتُ مِنْ قلبي جمالكِ ثانيا
فَوَيْحَ الليالي حينَ تُطْلِعُ بذرها إذا لم يَضِيءْ هذا الجمالُ الليالي



الصبر المنفي

[من مجزوء الرجز]

بَعَثْتُ صَبْرِي لِلنَّاسِ	مُسْتَعِظًا لِلْوَسْوَاسِ
فَمَرَّ بِالْأَطْفَالِ أَهْ	نَا مَا يُصَادَفُ الْهَنْيِ
وَأَبْصَرَ الْأَشْيَاخَ كَالْ	أَمْوَاتِ تَحْتَ الْكَفَنِ
وَأَفْزَعْنَاهُ نَظْرَةً	فِي اللَّيْلِ مِنْ عَيْنِ غَنِيٍّ ^(١)
وَاسْتَكْشَفَ الْأَحْلَامَ وَهْ	يَ فِي ظُنُونِ الزَّمَنِ
فَاخْتَطَفَتْهُ لَوْعَةٌ	عِنْدَ طَرِيقِ الشَّجَنِ
وَحَاكَمَتْهُ فِي هَوَى الْ	غِيْدِ قَضَاءِ الْفِتَنِ
فَأَجْمَعُوا أَنْ يُبْعِدُو	هُ فِي قِفَارِ الْمَحَنِ
وَالصَّبْرُ إِنْ يَبْعُدُ قَبْعُ	دُ الصَّبْرِ قُرْبُ الْحَزَنِ
هَذَا إِلَهٌ هَوَى أَوْ بَعْضُهُ	لَيْتَ إِلَهٌ هَوَى لَمْ يَكُنْ



(١) لأن الأغنياء الذين يثبت معهم هذا اللقب هم الذين يسهرون في هم أموالهم (ر).

ما أحلى الزمان قديماً!

[من الطويل]

وقال:

قديماً ، وما أحلى الزمان قديماً	ألا هل أرى يوماً كمهدي وعهداً
بقلبي حوت من وصفهن رؤوما	ليال محاهما الدهر إلا صحيحة
فأنسكها أن تستطير نسيماً	إذا ألتفت نفسي إليها تحركت
زمان هواها يستحلن هُوما	وبعض مسرات النفوس إذا مضى
قد اتفقت أن لا أزال سقيماً	فونيحي كأن الدهر والحب والنوى



دموع الحبيبة

[من الكامل]

(١)

ما شئت - إلا أن تصدّي - فافعلي
وتعلّلي فيما جئت فيأتني
للوجد آلام إذا هي لم تكن
ولئن تجد زهراً بلا عطر يشم
وارمي الهوى في غير هذا المقتل
ليكد لي في الحب أن تتعلّلي
فالحب عن تلك القلوب بمنزل
م فلا ترى حباً بغير تذللي

(٢)

يا طيبة الوادي متى لك ذا النفا
الحسن فيك طبيعة نشأت وقد
با هند حبيبك فالطبأ كما تر
هبطت من الجنات يوماً نسمة
فتفتحت كل الرّمور لها تريد
حتى إذا مرّت بوجهك أنست
وقفت على شفئك لا العدّ الكندي
ر وحيرة في لحظك المنقّل
كملت لهند على ترقّي الأفضّل^(١)
بن بجانب حسن في المقام الأشقل
لمحاسن الدنيا ترود وتجللي
د نزلها فيها ولم تنزل
روح الجنان وبرد ذاك المنهل
فاحمر من حسد ، وقال لها: ادخلي

(٣)

يا دمة يوم العتاب لمحتها
سقطت من الأهداب بعد تردّد
مئت لي مرآة أحلامي إذا اند
في ذلك الطرف النضيب الأكمّل
كالنور في ظل يغيب ويتجللي
معكس الهوى فيها بنور تخيللي

(١) يريد مذهب النساء والارتقاء : وهو يقضي بترقي الأحياء من نوع إلى نوع منه (ر) .

أَلَا نَ أَنْطَرُ رَوْضُ أَمَالِي ، وَمَا مَسَّنَهُ أَذْمُوعُ حُبِّهَا لَمْ يَذُبِّلِ
دَمْعُ الْحَبِيبَةِ فَوْقَ أَهْوَاءِ الْقُلُوبِ بِ نَدَى تَرِفٌ بِهِ عَلَى الْمُسْتَقْبَلِ



الملاحق

الملحق الأول : مختارات من شعر الرافعي لم تنشر في دواوينه .

الملحق الثاني : فصول من كتاب «ملكة الإنشاء» .

الملحق الثالث : قالوا في الرافعي .

الملحق الأول:

مختارات من شعر الرافعي مما لم ينشر مما دواوينه

- ١ - زمن الدراسة . . بعد المدرسة .
- ٢ - قلبي . . قلبي .
- ٣ - أنا ونفسي .
- ٤ - التبرج .
- ٥ - التخثث .
- ٦ - كما يرى مُفرَّغاً في جسمه السبعُ : رثاء أحمد تيمور باشا .
- ٧ - ربنا إياك ندعو .
- ٨ - لك يا مصر السلامة .
- ٩ - لسان الصحراء .

أيام الصبا

«انقطع الرافعي عن التعلُّم في المدارس بعد حصوله على الشهادة الابتدائية لعلَّة أصابته في أذنيه ، فكانَ لذلك أثرٌ شديدٌ في نفسه ، وكانَ بذلك يرى نفسه ، وهو في العشرين كأنما ودَّعَ الشبابَ ، فهو كثيرُ الالتفاتِ إلى الماضي ، والحنينُ إليه ، وما كانَ له من ماضي بعدُ إلا المدرسة التي هجرها برغمه من جرَّاء العلة التي نالت. فاستمع إليه في القطعتين التاليتين يتحدَّثُ عن المدرسة وعهده الدراسيِّ كما يتحدَّثُ الشيخُ الهمُّ عن ماضيه البعيد ، والقطعتان من أوَّلِ ما قال الرافعي من الشعر وهو ابنُ عشرين سنة»^(١).

محمد سعيد العريان

زمن الدراسة

[من الخفيف]

ليْتَ أَيْامُهُ خُلِقْنَ طَوَالاً!	زَمَنٌ كَالرَّيِّعِ حَلٌّ وَزَالَا
وَمَا الْهَمُّ يَغْرِفُ الْأَطْفَالَا	يَحْسَبُ الْطِفْلُ أَنَّهُ زَمَنُ الْهَمِّ
كَلِيَالِيكُمْ تَمْنَى الْمُحَالَا	يَا بَنِي الدُّرُسِ ، مَنْ تَمَنَّى اللَّيَالِي
وَلِيَالِي الْهَنَاءِ تَمَرُّ عَجَالَا	لَيْلَةٌ بَعْدَ لَيْلَةٍ بَعْدَ أُخْرَى
فَإِذَا الْطِفْلُ أَحْسَنَ النَّاسِ حَالَا	قَدْ خَبِرْنَا الْأَنَامَ فِي كُلِّ حَالٍ
وَكَذَا الْبَدْرُ كَانَ قَبْلُ هِلَالَا	وَهُوَ إِنْ جَدَّ لَمْ يَزَلْ فِي صَعُودٍ

(١) نشرت في الرسالة السنة الخامسة ١٩٣٧/٨/٢ العدد ٢١٣ ، ص ١٢٧٤ .

غَيْرَ أَنَّ الْكُتُوبَ وَالْدَفَائِرَ وَالْأَقْدَامَ
وإذا ما مَشَى إِلَى قَاعَةِ الدَّرَجِ
مَنْ يَقُمْ فِي الْأُمُورِ بِالْجِدِّ يَهْنا
وَزَمَانُ الدَّرُوسِ أَضِيقُ مَنْ أَنْ
إِثْهَا الطُّفْلُ لَا تَضْبَعُ زَمَاناً
رَبِّمَا نِلْتَ مَا يَفُوتُ ، وَهَبْهَا
يَجِدُ الْيَوْمَ كُلَّهُ أَهْوَالاً
لَمْ وَأُورَاقَ دَرَسِهِ أَهْوَالاً
سِ ذِرَاعاً يَظُنُّهُ أَمْيَالاً!
وَالشُّقَا لِلَّذِينَ قَامُوا كُحْسَالِي
يَجِدُ الْخَامِلُونَ فِيهِ مَجَالاً
لَسْتُ تَلْقَى كَمِثْلِهِ أَمْثَالاً
تَ إِذَا فَاتَكَ الصُّبَا أَنْ تَسَالاً!

بعد المدرسة (١)

[من الخفيف]

مَا الْإِيَّامُ ذَا الصُّبَا تَفْانِي؟
ذَهَبْتُ بِالصُّبَا ، سَلَامٌ عَلَيْهَا
كُلُّ ذِي حَالَةٍ سَيُتْنِي بِأُخْرَى
وَالْفَتْنَى مَنْ إِذَا تَغَيَّرَ حَالُ
هَذِهِ سَاعَةُ الْحَصَادِ ، فَمَنْ كَا
وَالَّذِي يَسْزَعُ التَّهَاوُنَ فِي الْأُمُورِ
لَيْسَ يُجِدِي الْإِنْسَانَ أَنْ يَأْمَلَ النَّاسَ
فَاشِعٌ فِي الْأَرْضِ ، إِنَّ عِقَبَانَ هَذَا الـ
وَاحْذِرِ النَّاسَ ، إِنَّمَا يَأْمَنُ النَّاسَ
وَارْكَبِ الْجِدِّ فِي الْأُمُورِ وَلَا تَجِدْ
إِنَّ هَذَا الْوُجُودَ كَالْحَرْبِ : لَا يُكْ
وَقَدْ بَمَا عَهْدْتُهَا تَقْوَانِي
مِنْ فَوَادٍ بِحَبْهَا مَلَانَا
وَيَلَاقِي بَعْدَ الزَّمَانِ زَمَانَا
لَمْ يَقِفْ فِي وَجْهِهِ حَيْرَانَا
نَ تَعْنَى أَرَاخَهُ مَا عَانِي
جَاءَ لَا يَجْتَنِيهِ إِلَّا هَوَانَا
سُ فُلَاناً مِنْ قَوْمِهِ وَفُلَانَا
حَجْوً لَا يَرْضَيْنَ فِيهِ مَكَانَا
سَ صَبِيٍّ يَظُنُّهُمْ صَبِيَانَا
بُسْنُ إِذَا فَاتَ بَعْضُهَا أَحْيَانَا
سَرْمُ فِي الْخَرْبِ مَنْ يَكُونُ جَبَانَا
سنة ١٩٠١ م



(١) هذه القطعة ألقاها في الحفلة السنوية لجمعية الاتحاد والإحسان السورية المصرية بطنطا في ٢٢ أبريل ١٩٢١ م (سعيد).

قلبي .. قلبي

[من البسيط]

أَمْ أَنْتَ يَا قَلْبُ فِيهَا بَعْضُ أَعْدَائِي
هُوَ الَّذِي فِيكَ مِنْ سُقْمِي وَمِنْ دَائِي
فِي رَأْسِ شَاهِقَةٍ فِي جَوْفِ صَحْرَاءٍ
هِيَ الْغَمَامَةُ قَدْ شِيدَتْ مِنْ الْمَاءِ
فِيهَا الْحَيَاةُ بِلَا مَعْنَى لِأَحْيَاءٍ
جُوعٌ لَجُوعٍ وَإِظْمَاءٌ لِإِظْمَاءٍ
وَإِنْ تَكُنْ رَوْحُهُ عِنْدَ الْأَحْبَاءِ
لَكِنْ مَعَانِدُ مَنْ يَهْوَى هُوَ النَّائِي
ذَكَرِي وَنَاسِي حُبٌّ غَيْرَ نَسَاءِ
كَالْأَرْضِ بَعْدَ حَصَادِ الزَّرْعِ لِلرَّائِي
مِنْ بَعْدِ لِقَاءِ رَبِّهَا النَّبْتِ خَضْرَاءِ
مِنْ الصَّبَابَةِ تُطْفِئُهَا بِإِظْفَاءِ
فِي حُبِّهَا هِيَ نِيرَانِي وَأَضْوَائِي
ثَقُلَ الزَّمَانُ عَلَى قَلْبِي وَأَحْشَائِي
وَالْحُبُّ جَالِسِي فِي يَوْمِ أَخْطَائِي
مَرْضَى مِنَ النُّورِ قَدْ حُمَتْ بِظُلْمَاءِ
إِذِ الدَّلَالُ مَشَى فِيهَا بِإِطْءٍ^(١)

قَلْبِي أَنْتَ نَصِيرِي فِي مَحَبَّتِهَا
كُلُّ الَّذِي فِيكَ مِنْ بُرْنِي وَعَافِيَتِي
يَا رَحِمْتَ لَكَ مِنْ قَلْبٍ كَصَوْمَعَةٍ
شِيدَتْ مِنَ الصَّخْرِ لَكِنْ فِي طَهَارَتِهَا
فَالْمَوْتُ فِيهَا بِلَا مَعْنَى بِمَيِّتٍ كَمَا
يَا حَسْرَتَا لَكَ مِنْ قَلْبٍ تَقَلَّبَ مِنْ
عِنْدَ الْأَحْبَاءِ لَا يَأْلُو مَنَازِعَةً
نَاءٍ قَدْ أَرَوَّرَ عَنْ نَاءٍ وَمَا ابْتَعَدَا
بِظُلٍّ ذَاكَرٍ حُبٍّ غَيْرٍ مُخْتَفِلٍ
أَوْفَى بِكَ الْحُبُّ يَا قَلْبِي عَلَى زَمَنِ
سُودَاءِ شَعَثَاءِ مَغْبَرًا جَوَانِبُهَا
قَلْبِي إِنْ بِتُّ مَطُوبًا عَلَى حُرْقِي
وَيْكَ أَتَيْدُ إِنْ نِيرَانًا تَحْرَقْنِي
يَا بؤْسَ لِلْقَلْبِ مِنْ هَجَرٍ عَرَفْتُ بِهِ
يَمْرُؤَ يَوْمٍ فِيَوْمٍ فِي تَسْلِيلِهِ
مِثْلَ الضَّبَابِ عَلَى الْأَنْوَارِ يَتْرُكُهَا
وَشَقَّةُ الْهَجَرِ تَمْضِي لَا انْتِهَاءَ لَهَا



(١) الرسالة ، السنة الخامسة ١٩٣٧/٨/٢٣ العدد ٢١٦ ص ١٣٩٠ .

أنا ونفسي

[من البسيط]

وكذها عُمرُ في الجِدِّ يَنْصَرِمُ
قلبِ بنى ما بناء وهو يَنْهَدِمُ
كالسنِّ مِنْ قَلَمٍ فِيهِ انْبِرَى الْقَلَمُ
فماله لَذَّةٌ إِلَّا لَهَا أَلَمُ
أدنى مُجاذبةً ما دامَ فِيهِ دَمُ
لو كانَ يُدْرِكُ ما كانَ اسمُه الحُلُمُ
ففيكَ قاضي وسجّانٌ ومُتَّهِمُ
ما دامَ لِلْعَقْلِ قاضي فَبِكَ يَحْتَكِمُ
فالتَّهْيُّ والأَمْرُ في أخلاقِهِ هَرَمُ
والهَمُّ هَمٌّ، وإن قالوا اسمُه هِمَمُ
لو حاكَمُوها أمانوها وما رَحِمُوا
وللشَّهامةِ في أَجْدانِها رَمَمُ
وإن تَكُنْ قَتَلْتَ إِحْداهُما الذَّمُّ
اللصُّ تَعْرِفُهُ، والآخرُ... الكَرَمُ
إنَّ الصَّواعِقَ مِمَّا تَجْلِبُ الدَّيَمُ

أَعْنَتْ نَفْسِي حَتَّى مَضَّها النَّامُ
قالتِ تُحاوِرُنِي: يا وِيعَ قَلْبِكَ مِنْ
أَذابِ أَكْثَرِهِ إِسْداعِ أَيْسَرِهِ
مَقِيْدُ فِي وَثاقٍ مِنْ خلائِقِهِ
يَناشِدُ المَثَلَ الأَعلى وَفيهِ إِلى الدِّ
يا مُفْنِي العُمُرِ في التَّفَتُّشِ عَنِ حُلُمِ
مالِذَّةِ العِيشِ إِمَّا كُنْتَ مُنْقَسِماً:
دأباً تَظَلُّ سَجِيئاً لا انْطِلاقَ لَهُ
إنَّ الصَّبِيَّ صَبِيٍّ فِي طَبائِعِهِ
والْقَيْدُ قَيْدٌ، وإن قالوا اسمُه خُلُقُ
كم لَفْظَةٍ في لُغاتِ النَّاسِ مُجَرِّمَةٍ
ففي القَبورِ لِسَفاكِ الدِّمِا رِمَمُ
موتى كموتى، فلا زادوا ولا نَقَصُوا
واثنانِ لِصانٍ في الأُمُوالِ قد رَتعا:
فقلْتُ لِلنَّفْسِ نَأْساءَ وَتَعْرِيبَةَ

وإنما شَمَخَتْ في طَوْدِها القِمَمُ
نَطَأَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَوْلَهُ قَدَمُ
أَواجُهُ - لَم يَزَلْ يَدْوِي وَيَلْتَطِمُ

يا نَفْسُ وَيَحَكِّ ما في السَّهْلِ مِنْ قِمَمِ
مَنْ كانَ في نَفْسِهِ أرضاً مُوطَّأَةً
وَمَنْ تَكُنْ نَفْسُهُ بَحْراً - تُرْجَرُجُهُ

وَمَنْ يَكُنْ طَامِي الْبِرْكَانِ مُتَفَجِّراً
الْخُلُقُ مَا الْخُلُقُ إِلَّا مَا يُنَوِّعُهُ
مِنْهُمْ زَجَاجٌ وَمِنْهُمْ جَنْدَلٌ عَسِيراً
حَالٌ ثَلَاثِمَ حَالاً فِي مَنَاسِبِهِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ لَوْحُ الْوُجُودِ فَمَا
هِيَ الرِّوَايَةُ أَحْدَاثٌ يَجِيءُ بِهَا
وَكُلُّ لَفْظٍ لِمَعْنَاهُ ، فَإِنْ تَكَ لَا
بَا حَيْرَةَ الْعَقْلِ ، هَلْ لِلظُّلْمَةِ انْبِثْقَتْ
وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ أَيُّ اتْنِيهِمَا هُوَ مِنْ
هَلِ الْأَلَى حُرْمَتُهَا إِلَّا بِمَنْ رَزَقُوا
يَجْنِي عَلَى الشَّاءِ نَابُ الذُّلْبِ وَيَحْكُ أُمُّ

فَوَارُهُ طَاشَ مِنْهُ الْجَمْرُ وَالْجَمَمُ
فِي النَّاسِ مِنْ دَهْرِهِمْ مَا شَاءَتْ الْحِكْمُ
فَحَاطِمٌ فِي تَلَاقِيهِمْ وَمُنْحَطٌ
وَالضُّدُّ لَيْسَ بغيرِ الضُّدِّ يَلْتَنِيهِمْ
عَسَاكَ تَحْسِبُهُمْ فِي اللَّوْحِ قَدْ رُسِمُوا
مَمْتَلُوهَا عَلَى مَا صَوَّرَ الْقَلَمُ
تَجْرِي الْمَعَانِي فَلَنْ تَجْرِيَ بِهَا الْكَلِمُ
أَنْوَارُهَا أَمْ عَلَى أَنْوَارِهَا الظُّلَمُ
خَيْرٌ ، وَأَيُّهُمَا الشَّرُّ الَّذِي رَعَمُوا
أَمْ الْأَلَى رَزَقُوا إِلَّا بِمَنْ حُرِمُوا
تَجْنِي عَلَى الذُّلْبِ مِنْ لُحْمَانِهَا الْغَنَمُ

لَمْ يُخْلَقِ النَّاسُ إِلَّا خَلْقَ مُشْكِلَةٍ
لَكَانَتْ الْأَرْضُ لَا هَمٌّ وَلَا تَعَبٌ
مِمَّا وُلِدَتْ رَضِيْعاً ، وَانْتَشَأَتْ فَتَى
فَمَا الَّذِي أَنْتَ رَاضِيهِ فَحَامِدُهُ
هَمُّ الْحَيَاةِ كَمَثَلِ الْجَمْرَةِ اضْطَرَمَتْ

بِمَا بِهِ افْتَرَقُوا تَلَقَّاهُمْ انْتَضَمُوا
لَوْ أَصْبَحَ الْعُمُرُ لَا مَوْتَ وَلَا سَقَمٌ
وَعِشْتَ مِنْ بَعْدُ كَهَلًا جَاءَكَ الْهَرَمُ
إِلَّا الَّذِي أَنْتَ شَاكِيهِ فَمَتَّهِمْ
فَمَا الرَّمَادُ سِوَى مَا كَانَ يَضْطَرُّمُ

يَا نَفْسُ وَيَحْكُ أَرْضِي الْجَدُّ مِنْكَ فَتَى
لَا تَعْرِضِي لِي لَذَاتِ الْهَوَى أَبْدَأُ
كَأْسُ الْمُدَامَةِ فِي بَعْضِ الْخَطَابِ فَمُ
مَا لَدُنِّي أَنَا إِلَّا أَنْ أَكُونَ فَتَى
كَأَنَّهُ صَفْحَةٌ مَنَشُورَةٌ قَرَأْتُ
سِلْمٌ وَحَرْبٌ لَهُ فِي سِلْمِهَا عِظَمٌ

مَاضِي الْعَزِيمَةِ وَتَابَ فَمُقْتَنِحِمُ
مَا لِلْهَوَى فِي لِسَانِي «لَا» وَلَا «نَعَمْ»
وَمَدْفَعُ الْحَرْبِ فِي بَعْضِ الْكَلَامِ فَمُ
كَمَا يُزْفَرُ فِي أَعْلَى الدُّرَى عَلَمُ
فِيهَا ضَمَائِرُهَا الْعُلُوبَةُ الْأُمُّ
يَخْشَوْنَهُ ، وَلَهُ فِي حَرْبِهَا عِظَمُ

أنا المقيّد في نفسي وفي خلقي
 لا كالخليع يرى الأخلاق تمنّعه
 شأن بين أمرىء في نفسه حرم
 لا تحبوا كلّ قيد قيد حامليه
 كيف السّباق غداة السّبق إن جمعت
 والعوذ أوتاره إن لم تشدّ به
 كأنني عهد حرّ قيده القسم
 جرماً عليك ، فيلقبها ويحترم
 قدس ، وبين أمرىء في نفسه صنم
 بل قيّدت نغم فيه أو النغم
 له الجبّاد ولم توضع لها لجم
 شدّ المقيّد لم يصدّح لها نغم^(١)



(١) نشرت في مجلة الزهراء التي كان يصدرها الأستاذ محب الدين الخطيب بمصر عدد جمادى
 الآخرة عام ١٣٤٥ هـ ص ٣٨١-٣٨٣.

التبرج

عثرنا على قصيدة من شعر نابغة الأدب وحجة العرب
الأستاذ السيد مصطفى صادق الرافعي رحمه الله وصف
فيها تبرج النساء وصفاً بليغاً لاذعاً ، وقد أخرجها عن
هذا الروي اللثين الناعم الطريف ، حتى يكون خطاباً
للجنس اللطيف في أسلوب دقيق يوافي مزاجهن
ورفتهن ، وهي من القصائد التي لم تنشر في ديوانه .

محمود أبو رية

[من الوافر]

دَلَالِكَ فِي التَّبَرُّجِ مِنْ ضَلَالِكَ	وَمَا عَابَ الدَّلَالُ سِوَى دَلَالِكَ
كَمُلْتَ تَبَرُّجاً فَكَمُلْتَ حُسْناً	وَلَكِنْ جَاءَ نَقْصُكَ مِنْ كَمَالِكَ
لِمَنْ تَبَرَّجِينَ وَذِي سَبِيلٍ	وَمَا هِيَ أَفْقُ شَمْسِكَ أَوْ هَلَالِكَ
أَمَا نَحْشِينُ أُنْكَ فِي طَرِيقِ	يُزَفُّ بِهَا الْحَرَامُ عَلَى حَالِكَ
وَأَنْ ذُنَابَ هَذَا الْحُسْنِ تَمْشِي	مُسْعَرَةً اللَّحَاطِ عَلَى غَزَالِكَ
وَأَنَّ النَّاسَ قَدْ شَهِدُوا نِسَاءَ	سَوَاقِطَ كُلُّهُنَّ عَلَى مِثَالِكَ
عَرَضَتْ لَكِي نَرَى فَلَقَدْ رَأَيْنَا	هَنَّاكَ الْحُسْنَ إِلَّا فِي فِعَالِكَ
أَهْذِي مَشِيَّةَ الْخَفِرَاتِ أَمْ قَدْ	غَدَا الشَّرَفُ الْمَفْدَى فِي فِعَالِكَ
كَأَنَّكَ لَسْتَ بِنْتُ أَبِي وَإِلَّا	فَمَا لِأَيْبِكَ لَمْ يَخْطُرُ بِبَالِكَ
أَخْبَتِ أَنْتِ أَمْ زَوْجٌ وَأُمُّ	فَمَا مِنْهُنَّ وَاحِدَةٌ كَذَلِكَ
وَحَالُكَ لِلْأَبْوَةِ كُلِّ عَارٍ	وَعَارٍ لِلْبَنَوَةِ كُلِّ حَالِكَ

«برزت» لِقَتْلِ ذَلِكْ أَمْ لِهَذَا
 وَمَاذَا فِي اخْتِيَالِكَ مِنْ مَعَانٍ
 أَيَبْتُ ذَا الْحَيَاءِ عَلَى أَسَاسٍ
 قَبِيحٍ أَنْ تَسِيرِي فِي اعْوِجَاجٍ
 نَقَابُ ذَاكَ أَمْ لَوْنٌ رَقِيقٌ^(١)
 كَأَنَّكَ إِذْ صَبَغْتَ الْوَجْهَ رَوْضًا
 وَمَا هَذَا (الدَّهَانُ) لِنَظَرِيهِ
 إِلَّا إِنَّ الْغَبَارَ أَذَى فَمَنْ ذَا
 عَلَيْكَ حِجَابُ دِينِكَ فَالزَّمِيهِ
 وَقَارُ أَبٍ وَعَرْضُ أَخٍ وَزَوْجٍ
 وَأَنْتِ إِذَا هَفَوْتَ فَكُلُّ مَجْدٍ
 وَلَمْ يُخْجِبْكَ دِينُ اللَّهِ إِلَّا
 فَإِنَّ النَّاسَ نَاسٌ حَيْثُ كَانُوا
 وَمَا لَكَ تَسَالِينَ الْحَقِّ مَنَّا
 يَرِيدُ اللَّهُ مِنْكَ الْأَمَّ أَمَّا
 وَخَصَّكَ فِي الطَّبِيعَةِ بِالْمَزَايَا
 فَلَا تَتَعَلَّقِي بِمُحَالٍ أَمْرٍ
 سَهولُ الْخَصْبِ أَنْتِ لَذَا سَهولُ
 أَغْرَكَ فِتْنَةٌ هُمْ عَارٌ قَوْمٍ
 حَبَالُهُمْ مَهْيَاةٌ لَكِيدٍ
 نَرَاهُمْ هَاهُنَا وَهَنَاكَ دَعْوَى

فَمَا هَذَا وَذَلِكَ «مِنْ رَجَالِكَ»^(١)
 بِصَوْرَتِهَا شِبَابُكَ فِي اخْتِيَالِكَ
 وَقَدْ مَلَكَتْهُ زَلْزَلَةُ اخْتِيَالِكَ
 عَلَى أَنَّ الْعَدَالَةَ كَاعْتِدَالِكَ
 نَرَاهُ بَيْنَ أَلْوَانِ اخْتِيَالِكَ
 جَعَلْتَ لَنَا نَقَابَكَ مِنْ ظِلَالِكَ
 سِوَى رُوحِ التَّلَوُّنِ فِي خِلَالِكَ
 يَظُنُّ «غِبَارَ وَجْهِكَ» مِنْ جَمَالِكَ
 فَإِنَّكَ فِي الْحَيَاةِ حَيَاةَ آلِكَ
 وَمِرَاةَ السَّجَايَا فِي «عِيَالِكَ»
 لَهُمْ طُرًّا يؤولُ إِلَى مَا لَكَ
 لِيُخْجِبَ كُلَّ سُوءٍ عَنْ جَلَالِكَ
 وَأَعْيُنُهُمْ وَالسُّتُورَ مَهَالِكَ
 وَخَلَقْتَكَ الْجَوَابُ عَلَى سُؤَالِكَ
 سِوَاءٍ فِي رِضَاكَ وَفِي مَلَالِكَ
 تُعِينُ كُلَّ مَا هُوَ فِي احْتِمَالِكَ
 سُبُذْهَبُ مُمَكِّنَاتِكَ فِي مُحَالِكَ
 أَلَا فَدْعِي التَّخَشُّنَ فِي جِبَالِكَ
 إِذَا قِيسُوا بِفَتَيَانِ الْمَمَالِكَ
 فَكَيْفَ إِذَا التَّفَفَنَ عَلَى جِبَالِكَ
 وَهُمْ لَيْسُوا هُنَاكَ وَلَا هُنَالِكَ

(١) يقال: (ليس فلان من رجالك) إذا لم يكن من أكفائك في القتال، ورجال المرأة زوجها وأهلها، فالنورية ظاهرة، وكذلك «برزت» فإن العرب يسمون المرأة المسفرة التي تتحدث إلى الناس (برزة) وهي كنمة أثقل من معناها.

(٢) قال ذلك منذ ثلاثين سنة يوم أن كان للنساء نقاب رقيق شفاف، ولو نظر إليهن اليوم، وهن شبه عاريات، لكان له رأي غير هذا الرأي ونظم غير هذا النظم!

وَكُلُّ قَائِلٍ فَالْقَوْلُ حَيٌّ
وَوَظُّوا الدِّينَ قَدْ أَمَى (طريقاً)
وَفَقَّهُ «الشَّافِعِيَّ» بِلا شَفِيع
أَهْمُ أَحْرَارُ هَذَا الدِّينِ فَبِنَا
أَعْمَى ثُمَّ يَفْتِي فِي طَرِيقِ
بِرِّكَ يَا مُهَنْدِسُ إِنْ حَمَدْنَا
وَقِيلَ الدِّينُ ضَاقَ بِسَالِكِيهِ
وَكُلُّ عَاجِزٍ فَالْفَعْلُ هَالِكُ
فَكُلُّ (شَارِع) فِي الدِّينِ «سَالِكُ»
وَلَا نُعَمِّي «النَّعْمَانِ»^(١) بِذَلِكَ
وَمَا بَلَّغُوا عِبِيداً عِنْدَ «مَالِكٍ»؟^(٢)
بِفَتْوَى (عَنْ يَمِينِكَ عَنْ شِمَالِكَ)؟
حَسَابِكَ وَافْتِنَانِكَ فِي مَجَالِكَ
فَلَا تَقُلْ: افْتَحُوا فِيهِ مَسَالِكَ^(٣)



-
- (١) هو الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت (٨٠ - ١٥٠ هـ).
(٢) هو إمام أهل المدينة مالك بن أنس الأصبحي (٩٣ - ١٧٩ هـ).
(٣) نشرت في الرسالة السنة الثامنة عشرة ٢٢ / ٥ / ١٩٥٠ ، العدد: ٨٨١.

التحفة

وهذه قصيدة أخرى لنا بركة الأدب وحجة العرب الأستاذ
السيد مصطفى صادق الرافعي رحمه الله لم تنشر في ديوانه
نتحف بها قراء «الرسالة» الغراء.

محمود أبو رية

[من الوافر]

أم الدنيا اعتراها الانقلابُ
وثمرُ بعد ذاك بما يُعابُ
فلئن لَناره ضُيِّعَ الثَّقابُ
على كسلٍ، ودنيانا اكتسابُ
لِدَهْرِهِمْ، ودَهْرُهُمْ غلابُ
بما قد أخطأوا وبما أصابوا
وفيهـم كلُّ ذي رأيٍ كتابُ
وقد زاروا مَواطِنَها وآبوا
كما يهوى لِيحترقَ الشَّهابُ
كأنَّ حضورَ حاضِرِهِمْ غيابُ
رأينا السيفَ تُكْبِرُهُ الرِّقابُ
ولكنَّ خلفَه أرضٌ خرابُ
وما للوقتِ عندهم «حسابُ»
على اللِّغةِ الكريمةِ بل مُصابُ
وفي الآدابِ شكٌّ وارتيابُ
تُحِبُّ به الفضيلةُ أو تُهابُ

أفني الشَّبَّانِ قد مُسِّخَ الشَّبابُ
غصونٌ في رياضِ العلمِ تنمو
فلا يَفَرُّكَ شَكْلُ العودِ وانظرُ
أَمِّمَّا عُلِّمُوا أَنْ يَسْتَمِيتُوا
أَمِّمَّا عُلِّمُوا أَنْ يَسْتَكِينُوا
أَمِّمَّا عُلِّمُوا أَنْ يَسْتَهْنُوا
لنا دينٌ يقومُ بهِ كتابُ
وقد جمعوا العلومَ وقد أُجيزُوا
وَمِنْهُمْ مَنْ أَنَا مُسْتَضِيءٌ
«شهادتٌ» ولا عملٌ بِزُكِّي
وإنَّ خَيْرَ نَهْجِهِمُ الأعمالُ يوماً
أرى قُفْلاً على بابٍ كبيرٍ
فما علمُ الحسابِ وهم قعودُ
وما علمُ اللُّغاتِ وهم بلاءُ
وما نفعُ اليقينِ بما عَلِمْنَا
وأفضلُ مِنْ علومِ المرءِ خُلُقُ

بأيِّ مُعَلِّمٍ فِي الطَّيْرِ هَذَا
بِنَفْسِكَ لَا بِعِلْمِكَ أَنْتَ مِمَّا
أَلَا إِنَّ الشَّرَابَ لَهُ إِنَاءٌ
وَأَلْبَنُ مَا يَكُونُ زَمَانُ قَوْمٍ
لَكَانَ أَلَيْثُ أَسهَلَ مَا رَكِبْنَا

حَمَامٌ يَسْتَعِرُّ وَذَا غُرَابٌ
وَأَنْتَ لَنَا ثَوَابٌ أَوْ عِقَابٌ
فَإِنْ دَنَيْتَهُ دَنَسَ الشَّرَابُ
إِذَا احْتَمَلْتَهُ أَخْلَقَ صِلَابُ
إِذَا لَمْ يَخْمِهِ ظَفَرٌ وَنَابُ

أَلَا يَا قَوْمَ الْفَتَيَانِ فِينَا
رَأَيْتُ لِبَعْضِهِمْ أَمْرًا عَجَابًا
يَسِيلُ تَخَنُّشًا وَيَذُوبُ لَطْفًا
(وَلَانَ) كَأَنَّهُ فِينَا اعْتَذَارُ
(وَهَذَبَهُ) الزَّمَانُ لِمَصْرٍ شِعْرًا
عَلَى خَدَّيْهِ لِلْمِرَاقَةِ نَوْرُ
وَيَحْمِلُهَا الْمُخَنَّثُ أَيْنَ يَمْشِي
وَيَطْرَحُ وَجْهَهُ فِيهَا سَوَالًا
وَفِيهِ مِنَ الذَّكُورَةِ نَوْعٌ حُسْنٍ
وَمُطْمَحَّةٌ الَّتِي يَرْنُو إِلَيْهِ
وَهَمَّتْهُ الثِّيَابُ فَلَيْسَ يَمْشِي
مَلَوْنَةً مَصْبُغَةً لَوَجْهِهِ
وَلَا عَجَبٌ فَذَا قَمَرُ الْمَعَالِي
يُسَائِلُنِي أَتَمَّ الزَّيِّ حَسَنًا
كَأَنَّ بِلَادَنَا قَفَرٌ فَمِنْهُمْ
كَأَنَّ فَخَارَ مَضَرَّ عَادَ أَنْثَى
فَأَسْوَدُهُمْ وَأَحْمَرُهُمْ جَمَالُ

وَزَيْنْتُهُمْ وَمَا حَمَدُوا وَعَابُوا
وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ أَمْرٌ عَجَابُ
فَهَلْ فِي أَرْضِنَا رَجُلٌ مَذَابُ
تَقْدُّمُهُ حَوَادِثُنَا الصَّعَابُ
رَقِيقًا مِنْهُ بَيْنَهُمَا عِتَابُ
فَهَلْ فِي الْحُسْنِ بَيْنَهُمَا انْتِسَابُ؟
وَبَيْنَ الشَّكْلِ وَالشَّكْلِ اصْطِحَابُ
لِبَأْتِيهِ «عَلَى السَّوْجِ» الْجَوَابُ
يَتَمُّ بِهِ أَنْوِثَتُهَا الْكَمَابُ
مِنْ «الْعِلْيَاءِ» نَافِذَةٌ وَبَابُ
إِذَا مَا سَارَ بَلْ تَمْشِي الثِّيَابُ
لَهُ فِي لَوْنِهِ مِنْهَا اقْتِرَابُ
«تَسْقُلُ» وَالثِّيَابُ لَهُ سَحَابُ
وظرفاً قُلْتُ: بَلْ نَقْصَ الثَّقَابُ.
وَمِنْ أَثَوَابِهِمْ فِيهَا سَرَابُ
قَعْبِدَةٌ بَيْنَهَا وَلَهَا جَحَابُ
فَذَا كُحْلٌ لِمَصْرٍ وَذَا خِضَابُ

وَمَا يَمْشِي الْفَتَى الْمَغْرُورُ مِنْهُمْ
تَرَاهُمْ تَابِعِينَ لِكُلِّ أَنْثَى
إِذَا طَلَعَتْ طُلُوعَ الصَّبَحِ فِيهِمْ

لَأَمْرٍ فِي عَسَاقِبِهِ ثَوَابُ
وَبَيْنَ الشُّبُهَةِ وَالشُّبُهَةِ انْجِدَابُ
بَدَأَ مِنْ بَرْدٍ أَوْجُهُهُمْ ضِيَابُ

أخفَّ طيعةً منها الذبابُ
وهل أفعى وليس لها لعابُ
فبعضُ القولِ في أذني ترابُ

* * *

وهل أخطي وفي بيتي الصوابُ
سوى الشهواتِ تحرزُها الطلابُ
كما في هذه الدنيا كلابُ
ستورثها الطبيعة ما استعابوا
ولم ينفعهُ أنَّ ذُوئِهِ تابوا
كذلك فروغهم خبثوا وطابوا
وَمِنْ أَيِّ النعاجِ أتت ذئابُ
وكونوا خيرَ مَنْ شَبُّوا وشابوا
معاييهُ فليسَ لها ذهابُ
وعهدُ وفائِها هذا الشبابُ^(١)

ومدوا في «حلاوتها» لحاظاً
وفي أفواههم لفظٌ خبيثُ
إذا كان الترابُ قذًى لعيني

أذى أفعال من ولدته أمُّ
أما في هذه الدنيا أمورُ
أما في هذه الدنيا أسودُ
أما خافوا الطبيعة في صغارِ
وكم طفل يعاقبُ عَنْ ذُوئِهِ
كما خبثتْ أصولٌ واستطابتْ
وأبنة ذببةٌ ولدت خرافاً
رويداً يا بني مضرَ رويداً
متى ذهبَ الشبابُ سدى أقامت
طفولتكم لمصرِكم ديونُ



(١) نشرت في الرسالة السنة الثامنة عشرة ١٢/٦/١٩٥٠ العدد ٨٨٤.

كما يرسى مفرعاً في جسمه السبع

القصيدة الغراء التي نظمها نابغة الأدب وحجة العرب
الأستاذ السيد مصطفى صادق الرافعي في رثاء فقيد العربية
والإسلام أحمد تيمور باشا .

[من البسيط]

ولا التجلُّدُ مُغْنِينَا وَلَا الْفَرْعُ
أَمَّا مَصِيئَتُنَا هَذِي فَتُخْرِعُ
على امرئٍ فيه بُنْيَانٌ لَنَا يَقَعُ
إِنْ لَمْ تَجِدْ صَدْرَ حُرٍّ فِيهِ نَمْتَنِعُ
وحولَ أسواره أعداؤها أَنْصَرَعُوا
فليس يُعْرِفُ صَخْرٌ مِنْهُ يُقْتَلَعُ
ولا التَّراخي بِذَاكَ الْخُلُقِ يَنْصَدَعُ
فليتَصَبَّ كالرَّوَاسِي فِيمَنْ اتَّضَعُوا
على الْمَدَلَّةِ فِي أَخْلَاقٍ مِنْ خَضَعُوا
لمَنْ بَسُفُوفٍ أَوْرباً قَدْ اذْرَعُوا

لا الصبرُ عنه يُعَزِّينَا وَلَا الْجَزَعُ
مَصَائِبُ الْمَوْتِ كَالْتَقْلِيدِ فِي نَسَقِ
يَا ضَرْبَةَ الْمَوْتِ مَا بَالِيَتْ أَنْ تَقْعِي
على الذي كَانَ حِصْنُ (الضَّادِ) يَمْنَعُهَا
حِصْنٌ بِأَسْوَارِهِ أَنْصَارُهَا احْتَشَدُوا
رَاسَ عَلَى الصَّخْرِ مِنْ دِينٍ وَمِنْ خُلُقِ
وما الْهُوَيْنَا لَذَاكَ الدِّينِ غَايِمَةٌ
وَمَنْ يَكُنْ لِدِفَاعِ (الضَّادِ) مُنْجَرِداً
وَلِيَجْفُ مِثْلَ جَفَاءِ الْفَقْرِ مَمْنَعاً
وَلِيَسْدِرْ صَدْرُهُ الصَّحْرَاءَ كَاسِرَةً

قَصَّ الْأَظَافِرَ تَجْمِيلاً كَمَا ابْتَدَعُوا
إِنَّ الْمَخَالِبَ فِي كَثْفِي هِيَ الشَّبَعُ
زَدْنِي مِقْصَصَكَ ظُفُراً مِنْهُ أَنْتَفِعُ
الظُّفَرُ لِلْيَثِّ بِالدُّنْيَا وَمَا تَسَعُ

قالوا: أتى الليثُ حَلَّاقٌ يُعَلِّمُهُ
بِأَلِيْثٍ قُلُهَا لَذَا الْحَلَّاقِ زَمْجَرَةٌ:
بِأَلِيْثٍ قُلُهَا لَذَا الْحَلَّاقِ هَمْهَمَةٌ:
بِأَلِيْثٍ قُلُهَا لَذَا الْحَلَّاقِ دَمْدَمَةٌ:

لَنَا بِهِ مِذْفَعٌ فَنَائِهُ يَنْشِعُ
مَتَى تَقُلْ قَوْلَهَا فِي الْعَالَمِ افْتَنَعُوا
مِنْقَارُ نَسْرِكَ مَا غَنَّى وَيَبْتَلِغُ
هَوَى أَوْرَبًا فَهَم نَاسٌ وَهَم بُقِعُ
ضَرُّوهُ لِيَنْفَعُ ، فَقَدْ ضَرُّوا وَمَا نَفَعُوا
أَنْغَامِهِ ، وَلَيْكَ اسْمَعُ إِنَّهُ قِطْعُ

لَكَانَ حَسْبُكَ مِنْهُ الطُّهْرُ وَالْوَرَعُ
كَأَنَّهُمْ مِنْ نُجُومِ حَيَّةٍ صُنِعُوا
أَقْبَلْتَ تَنْظُرُ فِي أَخْلَاقِهِمْ سَطَعُوا
مِنْ قُوَّةِ الدِّينِ لَا زَيْعٌ وَلَا بَدْعُ
كَمَا بَرَى (مُفْرَعًا فِي جَسَمِهِ السَّبْعُ)
شَكٌّ وَزَيْعٌ وَإِنْكَارٌ لِمَا شَرَعُوا
وَالدِّينُ مِنْ خَلْفِهَا بِالْعَقْلِ يَتَّبِعُ

فِي الْعَقْلِ وَالشَّلْبُ بِالْإِيجَابِ مُجْتَمِعُ
وَالنَّاسُ لِلْخَالِدِ الْبَاقِي بِهَا خَضَعُوا

عَلَى مَنَابِرِهَا (الْأَحَادُ) وَ(الْجَمْعُ)
وَفِي قُلُوبٍ يَقُومُ الْحُبُّ وَالْوَلَعُ
بِكِفِّ جَبْرِيلَ مَا فِي مَسْهَا طَمَعُ
حَيٍّ وَمِنْ وَجْهِهِ فِي نُورِهَا لَمَعُ
يُحْسِرُ صَوْتَ رَسُولِ اللَّهِ يَرْتَفِعُ
عَلَى الزَّمَانِ يَرَى مِنْهَا وَيَسْتَمِعُ
كُتَابُهَا فِيهِ صَوْتُ الْوَحْيِ مُنْطَبِعُ
أَنْطَقَتْهَا أَقْبَلُوا فِي الصَّوْتِ وَاطْلَعُوا
بِالْمَكْرِ يَخْدَعُ أَوْ بِالْجَهْلِ يَنْخَدِعُ
رَدْعًا وَلِلْجَهْلِ طَبْعُ لَيْسَ يَرْتَدِعُ

لَوْ كُلُّ مِرْزَمٍ قَنَّ عِنْدَنَا خَنْبُ
إِذَنْ لَكَانَتْ لَنَا بَيْنَ الْوَرَى لَغَةُ
قُلْ لِلْعَصَافِيرِ فِي مِثْقَارِهَا نَعْمُ
وَبِحَ الْفَضَائِلِ مِنْ بَاغِيْنٍ لَوْثُهُمْ
يَجْدُدُونَ لَنَا أَخْلَاقَنَا زَعَمُوا
يَا مَنْ يُحْطَمُ بَلُّورًا لِيَسْمَعَ مِنْ

(نِيمُورُ) لَوْ قُلْتَ فِي إِنْسَانِهِ مَلَكُ
مِنَ الرِّجَالِ الْمَصَابِيحِ الَّذِينَ هُمُو
أَخْلَاقُهُمْ نُورُهُمْ ، مَنْ أَيُّ نَاحِيَةٍ
يَحْقُقُ الْعِلْمُ فِي إِنْسَانِهِ مَثَلًا
دِبْنٌ تَفَرَّغَ فِي جَسَمِهِ قَوْقَرَةٌ
يَا جَهْلٌ مَنْ ظَنَّ أَنَّ الْعِلْمَ غَايَتُهُ
مَا الْعِلْمُ إِلَّا حُدُودُ الْعَقْلِ تَحْيِيَّتُهُ

أَيُّ الْعَجَائِبِ فِي ضِدِّيْنِ قَدْ جُمِعَا
لِلنَّاسِ أَخَضَعْتَ الْفَانِي عَقُولُهُمْ

بِأَرَايَةِ اللُّغَةِ الْفُضْحَى تُقَدِّسُهَا
فَفِي قُلُوبٍ يَقُومُ الدِّينُ يَحْرُسُهَا
قَدْنُكَ نَفْسِي قِرَآئِيَّةٌ رُفِعَتْ
وَالنَّبِيُّ عَلَيْهَا لَمْ يَزَلْ نَفْسُ
لَكَادَ وَاللَّهُ فِي التَّنْزِيلِ قَارِئُهُ
إِنَّ النَّبِيَّ لَحَيٌّ فِي ضَمَائِرِنَا
فَكَيْفَ تَقْنِئُنَا الْأَيَّامُ عَنْ لُغَةٍ
صَحَائِفُ (كَفْتُغْرَافِ) الْمَلَائِكِ إِنَّ
تَاللهِ مَا نَاصَبَ الْفُضْحَى سَوَى رَجُلٍ
وَقَاحَةُ الْمَكْرِ تَأْبَى مِنْ طَبِيعَتِهَا

كم أَجَنَّبِيَّ غَرِيبٍ بَاتَ يَحْفَظُهَا كَحَفِظَ عَيْنِيهِ أَنْ يَغْشَاهُمَا الْوَجَعُ
وَكَمْ نَرَى مِنْ بَنِيهَا ذَا مُكَاشَرَةٍ لِسَانَهُ كَلِيسَانَ النَّارِ يَنْدَلِعُ
يَا قَوْمٍ لَنْ يَسْتَحْيِيَ مُسْتَنْقَعٌ وَخِمٌ إِذَا جَرَتْ حَوْلَهُ الْأَنْهَارُ وَالتَّرَعُ^(١)



(١) الفتح السنة الخامسة العدد ٢٠١. غرة المحرم ١٣٤٩.

ربنا إياك ندعو

نشيد جمعية الشبان المسلمين

عهدت جمعية الشبان المسلمين في القاهرة إلى كبار
الشعراء بوضع نشيد لها يرثله الشباب الإسلامي في جميع
أنحاء المعمور ، فورد عليها نشيد من أمير الشعراء أحمد
شوقي بك ، وآخر من شاعر النيل حافظ بك إبراهيم ،
وثالث من الشاعر الكبير أحمد أفندي محرم . وترى
الزهراء أن نابغة الأدب وحجة العرب السيد مصطفى
صادق الرفاعي كان موفقاً جداً في وضعه النشيد الآتي
لجمعية الشبان المسلمين :

[من الرمل]

(١)

رَبَّنَا إِيَّاكَ نَدْعُو؛ رَبَّنَا أَتِنَا النَّصْرَ الَّذِي وَعَدْتَنَا
إِنَّا نَبْغِي رِضَاكَ؛ إِنَّا مَا ارْتَضَيْنَا غَيْرَ مَا تَرْضَى لَنَا
أَنْفُسًا طَاهِرَةً طَهَّرَ الْحَرَمُ
تَمْلَأُ التَّارِيخَ مَجْدًا وَكَرَمُ
وَافِيَاتٍ بِالْعُهُودِ وَالذَّمُّ
رَاقِيَاتٍ لِلْمَعَالِي وَالْهِمَمُ

الْعُلا ، إِنَّ الْعُلا	وَاجِبَاتُ الْمُسْلِمِ
خَيْرُ عَالِمٍ خَلَا	كَأَنَّ فِينَا يَتَمَي
لِلْعُلا فَاإِنَّا	أُمَّةُ التَّقْذَمِ
لِلْعُلا وَهَـمَا أَنَا	بَحِيَّاتِي وَدَمِي

(٢)

يا شباب العالم المحمدي ينقص الكون شباب مهدي
فأروة دينكم ليقتدي دين عقلي ، وضمير ، ويد

يا شباب العزمات المبرمة

عرفوا الكون العلأ والمكرمة

عرفوا الكون الهدى والمرحمة

عرفوا الكون النفوس المسلممة

العلأ ، إنَّ العلأ واجبات المسلم

خير عالم خلا كان فينا يتمي

للعلأ ، فإننا أممة التقم

للعلأ ، وهما أنا بحياتي ودمي

(٣)

إننا الطهر الأماجد الألى نزلت لنا السما مذ أنزلا

ذلك القرآن أخلاقاً على كوكب الأرض «محمّد» العلا

ليس كالمسلم في الخلق أخذ

ليس خلق اليوم بل خلق الأبد

إنما الإسلام في الصخر امتهد

ليجيء كل مسلم أسد

العلأ ، إنَّ العلأ واجبات المسلم

خير عالم خلا كان فينا يتمي

للعلأ ، فإننا أممة التقم

للعلأ ، وهما أنا بحياتي ودمي

(٤)

في ضميري دائماً صَوْتُ النبي أمراً: جاهداً ، وكابداً ، واتعباً
صائحاً ، غالباً ، وطالباً ، واذاباً صارخاً: كُنْ أبداً حرّاً أبي
كُنْ سواءَ ما اختفى وما علنُ
كُنْ عزيزاً بالعشير والوطنُ
[كُنْ قوياً بالضمير والبدن]^(١)
كُنْ عظيماً في الشعوب والزمنُ

المُعْلا ، إِنَّ الْمُعْلا واجباتُ المسلم
خيرُ عالمٍ خلا كانَ فينا يتمي
للمُعْلا ، فلاننا أمّةُ النّقاءِ
للمُعْلا ، وهما أنا بجبانتي ودمي

(٥)

رَبِّ بالإسلام قد هدَيْتَنِي رَبُّ مِنْ نُورِكَ قَدْ آتَيْتَنِي
فعلِيَّ العهدُ - ما أَحْيَيْتَنِي أحرُسَ الكنزِ الذي وهَبْتَنِي
أو أموتَ دُونَهُ مَوْتُ البَطْلِ
ثابتاً أحيًا بقلبٍ من جَبَلٍ
نيراً أحيًا بروحٍ مِنْ شُعْلٍ
جاهداً أحيًا بجسْمٍ من عَمَلٍ

المُعْلا ؛ إِنَّ الْمُعْلا واجباتُ المسلم
خيرُ عالمٍ خلا كانَ فينا يتمي
للمُعْلا ، فلاننا أمّةُ النّقاءِ
للمُعْلا ، وهما أنا بجبانتي ودمي^(٢)

(١) كذا في الأصل: والزيادة من كتاب «أناشيد فتية الحق» ص (٧٢).

(٢) نشرت في الزهراء عدد ذي الحجة ١٣٤٦ هـ ص ٦١٣ - ٦١٤.

لك يا مصر السلامة

[من الرمل]

(١)

إِسْلَمِي يَا مِصْرُ إِنِّي الْفِدَا
ذِي يَدَيِ إِنَّ مَدَّتِ الدُّنْيَا يَدَا
أَبْدَا. لَنْ نُسْتَكِينِي أَبْدَا
إِنِّي أَرْجُو مَعَ الْيَوْمِ غَدَا
وَمَعِي قَلْبِي وَعَزْمِي لِلْجِهَادِ
وَلِقَلْبِي أَنْتِ بَعْدَ الدِّينِ دِينُ
لَكَ يَا مِصْرُ السَّلَامُ وَسَلَاماً يَا بِلَادِي
إِنْ رَمَى الدَّهْرُ سَهَامَهُ فَاتَّقِيهَا بِفِؤَادِي
وَاسْلَمِي فِي كُلِّ حِينٍ

(٢)

أَنَا مِصْرِي بَنَانِي مَنْ بَنَى
هَرَمَ الدَّهْرِ الَّذِي أَعْيَا الْفَنَّا
وَقَفَّةُ الْأَهْرَامِ فِيمَا بَيْنَنَا
لِضُرُوفِ الدَّهْرِ وَقَفَتْنِي أَنَا
فِي دِفَاعِي وَجِهَادِي لِلْبِلَادِ
لَا أُمِيلُ ، لَا أَمْلُ ، لَا أَلِينُ
لَكَ يَا مِصْرُ السَّلَامُ وَسَلَاماً يَا بِلَادِي
إِنْ رَمَى الدَّهْرُ سَهَامَهُ فَاتَّقِيهَا بِفِؤَادِي
وَاسْلَمِي فِي كُلِّ حِينٍ

(٣)

وَيْلَكَ يَا مَنْ زَامَ تَقْيِيدَ الْفَلَكَ
أَيُّ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ يَخْضَعُ لَكَ
وَطَنُ الْحُرِّ سَمَاءً لَا تُمَتِّلُكَ
وَالْفَتَى الْحُرُّ بِأُفْقِهِ مَلَكٌ
لَا عَدَا بِأَرْضٍ بِضَرْبِكَ عَادُ
إِنَّنَا دُونَ حِمَاكَ أَجْمَعِينَ

لَكَ يَا مِضْرُ السَّلَامِهِ وَسَلَاماً يَا بِلَادِي
إِنْ رَمَى الدَّهْرُ سَهَامَهُ فَاتَّقِيهَا بِفُؤَادِي
وَاسْلَمِي فِي كُلِّ حِينٍ

(٤)

لِلْعُلَا أَبْنَاءَ مِصْرٍ لِلْعُلَا
وَبِمِصْرٍ شَرَّفُوا الْمُسْتَقْبَلَا
وَفِدَا لِمِصْرِنَا الدُّنْيَا فَلَا
تَضَعُوا الْأَوْطَانَ إِلَّا أَوَّلَا
جَانِبِي الْأَيْسَرُ قَلْبُهُ الْفُؤَادُ
وَبِلَادِي هِيَ لِي قَلْبِي الْيَمِينُ

لَكَ يَا مِضْرُ السَّلَامِهِ وَسَلَاماً يَا بِلَادِي
إِنْ رَمَى الدَّهْرُ سَهَامَهُ فَاتَّقِيهَا بِفُؤَادِي
وَاسْلَمِي فِي كُلِّ حِينٍ^(١)



(١) نشيد سعد باشا ز غلول ص ١٦ - ١٧ .

لسان الصحراء

لمناسبة الرحلة الملكية في الصحراء الغربية :
«في شهر أكتوبر من سنة ١٩٢٨ قام المغفور له الملك فؤاد
برحلة إلى الصحراء الغربية وواحدة سيوة ، وكان المرحوم
مصطفى صادق الرافعي يومئذ شاعر جلالته ، وحادي
ركابه ، فأنشأ هذه القصيدة يتحدث فيها عن الصحراء
لمناسبة هذه الرحلة الميمونة . وفي اليوم - وبعد عشر
سنين كاملة - يقوم جلالة الملك فاروق الأول برحلته إلى
الصحراء ليرود المعالم التي رادها من قبل والده العظيم ،
فلعل في نشر هذه القصيدة لهذه المناسبة ما يقوم بواجب
الولاء ، ويغث طيب الذكرى» .

سعيد العربيان

[من البسيط]

أدار بي موضعي أم حان تجديدي
من التواريخ ، أن اليوم مخصوذي
ملقى ضياعاً وموجوداً كمفقود
ملكك مصر يوم منهُ مسعود
ولا مشى بحساب أو بتعديدي
بكل ثانية من غير تبديدي
كالخمس ، كالشع ، لا معنى لتحديد
بأن يزور قفاري خير موجود
إلا بشمس من الإنسان في جيدي
بأن يحل بأرضي سيد الجود
تجنیه من ذهب أبدي المجاهدي

تساءل القفر إذ حلّ الملك به
أم بعد زرعي دهوراً لا حصيد لها
رمل على الأرض كالدينار من ذهب
أم غيّر الله أيامي فأبعدني
كان لي زماناً ما كان من زمن
والوقت يخضع للساعات ثمسكه
وساعة القفر قفر ، فالثلاث بها
أم طول صبري على الفقدان عوّضي
شمس من الله في صدري وما كملت
أم ما لقيت من الحرمان كافأني
ملك كأن نبات العز في يديه

وَيَسْحَرُ الْأَرْضَ حَتَّى الْأَرْضُ مِنْ أَفْقٍ
 أَمْ ذَاكَ حُلُمُ الصَّحَارَى بِالنَّعِيمِ سَرَى
 فِي الْقَفْرِ دُنْيَا وَرَا الدُّنْيَا نَفَرٌ لَهَا
 إِنِّي كَقِطْعَةٍ وَحِشٍ صُوِّرَتْ بِلْدَا
 وَعُوذُ آدَمَ عُرِيَانٌ بِلَا ثَمَرٍ
 فَلَا بَنِي لَهُمْ دُنْيَا تَعُدُّهُمْ
 لَوْ أَنْزَلَ اللَّهُ سَقْفًا مِنْ كَوَاكِبِهِ
 لَوْ أَمْسَكُوا ظِلَّ طَيْرِ الْجَوِّ فِي قَفْصِي
 وَفِي عَرِيضٍ فَجَاجِي الشَّمْسِ طَالَعَةٌ
 فِي الْجَذْبِ فِي الْوَحْشِ فِي الْأَحْيَاءِ فِي زَمَنِي
 فَالْيَوْمَ أَعْرِضْ أَمَالِي عَلَى مُلْكِي
 لَعَلَّنِي خَطٌّ لِي مِنْهُ كِتَابٌ هُدًى
 لَبَّيْكَ يَا مُعْضِلَاتِ الْقَفْرِ قَدْ بَعَثْتَ
 أَبَاؤَهُ الصُّيُودَ هِمَّاتٍ مُجْمَعَةً
 رَحْبُ الْأَمَانِيِّ وَثَابٌ عَلَى فُرْصِ
 يَرْمِي بِحَبْلَيْهِ: مُحْلُولٍ وَمُنْعَقِدٍ
 سِرُّ اللَّيْثِ بَعِينِهِ ، فَنَظَرْتُهُ
 وَتَحْتَ رَاحَتِهِ سِرُّ السَّيُوفِ ، فَإِنْ
 وَفِي أُنَامِلِهِ سِرُّ الْأَعْنَةِ: لَا
 مُلِكُ مَعْجَزَةٍ فِي أَرْضٍ مَعْجَزَةٍ
 وَمَا يُسَدُّ طَرِيقَ دُونَ غَايَتِهِ

وَيَسْحَرُ الْوَقْتَ حَتَّى الْوَقْتُ مِنْ عِيدٍ
 وَمَرٌّ مُنْطَلِقًا فِي هَجْعَةِ الْبِيدِ
 عَلَى مَطَايَا الْكَرَى مِنْ عَيْشٍ تَنْكِيدٍ
 أَرْضِي سِوَاءَ وَإِنْسَانِي وَجُلْمُودِي
 وَزَهْرُ حَوَاءَ مُحْطُومٌ بِلَا عَوْدٍ^(١)
 فِيهَا ، وَلَا أَنَا فِي الدُّنْيَا بِمَعْدُودٍ
 لَهُمْ لِيَتَنُفَّسُوا لَمَّا هَمُّوا بِتَشْيِيدِ
 مَا أَمْسَكُوا ظِلَّ عُمُرَانٍ بِمُجْهُودٍ
 تَزِيدُ فِي ظُلُمَاتِي الْحَيَةِ السُّودِ
 وَفِي طَبَائِعِ أَرْضِي ، فِي تَقَالِيدِي
 وَهُوَ الْكَفِيلُ بِمَرْجُؤِي وَمَقْصُودِي
 وَمَا زِيَارَتُهُ إِلَّا كَتَمْهِيدِ
 لِكِ الْعُنَايَةِ صَنْدِيدِ الصَّنَادِيدِ
 فِيهِ ، وَزَادَ عَلَى آبَائِهِ الصُّبُودِ
 مَا أَطْمَعَتْ غَيْرَهُ فِي غَيْرِ تَزْهِيدِ
 فِيهَا عَلَى كُلِّ مُحْلُولٍ وَمَعْقُودِ
 فِيهَا اكْتِشَافُ فَرِيسَاتِ الْمَوَاعِيدِ
 أَشَارَ رَاغٍ كَسِيفٍ عِنْدَ تَجْرِيدِ
 يَنْفُكُ يَطْلُبُ مَيْدَانًا لِتَأْيِيدِ
 مَخْلَدُ الْحَمْدِ فِي تَارِيخِ تَخْلِيدِ
 طَرِيقُ كُلِّ سَعِيدٍ غَيْرُ مَسْدُودِ

* * *

(١) عُوذُ آدَمَ: كناية عن الرجل ، وزهر حواء: كناية عن المرأة.

ستستفيضُ على الصحراءِ همته
فيؤلّدُ الزّمنُ المشبوبُ من زمنٍ
هيهاتَ هيهاتَ ما بيني القفارَ سوى
هُمُ الأعرابُ في تلهيبِ جمرتهم
يا للعزيمة لو أخرجتهم عرباً
إذنْ لضاعفَ مصرأُ سحرُ ساحرها
النيلُ كنزٌ من الخضراءِ مُنكّشفُ
عرّ الذي جمَعَ الكنزينِ في يده

تجّاجةٌ بالمشاريعِ المحاميدِ
فإنْ تكلّجَ في تلكَ التجاعيدِ
صبرُ كصبرِ (فؤادٍ) غيرِ محدودِ
مثلُ البراكينِ لن تحيا بتبريدِ
تحتَ القوانينِ أحراراً بتقييدِ
وابنزُ ممدودها من غيرِ ممدودِ
في جنبِ كنزٍ من الصحراءِ مرصودِ
يحمي بكنزٍ زئيرِ كنزٍ تغريدِ^(١)



(١) نشرت في الرسالة، العدد (٢٧٣) السنة السادسة ١٩٣٨/٩/٢٦.

الملحق الثاني

فصول من كتاب ملكة الإنشاء

تأليف
مصطفى صادق الرافعي

- وصف البحر .
- رسالة فكاهية .
- الحسن المصنوع .

كتاب ملكة الإنشاء.

بقلم

محمد سعيد العريان

بلغ الراحلُ الشاعرُ مبلغه بعد سنة ١٩٠٥ م ، ونزل منزله بين شعراء العصر ، وجرت ريحُه رُخاءً إلى الهدف المؤمل ، فامتدَّ نظره إلى جديد . . .

وأخذ يَروضُ قلمه على الإنشاء ، لعله يبلغ فيه مبلغه في الشعر ، فأنشأ بضعَ مقالاتٍ مصنوعةٍ فتنه ، وملكث إعجابه ، فتهياً لأن يصدر كتاباً مدرسياً في الإنشاء سماه (ملكة الإنشاء) يكونُ نموذجاً للمتأدِّبين وطلاب المدارس ، يحتذون فنّه ، وينسجون على منواله ، ووعد قراءه أن ينتظروه ، وأحسبه كان جاداً فيما وعد ، لولا أمور نشأت من بعد ، صرفته عن وجهه ، فظلَّ الوعدُ قائماً بينه وبين قرائه حتى نسيه ونُسوه .

وحسبُ الأدباء والباحثين في التاريخ الأدبي أن يقرؤوا من هذا الكتاب الذي لم يُنشر ، مقالاتٍ ثلاثاً نشرها الراحلُ في الجزأين الثاني (ص: ٦٧ - ٦٨) والثالث من ديوانه (ص: ٨٠ - ٨٢) ، وفي الجزء الأول من (ديوان النظرات ٩٢ - ٩٦)؛ إعلاناً ونموذجاً لكتابه؛ فإنَّ في هذه المقالات الثلاث كُلَّ الغناء للمباحث ، تدلُّه على أول مذهب الراحل في الأدب الإنشائي ، وطريقته ونهجه^(١).

(١) حياة الراحل ص (٦٤). وقد جمعت هذه المقالات الثلاث هنا في هذا الملحق.

وصف البحر

فصل كته في رمل الإسكندرية يصف به ساعة
أقامها هناك يوم الأحد ، وهو نموذج من كتاب
(ملكة الإنشاء) الذي يضعه الآن قال :

يومُ الأحدِ ما يومُ الأحدِ؟
كأنَّ بناتِ الأرضِ قد حصدنَ بناتِ السماءِ .
فلا تزالُ كلُّ مليحةٍ تنظرُ إلى نفسِها .
وتتظرُ ما بعدَ أمسيها .
حتى تقومَ سوقُ الحُسنِ فيه على ساقِها .
وتشتبكُ أنجمُ السماءِ والأرضِ بأحداقِها .
فتدورُ رحي القنالِ .
بينَ رباتِ الجمالِ .
ويقفُ الحُسنُ والهوى بينَ السماءِ والأرضِ .
ووقفَ الملكينَ للشهادةِ في يومِ العَرَضِ .
ولو خُلِقَ الشهرُ إنساناً
لما كانَ موضعَ عينيه .
وبينَ جنبيه .
غيرَ أربعةِ أيامِ الأحادِ .

* * *

هَبَّ النسيمُ .

وتوارتِ الشمسُ عاصبةً الجبين .

صفراءُ من الجزعِ على بناتها .

كأنما أرادتُ أن تحتجبَ عن الأرضِ حتى تضعَ تلكَ الحربُ أوزارها .

وتفضحُ نسماتُ الصبحِ أسرارها .

فانكفأت إلى الغربِ .

وغادرتُ مِنْ إشفاقِها على الأفقِ شفقاً .

ونثرت أقداحها التي تحسو بها النورَ على السماءِ فكانت حدَقاً .

وكانَ الغواني خِفْنَ على جمالهنَّ من الليلِ .

خوفَ الغبارِ على الذيلِ .

وأشفقنَ أن تُزهرَ في ظلمتهِ نجومُ السماءِ .

وتبيّنَ بضدها الأشياءُ .

فنسخنَ آيتهِ بآيةِ الكهرباء .

وأوحينَ إلى الأفقِ بالسنةِ الضياءِ .

وقلنَ للقمرِ: أينَ أنتَ من ذُكاءِ؟

وللنجومِ: أينَ خرافُ الخضراءِ من الظباءِ؟

* * *

وإذا كان في يومِ الجمعةِ ساعةٌ تُستجابُ فيها الدعواتُ .

فإن في يومِ الأحدِ ساعاتُ .

يدعو فيها العشاقُ .

وبضرعُ بنو الأشواقِ .

فمن ساقٍ تلتفُ .

وعينٍ تلتفتُ .

ومن نحرٍ على نحرِ .

وبنانٍ رخصٍ على خضر .
وغنيٍّ يميل على غابه .
وعانٍ يشكو بثه إلى عابه .
وقد كفى البحرُ العيونَ .
إذا كان لا بدُّ في الهوى من عينٍ تدفع .
وطلع القمرُ .
إذا لم يجدِ العاشقانِ مفرّاً من رقيبٍ يمنع .
* * *

ونمّ النسيم .
بجنانِ النعيم .
أن لا لغوَ فيها ولا تأثيم .
ولقد رأيتُني بينَ الحورِ والولدانِ في جنان .
أتقلبُ من يمنةٍ إلى يسرة .
بين عُصاةٍ وحسرة .
وإن كان لي من ذواتِ الدلال .
جنتانِ عن يمينٍ وشمال .
وهكذا الشاعر ينظرُ .
ولا يقدرُ .
ويشتهي .
ولا ينتهي .
ويعفُّ حين يقفُ .
وعليه الوصفُ .
ولغيره ما يصف .

* * *

أَمَّا السَّمَاءُ ، فَقَدْ أَصْفَرَتْ عَنْ بَدْرِهَا .
وَهِيَ كَالْفِكْرِ تَلَالُاتٌ فِيهِ الْمَعَانِي .
وَكَشَفَتْ الْأَرْضُ عَنْ صَدْرِهَا .
وَهُوَ كَالْقَرِيَةِ ارْتَفَعَتْ فِيهِ مِنْ ثَدْيِهَا الْأَمْوَاجُ كَالْمَبَانِي .
فَأَقْبَلَ الْبَدْرُ .
يَضْحَكُ مِنَ الْبَحْرِ .
وَمَا كَادَ يَفْتَرُّ ثَغْرُهُ .
حَتَّى ضَاءَ بِنُورِهِ الْأَفَقُ .
وَوَظَّهَرَ وَجْهَهُ حَسَنَةً فِي صَحِيفَةِ الْغَسَقِ .
فَإِنْ كَانَتْ الْمَلَاخَةُ فِي الْأَعْيُنِ السُّودَاءِ .
فَقَدْ جَمَعَهَا الْبَدْرُ فِي عَيْنِهِ الْبَيضَاءِ .
وَرَعَاهَا الْبَحْرُ فِي مَقْلَتِهِ الزَّرْقَاءِ .
وَلِكُلِّ حَسَنٍ .
وَكُلِّ طَائِرٍ عَلَى غَصْنٍ .

وَخَرَجَ بَعْدَ ذَلِكَ صَدْرُ الْبَحْرِ .
فَهُوَ يَقُومُ وَيَقْعُدُ .
وَيَرْغِي وَيَزِيدُ .
يَضْرِبُ مَوْجَةً بِمَوْجَةٍ .
وَيَلْفُ إِلَى لَجَةٍ لَجَةٍ .
يَحَاوِلُ أَنْ يُؤَلِّدَ مِنْهُمَا كَهْرَبَاءَ .
يَصْفَرُّ لَهَا وَجْهَ الْقَمَرِ .
وَمِنَ السَّفَاهَةِ أَنْ يَنْظُرَ الْمِلْحُ الشُّكْرَ .
وَإِنْ كَانَ كِلَاهُمَا أَبْيَضَ .

وكم بين المِسْكِ والفحمِ .

وهما من جلدة سوداء .

* * *

ثم حنقت عليه السماء .

فما برحت ترسلُ من أنجمها إلى كبده سهاما .

تحاول أن تخرجَ الشمسَ التي ابتلعها .

وتردُّ إلى تاجها^(١) الجوهرة التي انتزعها .

فتستكملُ بذلك جمالها .

وتسحبُ على هامة الأرض أذيالها .

والماء يطفيءُ النارَ ، لكن لا يطيقُ خيالها .

* * *

ولقد وقفَ الليل .

وهو يحذُّنا بمقلةٍ سهيل .

فلا يرى إلا قلباً يرفُّ على حُسن .

وطائراً يقفُّ على غصن .

وفرحاً يبعثُهُ فرح .

وقدحاً يمشي به قدح .

فما زالَ يتمبِرُ حتى كادَ ينشق .

وحببتْ زفرَ زفرةٍ غادرتِ الهناءَ كالهباء .

وعصفت بها ريحٌ شابَ لهولها رأسُ البحر .

وقذبت برمالها عينُ البر .

فانتشرت هنالك أذيالُ الغانيات كالطواويس .

(١) في الأصل : (تاجه) .

ودقَّت قلوبُ العاشقينَ كالنواقيس .
وانفلتَ القنصُ من حبالِ القناص .
وتبدَّدَ الدُّر من يدِ الغواص .
وتحتَمَ الفراق .
فنادوا ولاتَ حينَ مناص^(١) .



(١) ديوان الرافعي : ٦٧/٢ - ٦٨ .

رسالة فكاكية

وهذا فصلٌ من كتابه «منكة الإنشاء» بعث به
لصديقه الأديب إلياس أفندي العبدان أحد
الصيدلة ، وكان استبدل نور الغاز بالكهرباء ،
في المكان الذي هو فيه ، ثم كان يعبث باللؤلؤ
كنما زاره صديق ، فطُفِيَءَ النور فجأة ، وبعثه
فجأة لدعابة فيه . قال :

ما هذا؟

صرف الله عنك شدة البياض .

في غير الأعراض .

أستمت الليل فأذريتَه ضُبحاً؟

وأوريتَه قَدْحاً؟

أم زهدت في السواد .

لغير الحداد؟

وللعيون والأهداب .

لا القنون والآداب .

فأطلعت من سقفك الكواكب تتألق .

كالعيون السواكب تندفق .

وعقت تلك المصابيح .

وهي كالحظّ تميلُ مع الريح
فإن كنتَ أشفقتَ أن تطُولَ ألسنتُها .
فتسوّدَ عُرضَ الحائط .
فإنّ قطعَ اللسانِ بالإحسانِ لا بالهجرانِ .
وما الذي جئتُه - عفا الله عنك - حتّى تجفّفَ من الهجرِ لهوائِها .
وتأخذَها بغيرِ هفواتِها .
وتطرَحَها جانباً .
وتنأى عنها مغاضباً .
فلا كلمةَ مواساةٍ تطفيءُ من لوعتِها حتّى ولا «أف» .
ولا نفخةً من صدركَ إلى صدرِها .
تخفّفُ مِنْ حرّها .
ولا عنايةً مِنْ أمركَ بأمرِها .
تجبرُّ مِنْ كسرِها .

وهل عمي الليلُ وسألكَ العلاج
فتضعَ له أعيناً من زجاج؟
أم سألكَ الناسُ آيةً تخرقُ العادة .
فمثّلتَ لهم بعدَ الغروبِ الشروق؟
أم انتجعَ غيثُكَ بعضَ المُجذِبِينَ فخيّلتَ له البروق؟
وما أمسكُ أنّكَ أمسيتَ تحاولُ تجزئةَ القمر .
فتكونَ منكَ لكلِّ أمةٍ «فلقة» إلى آخرِ العُمُر .
لا أعجبُ واللهِ مِنْ فرعونَ حينَ قال : هذه الأنهارُ تجري من تحتي .
إلا أنتَ حينَ تقولُ : هذه النارُ تجري مِنْ تحتي .

وليتني أعلمُ أهَيَّ استعارة أم مجاز؟
ومن مناهلِ الغاز أم من مسائلِ الأغاز .
وكأنِّي بأصابعك وقد عرفتُ أن لها خواتمَ في الهواء .
فهي تلعبُ بها كيف تشاء .
مرّةً تحبُّ لجلبسك العمى .
وتتركه لا إلى الأرض ولا إلى السما .
«يأسفُه ليلٌ كلما شئتُ أظلما» .
ومرّةً تذكره بيومِ النشور .
فتبعثُ عليه النور .
بعد أن يكونَ في ظُلمةِ القبور .
هذا على أن كواكبك من الزجاج .
لا من الأبراج .
فكيف لو كنَّ كما لا نظن .
أكنتَ تبتلعُ الشمس .
لتقولَ : أنا اليومُ والأمس ؟
أم كنتَ تلفُ الأرض بالأرض .
لتنزِلَ علينا آية ﴿ ظَلُمْتُ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ ﴾^(١) .
* * *
وإنِّي لأتَنظَرُ لك ليلةً يخفُّ فيها زفيرُ الكهرباء .
فينقطعُ بعضُ الأسلاك .
ويقعُ وحشُ الظلمةِ في تلكَ الشباك .
هنالكَ إذا استوحشتَ فرفعتَ رأسك غثَّك القناني لا القبان .

(١) هنا سجعاً أهملناها لأنها مما تقتضيه المداعبة (ر) .

وترامتُ على قدميكَ تَفْدِيكَ بدمائها المختلفة الألوان .
وإذا مددتَ رجلَكَ إلى الباب .
ليُكشِفَ لكَ النقاب .
وَيَسِطُ هذا الجلباب .
حسبكُ تُحْيِيهِ فحْيَاكَ .
وأبى - أدامَ اللهُ عليه العافية - إلا أن يَقْبَلَ جبينَكَ ، ويلتَمَ فاك .
وربما مَدَّ ذراعَهُ إلى الطُّوق .
والظلمةُ تدعو إلى شِدَّةِ الشوق .
فيظنُّه عناقاً .
وتظنُّه خناقاً .
ثم تلتَمِسُ المخرجَ فتحسبُ الحيطان .
أَنْكَ نَسألُها الحنان .
فتضمُّكُ إشفاقاً إلى صَدْرِها .
وتأخذُ رقبَتَكَ لنحرِها .
وهكذا مِنْ حبيبٍ إلى حبيب .
وَمِنْ نصيبٍ في هذا الهوى إلى نصيب .
حتى يُوَفِّي الكيل .
ويُكشِفُ عنكَ الغطاءَ فتُبَصِّرُ آيةَ الليل .
والسلام^(١) .



(١) ديوان الرافعي ٣ / ٨٠ - ٨٢ .

الحسن المصنوع

من كتابنا «ملكة الإنشاء» نسوقه لوجه المناسبة بينه وبين هذه الأبيات^(١):

حسناء قد نزعَتْ لونَ الوردِ بحدِّها .
وتركتْ في الوردِ الطَّيب .
ومثلتْ هَيْفَ الغُصْنِ في قدِّ غيرِ رطيب .
وانتعلتْ دلالَ الحُبِّ ، ولكنْ مِنْ غيرِ حبيب .
فما أَحْسَنَ الوَجْهَ وهو روضةٌ مُصَوَّرَه .
وزجاجةٌ منوَّره .
وشهادةٌ على الله مُرَوَّره .
كيف لا ، وقد امتازَ بينَ الناسِ .
بالقياس وغيرِ القياس .
فذلك صُورٌ مخلوقٌ أهلها مِنَ الطين .
وهو لكثرة ما عليه مِنْ شَبِّهِ الدَّقِيقِ ، كأنَّهُ صُورَةٌ مِنَ العجين .
حاجِبٌ يكادُ يَسِيلُ جَبْرًا .
وعُنُقٌ كَصَفْحَةِ الورق .
تكادُ تَكْتُبُ فيه الأَلحاظُ بِمَدَامِعِ الحَدَقِ .

(١) انظر: قصيدة المرأة المستحسنة ص (١٣٩) من هذا الديوان .

وَجِسْمٌ يَمِيلُ إِذَا وَقَفَتْ عَلَيْهِ طَيُورُ الْنَوَاطِرِ .
وَيَكَادُ يَتَعَثَّرُ إِذَا رَفَّتْهُ أَجْنَحَةُ الْخَوَاطِرِ .
وَرَبَّمَا كَانَ يَتَحَسَّرُ عَلَيْهِ عُلَمَاءُ الْأَثَارِ .
لأنَّهُ مِثَالُ حَيٍّ لِلْاحْتِرَامِ .
وَلَا ظَرُورَ أَنْ يَكُونَ لِعَظْمَةٍ صَاحِبَتِهِ مِنْ هِيَاطٍ أَلْعِظَامِ .
تَنْظُرُ بَعِيْنٍ مِنَ الْجَمُودِ .
لَا يَتَرَأَّى فِيهَا التَّأْوِيلُ .
وَلَا يَشْرَحُ مِنْهَا التَّعْلِيلُ .



عَهْدِي بِالْعَيْنِ أَنَّهَا مَصْبَاحُ الرُّوحِ فِي طَرِيقِ الْغُيُوبِ .
تُضِيءُ بَيْنَ الْخَوَاطِرِ .
فَيَنْعَكِسُ نُورُهَا عَلَى الْقُلُوبِ .
وَقَدْ تَبَدَّلَتْ (الْحُسْنَاءُ) مِنْ هَمْسٍ الشَّجْوِ .
بِلَمْسِ الْحُلِيِّ .
وَهُوَ فِي حُسْنِهَا - يَعْلَمُ اللَّهُ - كَالْمَعْنَى الْمَظْلُومِ .
لأنَّهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ .
وَالْمَنْظُومُ الضَّائِعُ .
لأنَّ الشَّعْرَ يُعْرِفُ مِنْ مَطْلَعِهِ .
لَعَلَّ الطَّبِيعَةَ بِالْغَتِّ فِي مَسَاعِدَتِهَا عَلَى التَّقْلِيدِ .
فَأَقَامَتْ لَهَا الْجِبَالَ مَقَامَ الْعُدَّالِ .
وَأَجْرَتْ الْأَنْهَارَ فِي مَكَانِ الدُّمُوعِ الْغِزَارِ .

فلم يبقَ إلا الْمُحِبُّ الذي نجعلُ غضبَهَا منه على طَرْفِ الأنفِ^(١).

* * *

وفي خيالِهَا عَالَمٌ مِنَ الْعُشَّاقِ يُمِيتُ فِيهِمْ لَحْظُهَا.

ويُخَيِّ مِنْهُمْ لَفْظُهَا.

على أَنَّهَا لَا تَرْفُقُ بِهِمْ.

ولا تُشْفِقُ لِكَرْبِهِمْ.

وَشَكَّوْاهُمْ مِنْ جَوْرِهَا إِلَى رَبِّهِمْ.

فإِنْ لَمْ تَرَهُمْ أَهْلًا لَصَدَقَها فِي الدَّلَالِ.

أفليسَ الْمَسَاكِينُ أَهْلًا لَصَدَقَتِهَا فِي الْجَمَالِ؟

* * *

قد اقترنَ الْغُرُورُ بِالْغَيْرَةِ فِي قَلْبِهَا.

فما يَزَالَانِ يُرْسِلَانِ مِنْ «بَرَكَاتِ الْعَسَلِ»^(٢) إِلَى لِسَانِهَا.

فإذا تَكَلَّمَ النَّاسُ عَنِ الْجَمَالِ قَالَتْ: مرَّاتِي.

وكفَى بِهَا كَلِمَةً تَجْمَعُ كُلَّ الْكَلَامِ.

وتصوِّرُ الْحُسْنَ فِي نَمَائِلِهَا مِنَ الْفَرْقِ إِلَى الْأَقْدَامِ.

وإذا وصفوا الْحِسَانَ.

وقفَ الرَّأْيُ على ثَغْرِهَا وَقَفَّةَ الْبُومِ على الطَّلَلِ.

فما بطيرٌ إِلَّا فِي ظِلَامِ.

وهي فِي حَقِيقَتِهَا كمروسِ الْمَنَامِ.

جمالٌ حَاضِرٌ وَلَكِنَّهُ خِيَالِ.

وَحُسْنٌ مَوْجُودٌ.

(١) أي قريباً (ر).

(٢) شهرُ الْعَسَلِ عندَ الْغُرَبِيِّينَ هو الشَّهْرُ الذي يلي ليلةَ الزَّفافِ ، وقال فيه بعضُ ظُرفائِهِم: إِنَّهُ سُمِّيَ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ مَا بَعْدَهُ مَرٌّ كُلُّهُ (ر).

ولكنه بين طَرْفَةِ عَيْنٍ «وانتباهتها» ينقلبُ إلى الزوال .

على أنها تزعمُ أنها نجمُ السماء .

ودُرَّةُ ذلكَ الماء .

بل هي مثله عنوانُ الأشواق .

في صحيفة العُشاق .

وتعزية البعاد .

في كتابِ الشهاد .

وما أراها مع ذلكَ تفكرُ في الحُسْنِ والحَسَنِ .

إلا كما يفتكرُ المنفيُّ في الأهلِ والوطن .

وإنما تُمثلُ للناسِ روايةَ الجمالِ بفصولها .

وتقيسُ عرضها بطولها .

فهي ملكة ذاتُ تاج .

ثم نجمٌ في أبراج .

ثم قمرٌ في جُنحِ ليلٍ داج .

ثم هي رَوْضَةٌ رَفَافَةٌ ، وزهرٌ قد أخذَ ألوانه .

واشتملَ أوصافه .

وسأله النسيمُ من طيبه فهِزَّ أعطافه .

وهكذا حتَّى إذا انتهى التمثيل .

وفترَ عن ضبطِ الحقيقةِ ذلكَ التخييل .

رأيتُ منظرًا كلُّ أمرىءٍ يرميه بلحظةٍ ازدراء .

وضحكة استهزاء .

ورأيتُ النّاج .
 والنّجمة من زجاج .
 والقمرَ شعله من ضوء السراج .
 والروضة وأزهارها ألواناً في أدراج .
 ورأيتها وقد تُفَضُّ عنها ذلك الصَّبغُ نفَضَ الترابِ عن الذيل .
 ومُحي من ثغرها الابتسَامُ محو النجوم من آخر الليل .
 ولم يبقَ إلاّ مسحةٌ في مَقْطَبِ الوَجْهِ^(١) مِنْ أنفاسِ الشَّيطان .
 يسميها بالهموم والأحزان .
 وإني أقسمُ «بأفريل» وعجبه .
 أنّها أول من جاء للناسِ شاهدٌ على كذبه^(٢) .
 فهي تكذبُ في نفسها .
 ولا يكذبها أناسٌ إلا في وجهها .
 وأعجبُ ما فيها أنّ كُلَّ شيءٍ يزيدُ حسنه بالماء .
 ووجهها لا ينقصُ حسنه أيضاً ولكن . . . يزولُ .



(١) المَقْطَبُ : ما بين الحاجبين (ر) .

(٢) من العوائد الغربية شيوعُ الكذبِ والافتراءِ بين الناسِ في أول شهر أفريل (نيسان) وفي أصل هذه العادة أقوالٌ متضاربةٌ لا يبنى عليها نصٌّ ، وهي في ذاتها من أنواع الجنون ، حتى إنّ الإنكليز يستونونها جنونَ أفريل ، أو يومَ الجنون ، ويقال : إنّ عند الهنود أصلاً لهذه العادة وذلك أنّهم (يكذبون) في آخر مارس (آذار) ويسمون ذلك اليوم عيد الهولوى ، فكأنّهم أساندةُ القوم في هذه السخافة (ر) .

الملحق الثالث

قالوا في الرافعي

- نجية للرافعي : للأستاذ منصور فهمي .
- ارتحال الصديق مصطفى صادق الرافعي : للأستاذ إسماعيل مظهر .

تحية للرافعي

للاستاذ منصور فهمي^(١)

مات مصطفى صادق الرافعي ، وما لقيته إلا مرات قليلة ، قد لا تتجاوز أصابع اليد عدداً ، ولم ترتبط بيني وبينه عقدة الصداقة الخاصة التي طالما يكون من شأنها أن تؤلف بين قلوب الناس على الأُنس والمودة في الحياة ، وطالما يكون من شأنها في الممات أن تؤوي الأُسَى في القلوب .

على أنه إذا كان قد قلّ لقائي بالرافعي في الحياة ، ولم تربطني به علاقة وثيقة من حقها أن تدفع القلم في سبيل الرثاء ، فإنّ في حقّ الوفاء لما قدّم الرافعي من خيرٍ متسعاً يفسحُ لقلمي ولغيره من الأقلام الوفية أن تذكر ذلك الراحل العظيم .

وعظمة الرافعي التي أنوّه بها الآن على عجل إنّما مرجعها اتصاله الوثيق بترائنا الأدبي القديم دون غيره ، فنهل من شرابه العذب ، وتغذى من خلاصاته القوية الصالحة . فإذا بها تتمثل في أسلوبه ، وتتغلغل في أدبه وتهذيبه ، وتتمازج في تفكيره وتعبيره ، وتندمج في تقديره وتدبيره . فاستطاع أن يشقّ للأدب القديم التليد سبيلاً في الأدب الحديث العتيق .

(١) منصور فهمي (١٣٠٣ - ١٣٧٨ هـ = ١٨٨٦ - ١٩٥٩ م) من آل البقلي المغاربة ، الدكتور ، مفكر مصري من الخطباء ، له علم بالفلسفة والتربية والأدب ، من أعضاء المجامع العلمية العربية الثلاثة ، ولد في شناقش التابعة لطلخا بمصر ، وتعلم بالمنصورة والقاهرة ، وأرسل في بعثة إلى باريس لدرس الفلسفة (١٩٠٨) وعاد بعد خمس سنوات ، فدرس في الجامعة المصرية القديمة (١٩١٣) ولم يكمل فيها سنة ، ثم عاد إليها ، وتدرج إلى أن صار عميداً لكلية الآداب ، ثم لدار الكتب المصرية ، فمدير لجامعة الإسكندرية إلى سنة ١٩٤٦ ، وكان كاتب سر المجمع اللغوي المصري من عام ١٩٣٤ إلى آخر حياته ، توفي ودفن في القاهرة ، له كتاب (خطرات نفس) .

فأيُّ إنسانٍ يرى في التراث الماضي ثُبُلَ هذا التراث؛ ولا يَأْلُمُ حينَ يفتقدُ
حارساً يقظاً لهذا التراث ، وداعياً له عليمًا ، ومعرِّفاً به حكيمًا؟
وأيُّ وريثٍ لثقافة العرب لا يعجزُ حينَ يموتُ أديبٌ عربيٌّ كبيرٌ ، كان يعرضُ
في أدبه للخلفِ جميلٌ ما جادَتْ به نفوسُ السلف؟!
وأيُّ أسفٍ لا يستولي على النفوس بموت الرافعي النابغة الأديب حينَ يمُرُّ
على الخاطر أن الناس قد فُتِنُوا بالحاضر ، فنسُوا وعَقَوْا محامدَ الغابر؟!
وإذا كان من حقِّ الآثارِ الصالحة أن تُبَعَثَ مِنْ قبورها ، أفلا يحقُّ على الناس
أن يأسفوا على مَنْ كان يَعْمَلُ على نشرها مِنْ مراقديها؟
وا أسفًا على الرافعي ، ثم أسفًا على الرافعي.
فإلى الأدباء إذن؛ وإلى الشعراء ، وإلى آل الرافعي جميلُ العزاء ، وعليهم
جميعاً للرافعي الأديب الكبير بعد ذلك حقُّ الوفاء^(١).



(١) الرسالة العدد ٢٠٢ تاريخ ١٧ مايو ١٩٣٧ م ص ٨١٥.

ارتحال الصديق مصطفى صادق الرافعي

للأستاذ إسماعيل مظهر^(١)

لئن لم يكن في موت الرافعي من أثر إلا أن تكون فجيعتنا فيه فجيرة العربية والعروية ، وفجيرة اللغة والأدب والفن الأسلوبى الأسمى ، بل وفجيرة الإسلام ، لكفى بموته واعظاً يعظنا ، وذكرى تساورنا عن تلك القرون الماضية ، التي ارتحل فيها من أمثاله أقلون ، امتازوا بما امتاز به من انصقال الطبع ، وحمية الروح ، وصفاء القلب ، ونقاء النفس .

نعم أقلون هم أولئك الذين انصفوا بما أضفت الطبيعة على الرافعي من صفات اليقظة الحقيقية . فقد كان رحمه الله يقظ النفس ، يقظ الروح ، يقظ الفؤاد . فأكسبته يقظة نفسه قوة الإيمان ، وأكسبته يقظة روحه قوة العمل ، وأكسبته يقظة فؤاده قوة الحرية والصراحة .

فقد عاش رحمه الله مؤمناً عاملاً ، حرّاً مستقلاً ، ما أضناه حُب الجاه الكاذب يوماً فأرغمه على أن يلوذ بأذيال عظيم ، أو يداجي ابتغاء مرضاة إنسان . بل عاش

(١) إسماعيل مظهر بن محمد بن عبد المجيد بن إسماعيل (١٣٠٨ - ١٣٨١ هـ = ١٨٩١ - ١٩٦٢ م) ، باحث مصري من علماء الكتاب ، ومن أعضاء المجمع اللغوي المصري . انتسب إلى الحزب الوطني ، درس في جامعة لندن وأكسفورد ، أصدر مجلة «العصور» سنة ١٩٢٧ - ١٩٣١ ، ورأس تحرير مجلة «المقتطف» ١٩٤٥ - ١٩٤٨ ، وأبرز آثاره : «معجم مظهر الأنسيكلوبيدي» ، «قاموس النهضة» ، «مصر من قيصريّة إلى الإسكندر المقدوني» ، «معضلات المدنية الحديثة» ، «المرأة في عصر الديمقراطية» ، «فلسفة اللذة والألم» و«معجم الثدييات» ، وغيرها .

لنفسه ولإيمانه ولحرية ، فكان المثل الأعلى في زمانٍ قلت فيه المثل ، وكثرت المثالات .

لا يعنينا من أمر الرافعي - وقد ارتحل عن هذا العلم الفاني - أن نصفه ، فنخرج منه صوراً نحاول أن نطبعها في عقول أهل هذا الزمان ، فإن ما بين الرافعي وبين الكثيرين من أهل هذا الزمان من فروق تجعل طبع صورة صحيحة من شخصيته في عقول الناس أمراً عسيراً . فلا أحاول هذا أذن الآن ، بل أحاول أن أقضي حق صديقي رحل ، فأقول فيه ما أعتقد أنه الحق ، وأن ألم بمجمل ما تركت صداقته في نفسي من آثار ، لعلي لا أخطئ إذا قلت : إنها آثار باقية ، على قدر ما أشعر في قرارة نفسي من ثقة بأن للرافعي في نفسي آثاراً تتناول نواحي شتى .

فلقد كان لذلك الراحل الكريم شخصية تشيع آثارها في نفسك شيوع الكهرباء في المادة الجامدة ، فتكسبها معنى جديداً هو معنى القوة تغمرك ، ثم لا تبدد .

كنت أشعر بأنني إلى جانب الرافعي في رحابة صديقي خالص الود ، زكي القلب ، نقي السريرة ، بعيد عن أن يفكر في أن يستغل صداقتك إلا للصداقة ، فإن غضب فللصداقة ، وإن عتب فللصداقة ، وإن قطعك فللصداقة أيضاً . فكانت الصداقة عنده معنى يتمثله في شخصك ، راجياً أن يصدق حديثه فيك ، فتكون الجدير بتمثيل هذا المعنى السامي ، الذي تحيز في خياله حتى كاد يتجسم ، وأكنه في قلبه حتى كاد يضيق به ، فإن تنفس عن شيء فعن كل ما يزيدك ثقة بأنه صديق .

كنت أستشم ريح الإيمان الطاهر منبعثاً عن نفسه الطاهرة . ما كان يعنيني من أمر إيمانه من شيء إلا أنه إيمان . إيمان ثابت حتى في الأشياء التي كانت تخالف مذهب في الأدب ، أو مذهب في الدين ، طالما اعتقد أنك إن خالفته في شيء فإنما تخالفه فيه عن إيمان يشبه إيمانه فيما يعتقده به . ولعمري إن هذا لأسمى الإيمان ، وأرقى مراتب الحرية الصحيحة .

أهدى إليّ رحمه الله يوماً كتابه «إعجاز القرآن» وكنْتُ أُصِدرُ «العصور» ، فعقدت فصلاً في معنى الإعجاز ، تعليقاً على رأيه فيه ، ذهب في مذهب لا يتفق في شيء مع رأيه ، بل ولا يلتقي به في ناحية من النواحي ، بل إنني لأذكر أنني تشددت بعض الشيء ، وهاجمته في مواطن ، وكنْتُ إذ ذاك حديث العلاقة بالرافعي ، وقد تبادر إليّ أن ما أنشر إنما يفقدني علاقتي برجلٍ أعتقد أنه عظيم .

ولكنَّ الصديقَ الراحلَ رحمه الله ، تلقَّى ما كتبتُ رَحْبَ الصدرِ ، راضيَ النفسِ ،
وتلقاني بذلكَ البشرَ الطافحَ من أساريهِ الواضحةِ المعاني ، قائلاً : إنَّ البئرَ التي
انترحتَ منها أفكارَكَ في الإعجازِ لن أشربَ منها . ولكنَّ حسبكَ أنَّكَ انترحتَ منها
مؤمناً بصلاحيةِ مائها .

ومرَّت الأيامُ فلا ألقاهُ إلاَّ استعجلني ترجمةَ كتابٍ عن عِلْمٍ من أعلامِ أوربة ،
مختاراً في الأكثرِ الكتبَ التي تدعو إلى حريةِ الفكرِ ، وإلى نشرِ المبادئِ العلميةِ
الحديثةِ ، كأنَّهُ كانَ يعتقدُ أنَّ الإيمانَ الصحيحَ لا ينبغي أنْ يقفَ عثرةً في سبيلِ الفكرِ
أيّاً كانَ متجهه ومرماه .

كانَ للرافعيِّ لونٌ من الأدبِ ، لا اختارُ أنْ أحلَّ الصورةَ التي انطبعتْ مِنْهُ في
نفسي قبلَ أنْ أمهّدَ لذلكَ بشهادةِ عِلْمٍ من أعلامِ زماننا هذا . فقد كتبَ أستاذنا
الكبيرَ أحمدَ لطفي السيدَ باشا فصلاً في «الجريدة» ، عندما أصدرَ الرافعيُّ كتابَهُ
«تاريخِ آدابِ العرب» سنة ١٩١٢ جاء فيه :

«قرأنا هذا الجزءَ . فأما نحوهُ فعليه طابعُ الباكورةِ في بابه ، يدلُّ على أنَّ
المؤلفَ قد ملَّكَ موضوعَهُ ملكاً تامّاً ، وأخذَ بعدَ ذلكَ يتصرَّفُ فيه تصرُّفاً حسناً .
وليسَ من السهلِ أنْ تجتمعَ له الأغراضُ التي بسطها في هذا الجزءِ الأولِ ، إلاَّ بعدَ
درسٍ طويلٍ ، وتعبٍ مملٍّ ، لم يتأخَّرْ هو عن وصفِهِ في مقدِّمةِ كتابِهِ .

وأما أسلوبُ الرافعيِّ في كتابِهِ فإنه سليمٌ من الشوائبِ الأعجميةِ التي تقعُ لنا
في كتاباتنا نحنَ العربَ المتأخرين . فكأنني وأنا أقرؤه أقرأ من قلمِ المبرِّدِ في
استعمالِهِ المساواةِ ، وإلباسِ المعاني ألفاظاً سابعةً مفضلةً عليها ، لا طويلةً تتعثرُ
فيها ، ولا قصيرةً عن مداها تؤدي ببعضِ أجزائها . وإنَّ هذا الجزءَ ، بل هذه
المقدمةُ ، تدلُّ على أنَّ المؤلفَ سيخرجُ لنا من تاريخِ آدابِ العربِ ما يجمعُ
شمْلها بعدَ التشتتِ في كتبٍ متعدِّدةٍ ، ويكونُ بذلكَ قد أدَّى لئامةِ أعظمِ خدمةٍ
يؤدِّيها أشدُّ الأدباءِ غيرةً على الأدبِ»

إذن فقد لمحَ أستاذنا الكبيرُ في الرافعيِّ ما لمحَ فيه كُلُّ عارفيه . لمحَ فيه سلامةَ
الأسلوبِ من الشوائبِ الأعجميةِ ، ولمحَ فيه إيمانهُ بآدابِ العربِ ، تلكَ التي
أرصدَ نفسَه لخدمتها ، خدمةً لن يؤدِّيها إلاَّ أشدُّ الأدباءِ غيرةً على الأدبِ .

كان ذلك في عصرٍ لم تغزنا فيه بعدُ الأساليبُ التي شابتها شوائبُ الأعجمية (لا رحمها الله) ولم يضعفَ إيماننا بآدابِ العربِ ، ولم نتبدّلْ من ثقافتنا التقليدية ثقافةً دخيلةً مترججةً كالزئبق ، مترجةً كالجدار الذي يريدُ أن ينقضَ ، وكان الرافعي يحاولُ أن يقيمهُ .

كان ذلك في عصرٍ اعتقدَ فيه الأدباءُ أنَّ العربيةَ وآدابها أصلٌ تقليدي ، ما ينبغي إلا أن يكونَ أساسَ الأدبِ الحديثِ ، وأنَّ الأدبَ الغربيَّ ليس إلا لقاحاً يغذي ذلك الأصلَ . لم نكن قد اعتقدنا بعدُ ، عن خطأ وإسرافٍ ، أنَّ أدبَ الغربِ ينبغي أن يتَّخذَ أساساً ، وأنَّ اللغةَ العربيةَ ليست إلا أداةَ التعبيرِ عنه . ولم نكن قد أسمينا هذا الإسرافَ تجديداً ، ولم نكن أضفينا على الذين يحافظون على الأسلوبِ العربيِّ الصميمِ ، ويحاذرونَ أن يشوبَ هذا الأسلوبَ شيءٌ من شوائبِ الأعجمية ، لقب المقلّدين (الكلاسيك) لا لنكرّمَ فيهم هذه النزعة ، وإنما لتتخذَها سبيلاً للسخرية منهم ، والاستهزاء بهم ، ولم تكن نابتةُ الأدباءِ إذ ذاك قد تردّوا في «الاستغراب» حتى انبثَّت بهم الصلةُ أو كادت ، بأدبِ أوائلهم وأساليهم ، ولم نكن قد فُتينا بعدُ ، وكفى بالفتنةِ صدعاً نخشى أن نعجزَ عن رأيه .

كان ذلك في زمانٍ قادتِ الأدبَ فيه عقولٌ رشيدةٌ مترنة ، وكان الأدبُ بمعزلٍ عن السياسةِ ، وعن حُبِّ التظاهرِ الكاذبِ ، وعن حُبِّ المادةِ حبّاً أفقدَ الأدبَ في عصرنا صفةَ الاستقلالِ عن الأرضياتِ السُّفلى .

كان ذلك في عصرٍ مجدٍ الرافعي ، لأنَّ الرافعيَّ حاولَ أن يحييَ مواتِ الأساليبِ المنتفكةِ ، وأن يجمعَ ما تشتَّت من آدابِ العربِ . كان ذلك في عصرٍ لم يرَ أدباؤه في إحياءِ لفظةٍ عربيةٍ غريبةٍ إلا انتصاراً للأدبِ وللعربيةِ .

كان ذلك في عصرٍ قال فيه أستاذنا أحمد لطفي السيد باشا ما معناه : «لئن مجَّد الإنكليزُ شكسبيرَ ، لأنَّه أحيا من مواتِ اللغةِ الإنكليزيةِ آلافاً من الألفاظِ المهجورةِ ، فالأجدُرُ بنا ونحنُ في مستهلِّ حياةٍ جديدةٍ ألا نكونَ أقلَّ منهم تمجيداً لمن يحيي من مواتِ لغتنا ما أُماتَ الإغفالُ . هنالك في ذلك العهدُ عُرِفَ أدبُ الرافعي ومجدُّه» .

فلما أظلمنا عصرُ الانتحالِ ، انتحالِ الأساليبِ الغربيةِ ، وانتحالِ الآدابِ

الغربية ، وطمعتِ الفتنة ، كافع أدبُ الرافعي مدَّ الفتنة الجديدة كفاحاً سوف نجدُ أثره في تاريخ عصرنا هذا.

لهذا كان الرافعي صاحبَ مذهبٍ في الأدبِ هو من حيثُ الأسلوبِ والبيانِ المذهبُ الذي ينبغي أن يسترشدَ به نابتةُ الأدباءِ في هذا العصر ، ليكونَ أدائهم السليمةَ في التعبيرِ عن أدبهم الجديد.

ولا شكَّ عندي في أن الأدبَ الجديدَ إن اتَّخَذَ من الأساليبِ السليمةَ أداةً للتعبيرِ ، لاستطاعَ أن يؤدِّي رسالةَ جديدةً للعربية ، ممَّا يحولُ دونَ أدائها الآنَ إلَّا عجمةَ الأساليبِ ، وقد خلت من جمالِ السَّبْكِ ، وقوةِ البيانِ ، فشوهت من جمالِ ما نقلنا عن الغربِ ، وصدَّت نفسُ الأديبِ عن تذوُّق ما فيها من جمالِ الفكرِ.

أجددُ للرافعي وقد ارتحل ، بهذه الكلمات عهدَ الوفاءِ ، جزاء ما غمرنا به في حياته من صداقةٍ خالصةٍ ، وإيمانٍ ثابتٍ ، وحبٍّ ما تزولُ ذكراه. ^(١)



(١) المقتطف السنة ٩١ - الجزء الأول يونيه ١٩٣٧ م ، ص ٢٠ - ٢٢ .

الفهارس العامة

- ١ - فهرس الآيات القرآنية .
- ٢ - فهرس الأحاديث النبوية .
- ٣ - فهرس القوافي .
- ٤ - فهرس الأعلام والقبائل والأقوام .
- ٥ - فهرس البلدان والأماكن .
- ٦ - فهرس الكتب والصحف .
- ٧ - فهرس الموضوعات

١ - فهرس الآيات القرآنية

٤٢	﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ٢٦٩]
٣٩	﴿الَّذِينَ آمَنُوا فِي كُلِّ وَادٍ يَهْمُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٥]
٤٥	﴿وَمَرَى الْجِبَالِ﴾ [النمل: ٨٨]
١٣٨	﴿انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ﴾ [المرسلات: ٣٠ ، ٣١]

* * *

٢ - فهرس الأحاديث النبوية

٤٢

إن من الشعر حكمة

٤٢

الشعر كلام كالقلام

٣ - فهرس القوافي

أول البيت	قافيته	بحره	عدد الأبيات الشاعر	الصفحة
-----------	--------	------	--------------------	--------

* قافية الهمزة الهمزة المضمومة

قلبي	ذكاء	الكامل	١	المتنبي	٥٤
------	------	--------	---	---------	----

الهمزة المكسورة

قلبي	أعدائي	البسيط	١٧	الرافعي	١٦٥
كم من	الرائي	البسيط	٣	الرافعي	٩١

* قافية الباء الباء المضمومة

واجانة	كوكب	الطويل	١	الفرزدق	٥٤
إلى موطن	طالبه	الطويل	٨	الرافعي	١٢٩
ألم تر	تقطب	الطويل	٩	النابغة	٦٢، ٦١، ٥
أفي الشبان	الانقلاب	الوافر	٧٩	الرافعي	١٧٢
شعرك	عذب	المنسرح	٢	الكاظمي	٩

الباء المفتوحة

فغض	كلابا	الوافر	١	جرير	٥٦
ورأت	غربا	الكامل	٢	عمارة اليمني	٤٩

الباء المكسورة

غشّ	مضهّب	الطويل	١	امروء القيس	٥٦
ألقت	العجب	البسيط	٣	الرافعي	١٢٥
أما من	الضباب	الوافر	٦	الرافعي	١٢٧
أنعمت	الألباب	الكامل	٤	الرافعي	١١٩
حقيقة	انقلاب	المجنث	٣	الرافعي	١٣٦

الباء الساكنة

باتت	لهب	البسيط	٣	الرافعي	١٣٨
------	-----	--------	---	---------	-----

* قافية التاء المثناة الفوقية

التاء المضمومة

اليوم يبنى	بيته	الرجز	٣	دويد بن زيد	٣٣
------------	------	-------	---	-------------	----

التاء المكسورة

وكنْتُ	فشَلْتُ	الطويل	١	كثير عزة	٥٥
--------	---------	--------	---	----------	----

* قافية الجيم المكسورة

قل للجبان	ناجي	الكامل	١	جرير	٥٤
-----------	------	--------	---	------	----

قافية الحاء المهملة

الحاء المضمومة

فجرنا	يسبح	الطويل	٢	ابن ميادة	٦٣
-------	------	--------	---	-----------	----

الحاء المفتوحة

الفجر	لا حا	الرجز	٤٢	الرافعي	١٢٠
-------	-------	-------	----	---------	-----

* قافية الدال المهملة

الدال المضمومة

مجتاب	البرجد	الطويل	٢	الطرماح	٦٥
يا ليل	أجد	مجزوء الكامل	٢	سعيد بن حميد	٥٢
تشط غدا	أبعد	المتقارب	١	عمر بن أبي ربيعة	٥٠

الدال المفتوحة

لو أن	أبدا	البسيط	٣	-	٧
تولى	شريدا	الوافر	١	الشريد	٣٤
نزجي	مدادها	الكامل	١	عدي بن الرقاع	٥٠
اسلمي	الفدا	الرملي	٣٢	الرافعي	١٨١

الدال المكسورة

تساءل	تعديدي	البسيط	٣٢	الرافعي	١٨٣
تكلف	الخدود	الوافر	٨	الرافعي	١٣٤
تعب	ازدياد	الخفيف	١	المعري	٤٩
ألا موعد	الموعد	المتقارب	٦	الرافعي	١١٠

* قافية الراء

الراء المضمومة

ونحن أناس	القبر	الطويل	١	أبو فراس الحمداني	٤٨
إذا أبصرتني	تدور	الوافر	١	عنترة بن الأخرس	٥٦

٥٠	-	١	الكامل	عار	خضعوا
٦٨	أبو تمام	١	السريع	غائر	قالت
٦٨	المؤمل	١	المنسرح	معتكر	وطارقات

الراء المفتوحة

١٤٧	الرافعي	١٥	الطويل	قيصرا	نراك
١٥	شكيب أرسلان	٦٥	الكامل	الأكبرا	إن الذي
١٤٥	الرافعي	٢٨	الكامل	يتحدرا	قاض

الراء المكسورة

١٤٨	الرافعي	٢٣	الطويل	بنهار	حملت
١٢٣	الرافعي	١٣	الطويل	طيري	حمامة
٥٠	النايعة	١	البسيط	عار	وعيرتني
٤٧	بشار بن برد	١	البسيط	قوارير	ارفق
٤٩	ابن المعتز	١	الكامل	عنبر	فانظر إليه
٩٣	الرافعي	١١	الخفيف	الاختيار	أرض بالأمر
٩٥	الرافعي	١٣	الخفيف	حرير	نائمات

الراء الساكنة

٩	قيصر معلوف	٣	الكامل	مبتكر	ذهب الهوى
٨٩	الرافعي	١٠	الرملي	الشجر	يا نسيم
١٣١	الرافعي	٤٨	السريع	نار	يا ليلة

* قافية السين المهملة المضمومة

٤٨	أبو نواس	١	الطويل	القلانس	فللراح
----	----------	---	--------	---------	--------

* قافية الشين المعجمة المضمومة

إني لأعجب يعيش الكامل ١ عنترة بن شداد ٤٨

* قافية العين المهملة

العين المضمومة

فإنك كالليل واسع الطويل ١ النابغة ٦٥
ذكرتك صديق الطويل ٤ الرافعي ١٠٦
لا الصبر الفزع البسيط ٤٢ الرافعي ١٧٥
والنفس تقنع الكامل ١ أبو ذؤيب الهذلي ٦٥

العين المكسورة

إنّ ذاك شرائعها مجزوء المديد ٣ الرافعي ١٣٩
يا حمى ليلي مطلع الرمل ١٧ الرافعي ١١٦

* قافية الفاء

الفاء المضمومة

يا صخرة ينعطف البسيط ١٣ الرافعي ١١٢
لا يعرف فيعرفه المنسرح ١ ابن الرومي ٤٠

الفاء المكسورة

لمصطفى يضافه البسيط ٢ البارودي ٩

* قافية القاف

القاف المضمومة

أرقت معشوق الطويل ١ الأعشى ٧٠

٤٨	جميل بن معمر	١	الطويل	قبلي	خليلي
١٠٧	الرافعي	٥	مجزوء المديد	ملل	ضعت
١٢٤	الرافعي	٨	الكامل	حال	إن الحياة
١٥٧	الرافعي	١٦	الكامل	المقتل	ما شئت
٥٦	امرؤ القيس	١	الكامل	مثلي	وشمائلي
٩٤	الرافعي	٢	الكامل	إليه	لما تبينت
٤٩	جليلة	١	الرمل	أحفل	لربعين

* قافية الميم الميم المضمومة

١٢٦	الرافعي	٢	الطويل	نسيم	حناناً
١٦٦	الرافعي	٤٦	البسيط	يتصرم	أعنت
١١٤	الرافعي	١٩	الوافر	الأمام	مكانك
١٣٧	الرافعي	٢	الوافر	ابتسام	فتاة
٩٨	الرافعي	١٢٤	الوافر	المدام	غني
٥٣	المتنبي	١	الخفيف	الأجسام	وإذا كانت

الميم المفتوحة

٤١	بشار بن برد	٢	الطويل	دما	إذا ما غضبنا
١٢٨	الرافعي	٢	الطويل	سما	رعى الله
١٥١	الرافعي	٨	الطويل	مغنما	ذليل
١٥٦	الرافعي	٥	الطويل	قديما	ألا هل
٩٧	الرافعي	٦	السريع	يغنما	يا من يخون

الميم المكسورة

١٣٥	الرافعي	٤	الطويل	سقيم	قدمت
١٤٢	الرافعي	٢	البسيط	بسام	خطوا

٥٢	المتنبي	٢	الطويل	قادم	كريم
٥٦	عترة بن شداد	١	الكامل	تكرمي	وكما
٥٢	الوالي	١	الكامل	المتقدم	وتركته
١١١	الرافعي	٣	المنسرح	ظلمي	من قمر
١٤٣	الرافعي	٢٩	الرجز	سامي	إنعم بها

الميم الساكنة

١٠٩	الرافعي	٦	مجزوء الكامل	العلم	يا ظلّ بانه
٣٤	المرقش	١	السريع	قلم	الدار قفر

* قافية النون

النون المضمومة

١١٧	الرافعي	٣	البسيط	خوان	أصفيك
٥٠	عبد الرحمن بن حسان	١	الخفيف	الستان	إنما الرمح

النون المفتوحة

١٧٨	الرافعي	٥٠	الرمل	وعدتنا	ربنا إياك
٥٤	المتنبي	١	الخفيف	جباننا	وإذا لم يكن

النون المكسورة

٥٥	النجاشي	١	الطويل	الحدثان	وكنت
٥٦	جميل بن معمر	١	الطويل	عرفوني	إذا ما رأوني
٩٦	الرافعي	٢	البسيط	البيان	يا ظبية الروض
١٥٠	الرافعي	٤	البسيط	معوان	إن كنت ترجو
١٤٠	الرافعي	٢٠	مجزوء الرمل	اثنتين	طفلتي
١٥٥	الرافعي	١٠	مجزوء الرجز	للوسن	بعثت

النون الساكنة

يا حمى النيل حنين مجزوء الرمل ١٨ الرافعي ٨٣

الياء المثناة التحتبة المفتوحة

أظبية نجد واديا الطويل ١٥ الرافعي ١٥٣
إيه يا رافعي شيا الخفيف ١ حافظ إبراهيم ٩

* قافية الألف اللينة *

ولي حامد يرضى الطويل ٣ الرافعي ١١٨
مالأيام الصبا تتواني الخفيف ١١ الرافعي ١٦٤

* * *

٤ - فهرس الأعلام والقبائل والأقوام

- إبراهيم بن العباس ٦١
- إبراهيم اليازجي: ٨، ١٩، ٢١، ٢٢
- الأتراك: ٦٦
- أحمد = (محمد) ﷺ
- أحمد تيمور باشا: ١٦١، ١٧٥، ١٧٦
- آل أبي حفصة: ٦٦
- أحمد بن حنبل: ٤٢
- ابن الأحنف = العباس بن الأحنف
- أحمد زكي باشا: ١٣
- أحمد شوقي: ١٧٨
- أحمد فتحي زغلول: ١٤٨
- أحمد لطفي السيد: ١١، ٢١١، ٢١٢
- أحمد محرم: ١٧٨
- الإسكندر المقدوني: ٢٠٦
- إسماعيل مظهر: ٢٠٥، ٢٠٩
- أشناس: ٦٦، ٦٧
- ابن أبي الأصبع: ٦٨
- الأصمعي: ٤٦، ٥٠، ٦٤، ٦٥
- الأعشى: ٣٥، ٧٠
- الإفرنج: ٦٨
- الألباني: ٤٢
- الألمان: ١٣
- الياس عجان: ٢٠، ١٩٦
- امرؤ القيس: ٣٣، ٣٥، ٥٦
- أمير المؤمنين = لعله علي بن أبي طالب
- الإنكليز: ١٣، ٢١٢
- أيمن ذو الغنى: ٦
- البارودي: ٩، ٢٣
- بشيرة بنت حبا العذرية: ٤٨
- البجاوي: ٤١
- البحتري: ٣٦، ٥٤
- البحراوي: ٧
- البخاري: ٤٢
- البديع الاسطرلابي: ٦٨
- ابن برد = بشار
- بسام الجايي: ٦، ٤٢
- البستاني: ١٩
- بشار بن برد: ٩، ٣٧، ٤٠، ٤١، ٤٧
- أبو تمام: ٣٦، ٥٠، ٥٣، ٥٤، ٦٧

توردي : ٢٠

توفيق الرافعي : ١٢٠

• الجاحظ : ٤٨ ، ١٥

جرير بن عطية : ٣٥ ، ٥٤

جساس بن مرة : ٤٩

آل جفنة : ٦١

جليلة بنت مرة : ٤٩

جميل بثينة : ٤٨

جنوب بنت عجلان : ٣٢

ابن الجهم = علي بن الجهم

جوته : ١٣

جورج إبراهيم حنا : ١٩ ، ٢٠ ، ٢١

جورجي زيدان : ١٩

• حافظ إبراهيم : ٩ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ١٧٨

ابن حبان : ٤٢

ابن حجاج : ٦٨

حسان بن ثابت : ٢٥

الحصري : ٤١

الحطيفة : ٣١ ، ٣٥

أبو حفص = عمر بن الخطاب

حيدر = علي بن أبي طالب

• ابن خفاجة : ٣٧

الخنساء : ٣٢ ، ٣٤

• الدارقطني : ٤٢

أبو داود السجستاني : ٤٢

دعبل الخزاعي : ٧٠

أبو دلامة : ٣٧

دويد بن زيد : ٣٣

ديك الجن : ٣٧

• أبو ذكوان : ٦١

ذو الرمة : ٣٦

أبو ذؤيب الهذلي : ٦٥

• الرافعي : ٣ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ،

١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ،

١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ،

٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ،

٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ،

٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ،

٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ،

٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ،

٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ،

٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ،

ابن أبي ربيعة = عمر بن أبي ربيعة

الربيعي : ٧٩

الرشيد = هارون الرشيد

الرضي (الشريف) : ٣٧

ابن الرومي : ٣٧ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٩ ،

٥٢ ، ٥٣ ،

رؤية : ٧٩

• زهير بن أبي سلمى : ٣٥ ، ٤٢ ،

٥٥ ، ٦٥

ابن زيدون : ٣٧

• سامي بن مصطفى صادق الرافعي :

١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤

سعد زغلول : ١١ ، ١٢ ، ١٨٢

سعيد بن حميد : ٥٢

عبد الرحمن البرقوقي : ١٠
 عبد الرحمن بن حسان بن ثابت : ٥٠
 عبد الله بن عباس : ٥٠
 عبد القادر الرافي : ٧
 عبد المحسن الكاظمي : ٩ ، ٢٤ ، ٢٥
 عبد المطلب بن هاشم : ٣٣
 عبد الوهاب عزام : ١٤
 عبدة بن الطبيب : ٥٦
 أبو عبدة معمر بن المثنى : ٦٥
 أبو العتاهية : ٣٦ ، ٥٣
 عدي بن الرقاع : ٣٦ ، ٥٠
 العريان = سعيد
 العسكري = أبو هلال
 علي بن الجهم : ٣٧
 علي بن أبي طالب : ١٥ ، ٥١
 عليّة بنت المهدي : ٣٢
 عمارة اليماني : ٤٩
 عمر بن الخطاب : ٧ ، ١٥ ، ٥٠ ، ١٤٤
 عمر بن أبي ربيعة : ٣٧ ، ٥٠
 أبو عمرو بن العلاء : ٤٦ ، ٥١ ، ٦٥
 عنان الناطفية : ٣٢
 عنتر بن الأخرس : ٥٦
 عنتر بن عمرو بن شداد : ٣٥ ، ٤٨
 • فاروق الأول : ١٨٣
 أبو فراس الحمداني : ٣٧ ، ٤٨
 الفرزدق : ٥٠ ، ٢٥٤
 القرنسيون : ١٣

سعيد الرافي : ١٩
 سعيد العريان : ١٤ ، ١٩ ، ١٢٠ ،
 ١٤٠ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٨٣ ، ١٨٩
 سليم سرقيس : ١٩
 السوربون : ١٩ ، ٢٠
 سيف الدولة الحمداني : ٣٧
 • الشافعي : ٤٢ ، ١٧١
 شبيب بن شبة : ٦٩
 الشريد : ٣٤
 شكبير : ١٣ ، ٢١٢
 شبيب أرسلان : ٣ ، ١٥ ، ١٨
 الشماخ : ٣٦
 • الصابي : ٤١
 صالح بن عبد القدوس : ٥٣
 صريع الغواني : ٣٧
 الصنوبري : ٣٦
 صروف = يعقوب
 • الطبراني : ٤٢
 الطرماح : ٦٥
 طفيل الغنوي : ٣٦
 الطوخي : ٨
 أبو الطبيب = المتنبّي
 • العباس بن الأحف : ٣٧
 عباس حلمي : ١٤٧
 ابن العباس = محمد بن العباس
 الخوارزمي
 عبد الرازق الرافي : ٧ ، ٨

فؤاد الأول: ١٨٣، ١٨٥

• قريش: ٤٢

قيصر معلوف: ٩

• الكاظمي = عبد المحسن

أبو كبير الهذلي: ٦٤

كثير عزة: ٥٥

كسري: ٧٠

كشاجم: ٣٦

كعب الأحبار: ٣٣

كعب بن زهير: ٥٥

كليب: ٤٩

الكميت بن زيد: ٣٥

• ليلى الأخيلية: ٣٢

• ابن ماجه: ٤٢

مالك بن أنس: ١٧١

المبرد: ٢١١، ١١

المتلمس: ٣٤

المتنبي: ٣٧، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤

٦٩، ٦٧

محب الدين الخطيب: ١٩، ١٦٨

محمد ﷺ: ١٥، ٥

محمد بخيت المطيعي: ٧

محمد بن العباس الخوارزمي: ٤٠

محمد عبده: ٩، ٢٣، ٢٥، ٣٣

محمد كامل الرافعي: ٢٠

محمد بن هانيء الأندلسي: ٣٧

محمود أبو رية: ١٦٩، ١٧٢

محمود محمد شاكر: ١٣، ١٤، ٦٩

المرقش الأصغر: ٣٤

المرقش الأكبر: ٣٤

مروان الأصغر: ٦٦، ٦٧

مروان بن الحكم: ٦٦

المنزق: ٣٤

مسلم بن معبد الوالي: ٥٢

مصطفى كامل: ١٠، ٢٥

ابن المعتز: ٣٦، ٤٠، ٤٨، ٦٧

المعتصم: ٦٦

المعري: ٣٦، ٤٠، ٤٩، ٥٣

المنصور العباسي: ٤٠

منصور فهمي: ٢٠٥، ٢٠٧

المهدي العباسي: ٤٠

المهلhel: ٣٤

المؤمل: ٦٨

المويلحي: ٢٠

ابن ميادة: ٦٣

• النابغة الذبياني: ٣٤، ٣٥، ٥٠

٥٤، ٥٥، ٦١، ٦٥، ٦٧

النبي ﷺ: ٣٣، ٤١، ٤٢، ١٧٦

النجاشي: ٥٥

نزهون بنت القلاعي الغرناطية: ٣٢

نسيم يارد: ٢٠

النعمان بن ثابت (أبو حنيفة): ١٧١

النعمان بن بشير الأنصاري: ٥٠

النعمان بن المنذر: ٦١، ٦٥، ٦٧

أبو نواس: ٣٢، ٣٦، ٤٨، ٥٢

النواسي = أبو نواس

• هارون الرشيد: ٣٢، ٣٧

هاشم بن عبد مناف: ٣٣

ابن هانيء = محمد بن هانيء

الأندلسي

أبو هفان: ٦٦

أبو هلال العسكري: ٦٨، ٦٩

الهنود: ٢٠٤

• الوالي = مسلم بن معبد الوالي

وضاح اليمن: ٦٨

ولادة بنت المستكفي: ٣٢

الوليد بن عبد الملك: ٣٦

وهيبة بنت مصطفى صادق الرافعي:

١٤٠

• يزيد بن الطثرية: ٥٦

أبو يعقوب صروف: ١٩

أبو يعلى: ٤٢

* * *

٥ - فهرس الأماكن والبلدان

- | | |
|----------------------------|--------------------------|
| • الإسكندرية: ٢٢، ١٩٠، ٢٠٧ | • شارع الخان: ١٩ |
| أسيوط: ٧ | الشام: ٧، ١٩، ٦٥ |
| اصطخر: ٦٦ | الشرقية: ٨ |
| اكسفورد: ٢٠٩ | شنقاش: ٢٠٧ |
| الأندلس: ٢٤ | • الصحراء الغربية: ١٨٣ |
| الأهواز: ٦١، ٦٨ | • طخارستان: ٣٧ |
| أوربة: ٢١١ | طرابلس الشام: ١١٢، ١١٣ |
| إيتاي البارود: ٨ | طرابلس الغرب: ٧ |
| • باريس: ٢٠٧ | طلخا: ٨، ٢٤، ٢٠٧ |
| البحرين: ٣٤ | طنطا: ٧، ٨، ١٩، ٢٠، ١٤٧، |
| البصرة: ٥٣، ٦٦ | ١٦٤ |
| بغداد: ٣٧، ٦٨ | • العراق: ٣٢، ٦٨ |
| بور سعيد: ١٣٨ | عسكر مكرم: ٦٨ |
| بهتيم: ٧ | • الفجالة: ٢٢ |
| بيسارة: ٧ | • القاهرة: ٢٤، ١٧٨، ٢٠٧ |
| • جنيف: ٧١ | القليوبية: ٧ |
| • الحيرة: ٦١ | • الكاظمية: ٢٤ |
| • دمشق: ٣٦ | الكوفة: ٧٠ |
| دنشواي: ٨٥ | • لبنان: ١٢ |
| | لندن: ٢٠٩ |

● نجد: ١٥٣	● المعرة: ٣٦
النيل: ٨٣ ، ٨٥	مصر: ٧ ، ١٢ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٤
● واحة سيوة: ١٨٣	٣٧ ، ٨٥ ، ١٤٧ ، ١٦٨ ، ١٨١
● اليمن: ٤٩	٢٠٧ ، ١٨٢

* * *

٦ - فهرس الكتب والصحف

- الأدب المفرد: ٤٢
- إعجاز القرآن: ١١
- الأغاني: ٣٥، ٤١، ٦٦، ٦٧، ٧٩
- الأم: ٤٢
- أناشيد فتية الحق: ١٨٠
- أوراق الورد: ١٣
- الأوسط = المعجم الأوسط
- البيان: ١٩، ١٠
- تاريخ آداب العرب: ١٠، ١١
- ١٧، ٢١١
- تحت راية القرآن: ١٢، ١٣، ١٧
- الثريا: ١٩
- الجريدة: ٢١١
- جمهرة مقالات محمود محمد شاكر: ١٣، ٦٩
- حياة الرافعي: ١٤، ١٩، ٢٥
- ١٨٩
- حديث القمر: ١٢
- خطرات نفس: ٢٠٧
- ديوان حافظ إبراهيم: ٢٠، ٢١
- ديوان الرافعي: ٨، ٩، ١٠، ٢٠
- ٢١، ٢٢، ٤٢، ٥٧، ٧١، ١٩٥
- ١٩٩
- ديوان المعاني: ٦٨
- ديوان النظرات: ١، ٣، ٥، ١٥
- ٢٢، ٧١، ٨٠، ٨١، ١٨٩
- الرسالة: ١٤، ١٢٠، ١٤٠
- ١٦٣، ١٦٥، ١٧١، ١٧٢، ١٧٤
- ١٨٥، ٢٠٨
- رسائل الأحرار: ١٣
- الزهراء: ١٩، ١٦٨، ١٨٠
- زهر الآداب: ٤١
- السحاب الأحمر: ١٣
- سر كيس: ١٩
- سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٤٢
- الصحيحة = سلسلة الأحاديث الصحيحة

- الضياء: ٢٢ ، ١٩
- العصور: ٢٠٩
- على السفود: ٥
- العمدة في محاسن الشعر ومعانيه: ٥١ ، ٤٦
- الفتح: ١٧٧
- فلسفة اللذة والألم: ٢٠٩
- قاموس النهضة: ٢٠٩
- قصص من التاريخ: ١٤
- مختصر المزنّي: ٤٢
- المساكين: ١٢
- المعلقات: ٣٥ ، ٣٤
- المقتطف: ١١ ، ١٩ ، ٢٠٩ ، ٢١٣
- المؤتلف والمختلف: ٣٣ ، ٥٦
- المؤيد: ٢١
- الهلال: ١٩
- وحي القلم: ٥ ، ١٣ ، ١٤ ، ٣٣



اسماء الكتب التي تشرقت بخدمتها والعناية بها حسب تاريخ صدورها

- ١ - نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الأربعة.
- تأليف: أحمد تيمور باشا، عن دار القادري بدمشق، ط ١: ١٤١٠ هـ = ١٩٩٠ م.
- ٢ - نقد المشول والمحك المميز بين السردود والمثبول.
- تأليف: ابن قيم الجوزية، عن دار القادري، ط ١: ١٤١١ هـ = ١٩٩٠ م.
- ٣ - التنكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة.
- تأليف: مصطفى صبري، عن دار القادري ط ١: ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م.
- ٤ - الأسماء والصفات تفلأ وعقلاً.
- تأليف: محمد الأمين الحكني الشنقيطي، عن دار القادري، ط ١: ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م، ط ٢: ١٤١٨ هـ = ١٩٩٧ م.
- ٥ - محمد رسول الله: مدخل إلى السيرة النبوية.
- تأليف الدكتور محمد أحمد الغمراوي، عن دار القادري، ط ١: ١٤١٣ هـ = ١٩٩٣ م.
- ٦ - قولني في المرأة ومقارنته بأقوال مقلدة الغرب.
- تأليف: مصطفى صبري، عن دار القادري، ط ١: ١٤١٣ هـ = ١٩٩٣ م.
- ٧ - الدين والوحي والإسلام.
- تأليف: مصطفى عبد الرزاق، عن دار القادري ط ١: ١٤١٣ هـ = ١٩٩٣ م.
- ٨ - هياكل النور.
- تأليف: يحيى بن حبش السهروردي، عن دار الهجرة بدمشق، ط ١: ١٤١٣ هـ = ١٩٩٣ م.
- ٩ - ملحة الاعتقاد.
- تأليف: العز بن عبد السلام السنمي، عن دار القادري، ط ١: ١٤١٣ هـ = ١٩٩٣ م.
- ١٠ - الربا في منظور التشريع الإسلامي.
- تأليف: الدكتور محمد عبد الله دواز، عن دار القادري، ط ١: ١٤١٣ هـ = ١٩٩٣ م.
- ١١ - تفسير آيات الأحكام.
- تأليف: السابس وزمبليه، عن دار ابن كثير ودار القادري ط ١: ١٤١٤ هـ = ١٩٩٤ م.
- ١٢ - شرح فصوص الغيب.
- تأليف: عبد القادر الجيلاني، عن دار القادري، ط ١: ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م.
- ١٣ - جوامع الآداب في أخلاق الأنجب.
- تأليف: محمد جمال الدين القاسمي، عن دار ابن كثير ودار القادري، ط ١: ١٤١٧ هـ = ١٩٩٦ م.
- ١٤ - الأربعون النووية.
- تأليف: الإمام النووي، عن دار الفجر بدمشق، ط ١: ١٤١٦ هـ = ١٩٩٦ م، ط ٢: ١٤٢٠ هـ = ١٩٩٩ م.

- ١٥ - كتاب المصدق .
- تأليف : أبي سعيد الخزاز ، عن دار القادري ، ط ١ : ١٤١٨ هـ = ١٩٩٧ م .
- ١٦ - عمدة التحقيق في أحكام التخليد والتلقيح .
- تأليف : محمد سعيد الباني ، عن دار القادري ، ط ١ : ١٤١٨ هـ = ١٩٩٧ م .
- ١٧ - الشام قبل مئة عام ، أو رحلة الإمبراطور غليوم الثاني إمبراطور المانية وتربته إلى فلسطين وسورية .
- تأليف : خليل سركيس ، عن دار القادري ، ط ١ : ١٤١٧ هـ = ١٩٩٧ م .
- ١٨ - من سير الغنالدين بأقلامهم : أحمد شوقي ، محمد البشير الإبراهيمي ، محب الدين الخطيب .
- جمع وإعداد : حسن السماحي سويدان ، عن دار القادري ، ط ١ : ١٤١٨ هـ = ١٩٩٨ م .
- ١٩ - كشف الغمة في مدح سيد الأمة محمد ﷺ .
- تأليف : محمود سامي البارودي ، عن دار القادري ط ١ : ١٤١٨ هـ = ١٩٩٨ م .
- ٢٠ - تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها .
- تأليف : السيد سليمان الندوي ، عن دار الفجر ، ط ١ : ١٤١٨ هـ = ١٩٩٨ م .
- ٢١ - المنهج الأتم في توبى الحكم .
- تأليف : المعطي الهندى ، عن دار القادري ، ط ١ : ١٤١٨ هـ = ١٩٩٨ م .
- ٢٢ - الحكم العطائية والمناجاة الإلهية .
- تأليف : ابن عطاء الله السكندري ، عن دار ابن القيم بدمشق ، ط ١ : ١٤١٩ هـ = ١٩٩٩ م .
- ٢٣ - قصص من التاريخ .
- تأليف : مصطفى صادق الرافعي ، عن دار ابن كثير بدمشق ، ط ١ : ١٤٢٠ هـ = ١٩٩٩ م .
- ٢٤ - علماء الشام كما عرفتهم .
- تأليف : محمد سعيد الباني ، عن دار القادري ، ط ١ : ١٤٢٠ هـ = ١٩٩٩ م .
- ٢٥ - الأجوبة الجلية عن الأسئلة الدينية .
- تأليف : الجرداني ، عن دار انفجر ، ط ١ : ١٤٢٠ هـ = ٢٠٠٠ م .
- ٢٦ - أدب الطلب ومتهى الأرب .
- تأليف : الإمام الشوكاني ، بالاشتراك مع الأستاذ يوسف بدوي ، عن اليمامة بدمشق ، ط ١ : ١٤٢١ هـ = ٢٠٠٠ م .
- ٢٧ - على السفود .
- تأليف : مصطفى صادق الرافعي ، عن دار البشائر بدمشق ، ط ١ : ١٤٢١ هـ = ٢٠٠٠ م .
- ٢٨ - بداية الهداية .
- الإمام الغزالي ، عن دار انفجر ، ط ١ : ١٤٢١ هـ = ٢٠٠٠ م .
- ٢٩ - الجوهرة في قواعد العقائد .
- تأليف : طاهر الجزائري ، عن دار القلم بدمشق ، ط ١ : ١٤٢١ هـ = ٢٠٠٠ م .
- ٣٠ - تاريخ الدولة العثمانية .
- تأليف : شكيب أرسلان ، عن دار ابن كثير ، ط ١ : ١٤٢٢ هـ = ٢٠٠١ م .

- ٣١ - بدائع الحكم من وحي القلم لمصطفى صادق الرافعي .
تأليف: حسن السماحي سويدان ، عن دار القلم ، ط ١ : ١٤٢٢ هـ = ٢٠٠١ م .
- ٣٢ - حديث الروح (شعر) .
تأليف: محمد إقبال ، عن دار القلم ، ط ١ : ١٤٢٢ هـ = ٢٠٠١ م .
- ٣٣ - كتاب المقاصد في بيان العقائد وأصول الأحكام وأحكام العبادات وآداب الإسلام .
تأليف: الإمام النووي ، عن دار الفجر ، ط ١ : ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢ م .
- ٣٤ - كلمة وكلمة .
تأليف: مصطفى صادق الرافعي ، عن دار ابن كثير ، ط ١ : ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢ م .
- ٣٥ - أبو الهدى الصيادي في آثار معاصريه .
تأليف: حسن السماحي سويدان ، عن دار البشائر ، ط ١ : ١٤٢٤ هـ = ٢٠٠٣ م .
- ٣٦ - الرقص والوقص لمستحل الرقص .
تأليف: إبراهيم الحلبي ، عن دار البشائر ، ط ١ : ١٤٢٤ هـ = ٢٠٠٣ م .
- ٣٧ - دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه .
تأليف: الحافظ القضايعي ، عن دار القلم ، ط ١ : ١٤٢٤ هـ = ٢٠٠٣ م .
- ٣٨ - لماذا تخلف المسلمون؟ ولماذا تقدم غيرهم؟
تأليف: شكيب أرسلان ، عن دار القلم بدمشق ، ط ١ : ١٤٢٥ هـ = ٢٠٠٤ م .
- ٣٩ - قواعد التصوف على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة، ويصل الأصول والفقه بالطريقة .
تأليف: أحمد زروق، بالاشتراك مع الأستاذ عثمان الحويمدي، عن دار وحي القلم بدمشق، ط ١ : ١٤٢٥ هـ = ٢٠٠٤ م .
- ٤٠ - صيد الخاطر .
تأليف: ابن الجوزي ، عن دار القلم ، ط ١ : ١٤٢٥ هـ = ٢٠٠٤ م .
- ٤١ - العقيدة الإسلامية على طريقة القرآن الكريم .
تأليف: محمد أحمد العدوي ، عن دار القادري ، ط ١ : ١٤٢٧ هـ = ٢٠٠٦ م .
- ٤٢ - الرحلة الحجازية المسماة: الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مقام .
تأليف: شكيب أرسلان ، عن دار النوادر بدمشق ، ط ١ : ١٤٢٨ هـ = ٢٠٠٧ م .
- ٤٣ - رسالة في بيان الكتب التي يعمل عليها وبيان طبقات علماء المذهب الحنفي والرد على ابن كمال باشا .
تأليف: محمد بيخيت المطيعي ، عن دار القادري ، ط ١ : ١٤٢٩ هـ = ٢٠٠٨ م .
- ٤٤ - التعليم والإرشاد .
تأليف: محمد بدر الدين النعساني الحلبي ، عن دار القادري ، ط ١ : ١٤٢٩ هـ = ٢٠٠٨ م .
- ٤٥ - ديوان النظرات .
تأليف: مصطفى صادق الرافعي ، عن دار القادري ، ط ١ : ١٤٣٠ هـ = ٢٠٠٩ م .